الأب سهيل قاشا

تاريخ الفكر

في العراق القديم







مكتبة السائح

تاريخ الفكر
في العراق القديم

الأب سهيل قاشا



طباعة كمبيوتر : يعقوب خباز ت : ٥٤٤٢٤٧ / ٠٣

طرابلس – لبنان



المقدمة

كُلَّما تصفحنا تاريخ الشرق الأوسط المسيحي، يقع بصرنا على فصول قاتمة ومأساوية من ذلك التاريخ الدموي، الذي يجمع بين الأحداث المؤلمة، والاستشهاد البطولي الخارق.

ليس بيننا من يجهل ما اصاب الشعب المسيحي السرياني والأرمني، وما حلّ به من ويلات وقتل وتدمير وتهجير منذ أواسط القرن التاسع عشر، ولا سيما في أعوام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨).

لكنا نتذكر الولايات والمدن والقرى السريانية والأرمنية الآمنة والمنتشرة انتشار النجوم في السماء في جبال تركيا الشرقية والغربية وسهولها، والتي تحوّلت فجأة إلى ملاعب يعبث فيها الموت والدمار..

كلنا نذكر ماردين، والرها، ونصيبين، وديار بكر، وملاطية، وخربوط، ومذيات،وبات، وآزخ، وطور عبدين، وعشرات المدن والقرى الأخرى التي فقدت أبناءها السريان الأوفياء والأرمن الأشداء، لإيمانهم في المسيح، المخلصين لمبادئ وطنهم بين النهرين ورايته.

لقد انتهى الوجود السرياني والأرمني في تركيا، تاركًا وراءه هياكل عظيمة ومناطق كاملة مدمرة بكنائسها وبيوتها ومتاجرها، وعلى العالم أن لا ينسى التاريخ الذي تسطّره الشعوب بدمائها وبطولاتها وإيمانها واستشهادها في سبيل الحق والعدل والسلام.

إنها ملحمة المدن السريانية والأرمنية التي عانقت الموت وخذلته صارخة في وجهه على غرار سيدها السيد المسيح ربها وإلهها، «أين شوكتك يا موت»؟

إنها ملحمة مدينة الرّها كمثال واحد من أمثلة البطولة الحقة والصمود الشامخ، تلك المدينة الآمنة بسكانها المسلمين والمسيحيين الواقعة في إقليم الجزيرة الفراتية إلى الجنوب من تركيا المعاصرة.



هذه المدينة التي استشهد أبناؤها السريان والأرمن والتي نورد وقـائع المذبحـة الأولى التي حلّت بها مستندين على مخطوطة صغيرة لشاهد عيان هو القس هنام نقاشة الذي عاش المأساة وسردها بخط يده والتي ننشرها اليوم أمام القرّاء الأعزاء، وأمـام الباحثين في زوايا التاريخ وخباياه.



التراث الفكري في بلاد ما بين النهرين

مدخل

تقسم بلاد ما بين النهرين إلى أربعة مناطق، في الشمال بلاد أشور وفي الوسط أكاد أو بابل وفي الجنوب سومر وفي الشرق عيلام. ودول السومريين والأكاديين والأشوريين من أقدم الممالك تاريخاً. فبينما كانت مصر لا تزال في طور الطفولة عام ٣ آلاف ق.م. كانت المدنيّة تزدهر على ضفاف دجلة والفرات. فما كان تاريخهم؟ وما كان تراثهم الفكريّ؟

١- تاريخهم

بدأ الفكر في بلاد ما بين النهرين البابليّ عام ٢٣٠٠ ق.م. بعد أن احتلّ سرجون البابليّ أو الأكاديّ بلاد سومر وأحلّ اللغة الأكاديّة المبسطة مكان اللغة السومرية المعقّدة ولكي نعرف هذا الفكر وتاريخ هذه الشعوب نرجع إلى المصادر التالية:

- الكتاب المقدس.
- كتابات مسمارية Cunéiforme على الخزف والأثاث، اكتشفها الفرنسيّ **بوتا** عام ١٨٤٢ والإنكليزي **لايارد** الذي عثر على بقايا مدينة نينوى ومكتبة الملك أشور بانيبال المهمّة والمحفورة بالخط المسماريّ.
- المؤرّخون القدماء أمثال هيرودتس Hérodote مؤرّخ يوناني (٤٨٤- ٤٢٠ ق.م.) وسترابون Strabon جغرافيّ ومؤرّخ يونانيّ من الكبادوك، عاش منذ عام ٥٨ ق.م. حتى ٢١ ب.م. ديودورس الصقلّي Diodore de sicile مؤرّخ يونانيّ عاش في القرن الأول ق.م.



٢- السومريون: تاريخهم ومدنيتهم

سكن السومريون في جنوب بلاد ما بين النهرين وكانت أهمّ مدنهم أور عند مصب الفرات ولكش ونيبور، وذلك في الألف الرابع ق.م. وقد أسّسوا المستعمرات في بلاد أكاد وفي أشور، وقد كانت مدن السومريين دولاً صغيرة مستقلّة يحكمها ملوك يتنازعون السيادة، فكثُرت بينهم الحروب الأهليّة ولذلك لم يدم عهدهم طويلاً. أما الرئاسة الدينيّة فكانت لمدينة نيبور وأشهر آلهتهم:

- **آنو** Anou الإله الأعظم، إله السماء يكوّن مع إيا EA وإنليل ثالوثاً مقدساً، وقد عُبد في مدن أوروك ولكش.
- **إيا** EA إله البحر والماء وإله الحكمة ومخترع الكتابة والفنون والعلوم ويُسمّى إنكي Enki أيضاً.
- **إنليل** Enlil له مدينة نيبور وسيّد الأرض، وهو إله القدر ومخترع العربة والمعول ويلقّب بالبعل أي السيّد.
- **ننليل** Ninlil وهي زوجة الإله إنليل. وللإله إنليل أولاد وهم:

  - **إينورتا** Inourta وهو الابن البكر لإنليل، وهو إله محارب ومزارع وقد عُبد في مدينة ولكش باسم الإله نينجرسو Ningirsou .
  - **نانّا** Nanna وهو ابن الإله إنليل، وهو إله القمر في مدينة أور وحامي الرعيان سمّي سن Sin في الأكاديّة وله زوجة تُدعى نينغال وله ابن يُدعى شماش Shamash وهو إله الشمس والحاكم الأعظم الذي نصّ الأحكام والشرائع في أور على حمورابي. رمزه: أسطوانة مزيّنة بنجمة بأربعة أغصان تخرج منها الأنوار.
  - **نينورتا** Ninourta ، ابن الإله إنليل وهو إله الحرب والصيد وهو إله الكوكب عطارد.
  - **زبابا** Zababa، ابن إنليل وهو إله الحرب والصيد في مدينة كيش.



- **دمبكينا** Dambkina وهي زوجة الإله إيا وأم الإله مردوخ في العهد البابليّ، وهؤلاء أولادهما:

  - **نينا** Ninâ ابنة إيا وهي إلهة المياه وكان لها معبداً في لكش.
  - **مردوخ** Mardouk، وهو الابن البكر لإيا ودمبكيتا، وقد خلف ابنه في مساعدة البشر، وهو إله الحكمة أيضاً. كوكبه جوبيتر. وقد رفعه فيما بعد حمورابي إلى رئاسة الآلهة. وقد كان له ابن يُدعى نابو Nabou ، من زوجته ساربانيتو Sarpanitou ، وهو إله الكتابة وحامي الكتّاب.

- **كي** Ki زوجة آنو، إلهة الأرض وأم كلّ الأحياء، ولها أولاد من الإلـــه آنـــو ومنهم:

  - **عشتار** Ishtar وهي حيناً ابنة آنو وأحياناً ابنة الإله نانا، وهـــي إلهـــة الحرب والشهوة وكان لها هياكل في نينوى وكوكبها فينوس. واسمهـــا أيضاً أنونيتوم وبلعيت Anounitoun et Dêlit. وهناك آلهة أخرى لهـــا وظائف مختلفة منهم:
  - **أدادا** Adad، إله الطقس والشتاء والرعد ويرمز إليه واقفاً علـــى ثـــور مسلحاً بالصاعقة وهو يُسمّى أيـــضاً رامـــان Ramman أو إشـــكور Ishkour في الأدب السومري.
  - **أنوناكي** Anounaki، إله الأرض والسماء.
  - **إيجيجي** Igigi، وهي إلهة الجحيم.
  - **نركال** Nergal، إله الأمراض والحرب، وإله المركز الأوّل بـــين آلهـــة الجحيم وكوكبه المريخ.
  - **أشور** Assour، وهو إله وطنيّ، وصار أعلى من كلّ الآلهة. وقد أعطى اسمه إلى العاصمة أشور. وهو خالق سماء الإله آنو والبشر. وهـــو إلـــه محارب يمثل في وسط قرص مجنّح، حاملاً القوس. زوجته الآلهة عشتار.
  - **تموز وجزيدا** إلهان يحرسان باب أنو.



وقد كتب السومريون باللغة التي تُسمّى الإسفينية أو المسماريّة قبل أن يكتب المصريون باللغة الهيروغليفية ويُقال أنهم تأثروا بالكتابة المسماريّة.

٣- الأكاديون والبابليّون والكلدانيون

هم قوم ساميّو الأصل. جاؤوا ربما من البلاد العربيّة وقد تأثّروا أكثر بالسومريين وقد بنوا مدناً عديدة أهمها كيش وبابل وأغادي أو أكاد وقد كثرت المناوشات بينهم وبين السومريين إلى أن استولت مدينة بابل أي (باب الله) على تلك الإمارات وضمتها إليها وقد قسم تاريخ بابل إلى ثلاث مراحل.

١- الدولة البابلية الأولى:

منذ نشأتها إلى انقراضها عام ١٦٥٠ ق.م.

أشهر ملوكها نمرود (قرن ٢٩ ق.م) ثم سرجون الأول الأكادي وقد سيطر على سورية وفينيقية وبلاد العيلاميين، ويُقال إنه قد وُلد سراً وأخفي في سلّة خيزران بسبب تصارع أمراء المدن المختلفة في سومر وأكاد على الحكم، ألقي في الفرات فالتقطه أحد الموظفين وهو مسؤول على توزيع الماء وحراسة الغابات ويُدعى أكي (ولنلاحظ التشابه هنا مع قصة موسى). وقد سمّى ملك سومر وأكاد ثم حمورابي من السلالة الأموريّة (١٧٢٨- ١٦٨٦ ق.م.) وقد ترك لنا مجموعة شرائع منقوشة بالحرف المسماريّ على مسلّة عظيمة من الحجر الصلب في ٢٨٢ مادّة و٥٥ رسالة إلى حكّام مدنه وفيه صار مردوخ إله مدينة بابل إله كلّ مملكته. وسيطرت معه اللغة الأكاديّة بدل السومرية والى هذه الفترة تعود ملحمة كلكامش وقصيدة الخلق في صورهما الأولى.

٢- زمن الاحتلال

عام ١٦٥٠ ق.م. جاء الكوشيون وهم شعوب آسيوية جاؤوا من إيران وسيطروا على بابل حتى حدود عام ١٥٠٠ ق.م. ثم الحوريّون والحثيون الذين احتلوا



بابل عام ١٥٣٠ ثم قيام الدولة الميتانية (١٥٠٠- ١٣٥٠ ق.م.) وهم شعوب سكنوا في سورية وبعض أجزاء من بلاد كنعان ومنهم زوجة الفرعون أخناتون الأميرة نفرتيتي، ثم عام ١٣٥٠ يتخلّص الأشوريون من سيطرة الميتانيين ويسيطرون على بلاد ما بين النهرين حتى عام ١٢٠٠ ق.م. وفي هذه الفترة تظهر ملحمة كلكامش وقصيدة الخلق في صورهما النهائيّة.

بين عام ١٢٠٠ و٩٠٠ ق.م. تتعاقب على بلاد ما بين النهرين الشعوب الغازيّة كشعوب البحر الآتية من البلقان والآراميين والحثّيين، وتقوم دويلات صغرى على أنقاض الدولة الأشورية كالدولة اليهوديّة في فلسطين ودولة آرام في دمشق.

عام ٩٠٠- ٦٢٥ ق.م. تعود أشور وتسيطر على بلاد ما بين النهرين.

٣- الدولة البابليّة الثانية

تخلّص البابليّون أو الكلدانيّون من السيطرة الأشورية عام ٦١٢ ق.م. بعد القضاء على نينوى عاصمة بلاد أشور وأشهر ملوك هذه الفترة نبوخذنصّر الثاني (٦٠٥- ٥٦٢ ق.م.) الذي سبى اليهود إلى بابل عام ٥٨٦ ق.م. وقد دام الحكم البابلي إلى عام ٥٣٩ ق.م. حيث سيطر الفرس ثم اليونان عام ٣٢٥ ق.م. ثم الساسانيون عام ٢٢٦ ق.م. ثم الفتح الإسلامي عام ٦٤٠ ب.م.

٤- حضارة بابل

كانت لغة البابليّين المسمارية وقد اشتهروا بتديّنهم وكثرة آلهتهم وقد مارسوا العرافة والتنجيم والسحر وآمنوا بوجود الأرواح منها الصالحة ومنها الشريرة وكانت عاصمتهم الدينيّة مدينة نيبور وإلههم الأعظم مردوخ، ولم يبالوا كثيراً بالخلود والنعيم بعد الموت، لذلك كانوا محبّين للسلام ويكرهون الحروب. اشتهروا أيضاً بالعلوم الرياضية وحسبوا درجات الدائرة (٣٦٠ درجة) وعرفوا الشهر القمريّ وأوقات الخسوف والكسوف وقسّموا الساعة إلى ستين دقيقة والدقيقة إلى ستين ثانية،



واخترعوا الساعة الشمسية والساعة المائية. وقد وجد العلماء نقوشاً في بهستون مكتوبة بالخطوط المسمارية والفارسية والمادية. فاستطاعوا حلّ رموز لغة الكلدانيين.

٤- الأشوريون

سكن الأشوريون في شمالي العراق، وأشهر مدنهم أشور ونينوى ونمرود (كالح) وقد حكمهم السومريون والأكاديون أو البابليون والكوشيون أو الميتانيون حتى القرن الرابع عشر ق.م. وأشهر ملوكهم أشور بليت (١٣٥٦- ١٣٢٠ ق.م.) الذي أنقذ بلاده من حكم الميتانيين، بين ١١٠٠- ١٠٥٠ ق.م. تجتاح بلاد ما بين النهرين القبائل الآراميّة، ومع ذلك تصمد أشور ويبدأ عهد حكم قويّ جداً منذ القرن التاسع، وذات سياسة توسعية تبلغ أوجها مع تغلّب فلاصّر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق.م.) وسرجون الثاني (٧٢١- ٧٠٥ ق.م.) الذي بنى مدينة خورساباد (دورشوروكين). وسيطر على الشرق حتى قبرص. وانتشرت في عهده اللغة الآرامية في كلّ الشرق بسبب احتلاله الممالك الآرامية ونفيه سكانها إلى كل أنحاء مملكته. وبدء اندحار اللغة المسمارية أمامها، وسوف تبقى لغة الشرق الأدنى حتى مجيء العرب.

ثم سنحاريب (٧٠٥- ٦٨٠ ق.م.) الذي يحتلّ بابل ويهدمها عام ٦٨٩ وقد اعتُبر عمله جريمة دينيّة لأنه دنّس هيكل الإله مردوخ، فجاء أسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م.) وبنى المدينة من جديد. أما في عهد أشوربانيبال (٦٦٨-٦٣١ ق.م.) كان امبراطوراً جمع بين حبّه للعلم (ترك مكتبة فيها ٢٠ ألف لوحة تطلعنا على عادات شعبه وشرائعهم) وشراسته في تعذيب أعدائه ككلّ الملوك الأشوريّين، فقد ضعفت مملكته كثيراً وقامت فيها الثورات من كلّ جانب إلى أن جاء الماديّون واحتلّوا أشور (٦١٤ ق.م.) ثم نينوى (مدينة الدماء) عام ٦١٢ ق.م. وتقاسم الفرس والبابليون المملكة الأشورية.



٥- حضارتهم

اشتهر الأشوريّون بالحرب. لذلك أخذوا معظم عـــاداتهم وتقاليـــدهم عـــن الشعوب التي قهروها. فأخذوا العقائد الدينيّة عن البابليين. أما إلههم الأكبر فكـــان أشور، وقد اعتبر خالق كلّ شيء، ورمزه قرص الشمس المجنّح في وسطه رجل يرشق النبال على أعدائه. وهو إله الحرب، شديد البأس، مهمته إخضاع جميع الشعوب.

ومن آلهة الأشوريين أيضاً عشتاروت امرأة أشور. و لم تفرض الديانـــة علـــى الأشوريّين قواعد يسير عليها في حياته، بل كان جلّ همّهم أن يخافوا الآلهة ويقيموا لها الطقوس من أجل نيل حياة طويلة، إذ لم يؤمنوا بعقاب أو بثوب. لكنهم أمنوا بوجود الأرواح الشريرة، فاتقوا شرّها بالسحر والتمائم والقرابين.

٦- الأدب السومري الأكادي البابلي الأشوري الكلداني

كانت بلاد ما بين النهرين، ملتقى الحضارات لاتصالها بالـــشرق الأقـــصى، وبالشرق الأدنى ومن الصعب جداً أن نميّز بين الآداب المختلفة السومريّة والأشوريّة والبابليّة وغيره في بلاد ما بين النهرين. يكفينا القول بأن هناك تراثاً اجتماعياً وفكرياً تناقلته الدول والشعوب التي سيطرت وعاشت في بلاد ما بين النهرين.

وما يوحّد هذه الحضارة المفهوم الخاص الذي أعطته للكلمـــة، فللكلمـــة في حضارة ما بين النهرين مثلها مثل الأدب المصري، فهي مجانسة للخلـــق والوجـــود، فلذلك عبّروا فيها عن طريقتهم في العيش وعن حياتهم ونقوشهم، واستعملوها أيضاً في التنجيم والسحر.

أما التراث الدينيّ الفلسفيّ، فهو من اصل سومريّ وهو وليد الماء والتراب أي طبيعتهم، الأرض الطيّبة بين دجلة والفرات، لذلك كانوا هم أوّل من جعلوا خلـــق الإنسان من ماء وطين. أما النصوص الاجتماعية والفلسفية الأكثر شهرة والتي هـــي في أساس تنظيمهم السياسيّ والاجتماعي والديني والتي تظهر خلفيتهم الفكريّة

«قوانين حمورابي» و«ملحمة كلكامش»، و«قصيدة الخلق» و«قصيدة الصدّيق المتألم»، و«نزول الإلهة عشتار إلى الجحيم» وغيرها كما سنرى لاحقاً.

٧- تنظيم الدولة والمجتمع في بلاد ما بين النهرين

كانت المدينة تكوّن الدولة، وهي تعتبر بيت الإله وأسماء المدن كانت تحمل اسم الإله، مثلاً أشور، بابل أي «باب إيل» أو مدينة «نور أداد»، أي نور الإله أداد، وكان الملك السلطة الأولى ويعتبر مندوب الآلهة على الأرض وكبير كهنتها يخضع لها ويستشيرها بواسطة الكهنة العرّافين ويعاونه الكثير من الحكام والولاة يجمعون الضرائب ويقومون بأعمال الريّ والتجنيد والسعاة والرسل يأتونه بالتقارير والرسائل. وقد اعتبر بعض الملوك أنفسهم آلهة. وكان الحكم وراثياً، إلاّ إذا حصلت انقلابات.

أما طبقات الشعب فكانت بشكل عام تقسم هكذا:

- الأحرار الأشراف والنبلاء.
- الأحرار رجال الأعمال والصناعات الكبرى.
- الأحرار صنّاع المدن وفلاحو الأرياف المالكين.
- الفلاحون الأقنان الذين يعيشون على أرض أسيّادهم.
- العبيد وهم أسرى أو الذين خسروا حريتهم لديونهم أو لجرائمهم.

أما الكهنة، فلهم مقام مرموق حتى غدوا القائمين على شؤون الزراعة والصناعة والتجارة في الدولة.

أما وضع العائلة، فللأب السلطة المطلقة (السلطة الأبوية البطريركيّة العُليا) على زوجته وبنيه وبناته وخاصةً في مجال زواج البنين والبنات. أما الزواج فهو مبدئياً زواج لا يعرف تعدّد الزوجات بالرغم من أن القانون يعترف للرجل أن يكون له حريم من السراري المنتمي إلى طبقة العبيد. وفي بعض الأحيان يسمح القانون للرجل بأن تكون له زوجة ثانوية إلى جانب زوجته الرئيسيّة. غير أنها لا تتمتع بحقوق الزوجة الرئيسيّة.

وللزوج الحق في طلاق زوجته إلاّ في حال كون زواجه قد فرض عليه لتغطية فضيحة فضّ بكارة عذراء. وليس على الزوج عند الطلاق أن يقدّم أية نفقة لزوجته، بل عليها أن تتخلّى عن المجوهرات التي قدّمها لها في أثناء الزواج. إلاّ أنها تحتفظ بما أعطاها إياه كمقدّم عند زواجها، غير أنها تفقد حقّها في إرث زوجها، ويمكن اعتبار الزواج فاسخاً أو لاغياً في حال تغيّب الزوج لمدّة طويلة دون تبرير شرعيّ إلخ..

وقد سمح القانون بوجود البغاء وكان له طابعاً مقدّساً[1]. أما تنظيم هذه الأمور المدنيّة كتنظيم الأسرة والعلاقات المادية بين الزوجين والإرث والحقوق والموجبات والقانون الجزائي. فقد نظمه حمورابي لأول مرة. فما كان هذا القانون وما هي مواده.

---

1 - تبدأ قصّة البغاء مع التاريخ السومريّ، فالبطل أنكيدو مرافق كلكامش، البطل السومري، قد ترك حياته المتوحشة بعد إغراءات بغيّ. وفي مدينة أوروك نجد الكثير من البغايا و لم تكن لهذه البغايا السمعة الحسنة: «لا تتزوج من بغي لأن لها أزواج عدّة، ولذا فإنها لن تساندك في أيام شقائك، وتهدم كل منزل تدخل إليه».
في أيام حمورابي، كانت الدولة تأخذ أولاد البغايا وتعطيهم لعائلات صالحة كي يتبنوهم، لكن بالإضافة إلى ذلك، كان للبغاء أيضا بعدا مقدسا دينيا كما يخبرنا بذلك المؤرخ هيرودتس:
«من بين عاداتهم (عادات شعوب ما بين النهرين) الأكثر عيباً هي أن على كل امرأة مولودة في بابل، أن تدخل إلى فناء هيكل الآلهة ميليتا، مرة في حياتها، وأن تضاجع رجلا غريبا. فالنساء الغنيات والمرموقات، كنّ يأتين في عربات مقفلة مع العديد من الخدم ويتوقفن أمام الهيكل. أما أكثر النساء فكنّ يجلسن في فناء المكان المكرّس للآلهة المفصول بشريط، ويتناوبن هناك الأماكن، ويدخلنه معصّبات رؤوسهنّ بشريط، من أجل تمييزهنّ.
فكان الغرباء يدخلون ويختارون من بين النساء وكان يمنع على كل امرأة أخذت مكاناً لها أن ترجع إلى بيتها قبل أن يرمي لها أحد الغرباء بعض المال، فتذهب معه إلى خارج الهيكل، في مكان ما، حيث تستسلم له.
وحين يعطيها الغريب المال يقول لها: «أصلّي كي تكوّن الإلهة ميليتيا نصيرة لك». ولا تستطيع المرأة أن ترفض أحدا مهما كان السعر بخسا. إذ كان المال مقدّسا. وحين تترك الغريب بعد مضاجعته، تأخذ صكاً من الهيكل يؤكد بأنها قد أتمت هذا الواجب الدينيّ للآلهة وتنسحب بعد ذلك إلى بيتها. ومنذ هذه اللحظة، لا تبيع نفسها إلى أي كان مهما كان الثمن. وكانت النساء الجميلات وذوات الجسم الطويل، يتخلّصن من هذا الواجب بسرعة. بينما اللواتي لم تنعم عليهنّ الطبيعة بالجمال، فكنّ يمكثن طويلا قبل إتمام هذا الواجب، وربما ينتظرن أحيانا ثلاث أو سنوات.

شريعة حمورابي

إن أعظم عمل قام به حمورابي هو تشريعه للقوانين وتبويبها وتثبيتها على الحجر والطين وتوزيعها على المدن البابليّة، لكي يقرأها الناس ويتدبروا أحكامها ويسير على موادّها الحكّام والقضاة لتطبيق العدل بين الناس.

نصب حمورابي قوانينه في فناء معبد إيزاكيلا، معبد الإله مردوخ الإله الرسمي للدولة البابليّة الأولى. ونصبت مثلها في معبد الإله شماس في مدينة سبار (تل أبو حبّة) الإله الرئيسي للمدينة. وذلك لكي يراها الناس فيقرأون تشريعاته ويتدبرون معانيها ويعملون بها بمرور الزمن.

تبويب قوانين حمورابي

صنّفت قوانين حمورابي إلى اثني عشر قسماً:

القسم الأول: يحتوي على المواد من ١-٥ التي تتعلّق بالقضاء والشهود.

القسم الثاني: يحتوي على المواد من ٦ — ٢٥ تتعلق بالسرقة والنهب.

القسم الثالث: يحتوي على المواد من ٢٦- ٤١ تتعلق بشؤون الجيش.

القسم الرابع: يحتوي على المواد من ٤٢ — ١٠٠ تتعلق بشؤون الحقل والبساتين والبيت.

القسم الخامس : يحتوي على المواد من ١٠٠- ١٠٧ تتعلق بمخازن البيع بالجملة ودكاكين التجار والرهنية والتعامل مع صغار التجار.

القسم السادس : يحتوي على المواد من ١٠٨- ١١١ تتعلق بساقية الخمر.

القسم السابع : يحتوي على المواد من ١١٢- ١٢٦ تتعلق بالبيع.

القسم الثامن : يحتوي على المواد من ١٢٧- ١٩٥ تبحث في شؤون العائلة وحقوقها وعلاقات أفرادها فيما بينهم.



القسم التاسع : يحتوي على المواد من ١٩٦- ٢٢٧ وهي عقوبات التعويض وغرامات نقض الاتفاقيات والعقود والتعهدات.

القسم العاشر : يحتوي على المواد من ٢٢٨ – ٢٤٠ تتعلق بالأسعار وتعيين أجور بناء البيوت والقوارب وأثمانها.

القسم الحادي عشر: يحتوي على المواد من ٢٤١ – ٢٧٧ تتعلق بأجور الحيوانات والأشخاص.

القسم الثاني عشر : يحتوي على المواد من ٢٧٨ – ٢٨٢ تتعلق بتعيين حدود الرقيق وحقوقهم وواجباتهم.

إن مسلّة حمورابي معروضة الآن في متحف اللوفر في باريس وكان أول من كتب عنها ونشر صورتها هو :

V. Scheil Mémoires de la delegation en Perse IV, 1902, 11 F

فالمصادر الغربية كثيرة لا تعدّ. أما المصادر العربيّة فهي:

- ترجمة قوانين حمورابي: عبد حسن الزيات في مجلة القضاء (١٩٣٥-١٩٣٦).
- قوانين حمورابي ترجمة عبد المسيح وزير. مجلة اليقين (١٩٢٣- ١٩٢٥).
- شريعة حمورابي أقدم الشرائع العالمية، الدكتور عبد الرحمن الكيالي، حلب ١٩٥٨.



قانون حمورابي[1]

١- إذا لعن رجلاً آخر بغير مبرر، فإن اللاعن يقتل.

٢- إذا عزّم رجل على آخر بدون مبرّر، وجب على المعزّم أن يذهب إلى النهر المقدّس ويلقي بنفسه فيه. فإن ابتلعه النهر تملّك غريمه منزله. أمّا إذا أظهر النهر براءته فلم يمسّ فإن خصمه يُقتل وتنتقل ملكيّة منزله إليه.

٣- إذا شهد رجل زوراً في دعوى وكانت الدعوى متعلّقة بحياة، فإنّ شاهد الزور يُقتل.

٤- وإن كانت الدعوى التي شهد فيها زوراً متعلّقة بالحبوب أو الفضّة، كان عليه أن يتحمّل العقوبة التي كان من شهد عليه معرّضاً لها.

٥- كلّ قاضٍ سمع دعوة وبتّ فيها بقرار كتابيّ، ثم ظهر فيما بعد أنّ قضاءه لم يكن حقاً وإنه هو الذي تسبّب في ذلك، يعاقب بتغريمه اثني عشر ضعفاً مما قضى به، ثم يلقى به علناً من كرسي القضاء ولا يعود إليه ولا يجلس مع القضاة للنظر في دعوى.

٦- من سرق مالاً خاصاً بأحد الآلهة أو ببيت كبير، وجب قتله، كذلك يقتل من قبل استلام هذه المسروقات.

٧- كلّ من اشترى ذهباً أو فضّةً أو عبداً أو أمةً أو ثوراً أو خروفاً أو حماراً وأيّ مال آخر من يد طفل رجل آخر أو رفيقه بغير اتفاق، ومن يستلم من أحدهما شيئاً من ذلك على سبيل الوديعة يعتبر سارقاً ويُقتل.

٨- إذا ارتكب الرجل الحرّ سرقة ثور أو خروف أو حمار أو خنزير أو قارب، غرّم ثلاثين مثلاً مما سرق إذا كانت السرقة من إله أو بيت كبير. فإن كانت

---

1 - ترجمة كاملة قام بها الأستاذ عبدو حسن الزيات. نقلاً عن مجلة القضاء الصادرة في بغداد، السنة الثانية، العدد الخامس، تشرين الأول ١٩٣٦، ومن كتاب :


e world's earliest laws: Chilperic Edwards



السرقة من فرد من أفراد الشعب غرّم عشرة أضعاف ممّا سرق. فإن كانت
السرقة من فرد من أفراد الشعب غرّم عشرة أضعاف ممّا سرق. فإن كانت
السرقة من فرد من أفراد الشعب غرّم عشرة أضعاف ممّا سرق. فإن لم يستطع دفع الغرامة وجب ذبحه.

٩- إذا فقد رجل شيئاً ثم وجده مع آخر وقال هذا: «لقد باعنيه أحد الباعة واشتريته أمام شهود»، وقال المدّعي: «إنني أستطيع إحضار الشهود يشهدون بملكيتي لهذا الشيء». وجب على المشتري استحضار البائع وشهود البيع ووجب على المدّعي استحضار شهوده، فإذا حضروا، وزن القاضي شهاداتهم التي يسمعها وهم يدلون بها أمام الله؛ واعتبر البائع سارقاً وذبح واستردّ المدعي الشيء المفقود، واستردّ المشتري قيمة ما دفع من بيت البائع.

١٠- أما إذا لم يُحضر المشتري المزعوم البائع والشهود بينما أحضر المدّعي شهود ملكيته فأن الحائز يعتبر سارقاً ويُذبح ويستولي المدّعي على ملكه.

١١- وإن عجز المدّعي عن إحضار شهود يؤيدونه، أخذ بسوء نيته واعتُبر أنه قد أبلغ بلاغاً كاذباً وذبح.

١٢- إذا كان البائع قد مات أخذ المشتري من منزله خمسة أضعاف كما هو جزاء الدّعوى.

١٣- إذا تأخر الحائز عن إحضار شهوده، أمهله القاضي مدّة لا تتجاوز ستة أشهر. فإن مضت ستة أشهر بغير أن يظهروا، أخذ بسوء نيّته وحلّ به الجزاء المقدود.

١٤- إذا سرق رجل ولداً قاصراً لآخر فإنه يُقتل.

١٥- يُقتل من يحضر عبداً أو أمةً من بيت كبير أو من بيت فرد من أفراد العامّة تمهيداً للهرب من البوابة.

١٦- ويُقتل أيضاً من يأوي في منزله عبداً آبقاً أو أمة آبقة ويرفض تسليمه للسيّد سواء أكان هذا السيّد من بيت كبير أو من العامة.



١٧- إذا قبض رجل في الحقل على عبد آبق أو أمة آبقة وأعاده أو أعادها إلى السيّد وجب على المالك أن يدفع له شيئاً من الفضة.

١٨- إذا رفض العبد تسمية مالكه، أخذ إلى البيت الكبير وفحص ما فيه وسلّم لسيّده.

١٩- إذا أخفى الرجل العبد الآبق في منزله وقبض عليه في أراضيه فإن ذلك الرجل يُقتل.

٢٠- إذا فرّ عبد من يد من قبض عليه، أقسم هذا باسم الله أمام ملك العبد وصدق بيمينه واعتبر بريئاً.

٢١- كلّ من دخل منزلاً عنوة أو بغير حق ذُبح أمام المعبد ودُفن فيه.

٢٢- قاطع الطرق إذا قُبض عليه يُقتل.

٢٣- إذا لم يُقبض على قاطع الطريق، أقسم الشخص المسروق باسم الله وبيّن ما سُرق منه وعندئذ تلزم المدينة والشريف اللذان وقعت السرقة في أرضهما بتعويض عن جميع ما سرق منه.

٢٤- فإن كان قاطع الطريق قد قتل نفساً، دفعت المدينة والشريف لأهله (مينا) من الفضة.

٢٥- إذا شبّت النار في منزل إنسان وذهب آخر لإطفائها، فلمّا وقع نظره على الأشياء الموجودة في المنزل سرقها، ألقي به في نفس النار.

٢٦- إذا أمر جنديّ ثقيل السلاح أو خفيفه بالخروج إلى الحرب «في سبيل الملك» فلم يذهب بنفسه ولكنه استأخر بديلاً عنه، فإن الجندي العاصي يُقتل ويتملك الأخير منزله.

٢٧- إذا خرج جنديّ ثقيل السلاح أو خفيفه إلى الحرب وأعطى بيته أو حقله إلى آخر ليديرهما، ثم عاد بعد الحرب إلى مدينته، فإنه يستردهما ويديرهما بنفسه.

٢٨- فإن كان له ولد يستطيع إدارتهما أعطيا له إلى أن يعود أبوه من الحرب.



٢٩- أما إذا كان هذا الولد دون السن وغير قادر على النهوض باعمال أبيه، فإن ثلث الحقل والمنزل يُعطى لأمه.

٣٠- إذا أهمل الجنديّ حقله ومنزله واستولى عليهما غيره واستعملهما ثلاث سنوات ثم عاد الجندي وأراد استعمالها لم تعطيا له واستمرّ حائزهما على استعمالهما.

٣١- فإن كان الجنديّ قد أهملهما سنة واحدة فقط فإن له إسترداده‍ما.

٣٢- إذا أسر جنديّ وافتداه تاجر وأعاده إلى مدينته فإن على الجنديّ أن يدفع من ماله مقدار الفدية للتاجر إذا كان في منزله متسع لهذا وإلاّ تكفل معبد مدينته بدفعها. فإن عجز يدفعها البيت الكبير ولا يجوز تقديم منزله وحقله كفدية له.

٣٣- إذا سمح رئيس في الجيش بهروب جنديّ منه وقبل جندياً مستأجراً ليجاهد مكان الجنديّ الأصيل «في سبيل الله» فإن ذاك الرئيس يُقتل.

٣٤- يُقتل الضابط الذي يغتصب ملكية جندي أو يؤذيه أو يؤجره أو يمنع عنه عطيّة وهبه له الملك.

٣٥- من اشترى ماشية ما أو أغناماً وهبها الملك لجنديّ فقد يقوده.

٣٦- لا يجوز أن يباع بفضة على حدة، حقل أو منزل جنديّ أو إقطاعي.

٣٧- من اشترى شيئاً مما تقدم فسخ عقده وفقد نقوده وردّ البيع إلى صاحبه.

٣٨- لا يستطيع الجنديّ أن يعطي منزله أو حقله لزوجته أو ابنته ولا يجوز له تقديمهما رهناً لدين.

٣٩- ولكن يستطيع أن يوصي بالبيت أو المنزل لزوجته أو ابنته كما يستطيع رهنه إذا كان قد اشترى المنزل.

٤٠- ويستطيع أن يبيع منزله أو حقله إلى كاهنة أو تاجر أو إقطاعيّ آخر وللمشتري أن يستغلّ ما اشتراه.



٤١- إذا أغلق رجل حقلاً أو منــزلاً تابعاً لجندي وقدّم من عنده الأعمدة اللازمة للاغلاق، ثم عاد الجنديّ وجب عليه أن يدفع للرجل ثمن تلك الأعمدة.

٤٢- إذا أخذ رجلاً حقلاً ليزرعه ثم لم يبذر فيه حباً، اهم بإهمال العمل في الحقل ووجب عليه أن يعطي مالكه مقدار من الحبوب مساوياً لما ينتجه مثل حقله في نفس المقاطعة.

٤٣- وإذا لم يفلح الحقل وتركه وجب عليه أن يعطي صاحبه حبوباً مثل الحبوب التي يعطيها جاره، وألزم بأن يعزق الأرض ويبذر فيها الحب ثم يعيدها لمالكها.

٤٤- إذا استأجر رجل أرضاً غير مطلوبة لمدّة ثلاث سنين ليزرعها ولكنه تكاسل و لم يعمل في الحقل، وجب عليه أن يحرث الحقل في العام الرابع ويعزقه ويبذر فيه الحب ثم يعيده لمالك الأرض.

٤٥- إذا أجّر رجل حقله لزارع مقابل أجرة سنوية وقبض الأجرة فعلاً ثم أرسل الإله (آداد) على الأرض فيضاناً أغرق الزرع، كان الهلاك على الزارع.

٤٦- فإن كان لمالك لم يقبض الأجرة أو كان قد أجّر الأرض مقابل ثلث أو نصف المحصول فإنه يتقاسم مع الزارع ما يتبقى في الأرض كلّ بنسبة حصته.

٤٧- إذا رأى المستأجر لسبب عدم ربحه من الأرض في العام السابق أن يؤجرها من باطنه لمستأجر آخر، فليس لمالك أن يؤاخذه على هذا ما دام إن أرضه قد فلحت وإنه سيأخذ الحبوب حين الحصاد وفقاً للعقد.

٤٨- إذا كان أحد الناس مديناً بدين ثم أرسل الإله (آداد) فيضاناً طغى على أرضه، أو هلك زرعه، أو يبس لسبب قلّة المياه، فإن هذا المدين يعفى من تقديم حبوب إلى دائنه في ذلك العام، كما يعفي من الفوائد بخاصة بنفس السنة.

٤٩- إذا استلم إنسان فضة من أحد التجار وقدّم له حقل حبوب أو حقل سمسم وقال له: «إني سأزرع الحقل حبوباً أو سمسماً ولك أن تأخذ كلّ ما يوجد فيه»، ثم زرع الزارع المستدين الأرض، كان لمالكها أن يأخذ كلّ المحصول



الذي يوجد فيها على أن يعطي للتاجر الدائن حبوباً تساوي الفضة التي أقرضها للزارع مضافاً إليها فوائدها وأن يترك للزارع ذخيرة من الحبوب.

٥٠- وإن كان ما قدم للتاجر حقلاً سبق زرعه قبل تقديمه حبوباً أو سمسماً، كان لمالك الأرض أن يأخذ المحصول الموجود على أن يؤدّي للتاجر الفضة التي دفعها مع فوائدها.

٥١- فإن لم يكن لديه فضة أعطى التاجر سمسماً يساوي قيمة الفضة التي استلمها منه مع فوائدها، طبقاً للسعر الملكي.

٥٢- وإذا لم يزرع الزارع الحقل حبوباً أو سمسماً فإن العقد يبقى صحيحاً ولا يبطل.

٥٣- إذا تكاسل رجل فلم يقو سدّه فحدثت فيه ثغرة وطغى الماء على الأرض وأتلف زرع آخر فإن هذا الرجل يلزم بردّ مثل الحبوب التي هلكت.

٥٤- فإن لم يكن لديه حبوب بيع هو وبيعت ممتلكاته بالفضّة وقسّم الثمن بين من هلكت حبوبهم بسبب طغيان الماء.

٥٥- إذا فتح رجل فتحة ريه ثم ترتب على إهماله غرق أرض جاره ألزم بإعطاءه حبوباً وفقاً لما ينتج في المقاطعة.

٥٦- إذا فتح رجل فتحة المياه وأغرق حقل جاره المغروس وجب عليه أن يعطيه عشر حارات من الحب مقابل كلّ (جان).

٥٧- إذا أطلق أحد الرعاة غنمه لترعى في أرض إنسان بغير تفاهم سابق معه كان للمالك أن يجني زرع حقله وألزم الراعي بأن يؤدّي إليه فوق ذلك عشرين (جرا) من الحبوب مقابل كلّ (جان).

٥٨- إذا غادرت الأغنام الحقل ووضعت في حظيرة محصورة ولكن الراعي سمح لها بالهرب منها والعودة إلى الحقل لترعى فيه، ألزم هذا الراعي من الحبوب لقاء كل (جان).



٥٩- إذا قطع رجل غير معروف لصاحب الحديقة شجرة منها، الزم بدفع نصف (مينا) من الفضة.

٦٠- إذا أعطى رجل حقله إلى بستانيّ ليجعل منه حديقة وقام البستانيّ بغرسه وجب عليه أن يتعهده أربع سنين. فإذا كان العام الخامس تقاسم مع المالك لكلّ منهما النصف وكان للمالك أن يختار الذي يفضله.

٦١- فإن كان البستانيّ قد ترك جزء من الحقل بغير غراس وقع هذا في نصيبه عند التقاسم.

٦٢- إذا لم يغرس الحقل الذي عهد به إلى البستانيّ بأشجار البساتين وصار حقل حبوب، كان على البستانيّ أن يعطي لمالكه مثل ما أنتج جيرانه خلال السنين التي أهمل الحقل فيها، وكان عليه أيضاً أن يمهّد الحقل ويعدّه إلى ربّه.

٦٣- وإذا كانت الأرض من الأراضي البائرة كان على البستانيّ أن يمهدها ويعيدها إلى صاحبها وأن يدفع له عشر (جارات) من الحبوب مقابل كلّ (جون) عن كلّ عام.

٦٤- إذا عهد رجل إلى بستانيّ ببستانه ليدبره كان عليه أن يعطي صاحب البستان ثلثي المحصول، أما الثلث فيستبقيه لنفسه.

٦٥- إذ لم يدر البستانيّ فنقص المحصول، كان عليه أن يقدّم لصاحبه مثل ما أنتجت بساتين جيرته.

٦٦- إذا سلّم رجل بستان نخيل إلى بستانيّ ليديره فاقترض هذا فضة من أحد التجار فلما طالبه التاجر بدينه لم يجد لديه ما يسدّده وقال له: «خذ البلح الذي في بستاني مقابل ما لك عندي من الفضة» فليس للتاجر أن يقبل هذا، بل إن لمالك البستان أن يجني الثمار ثم يدفع الفضة مع فوائدها إلى التاجر وما تبقّى من بعد ذلك في البستان كان من حق مالكه.

٦٧- لا توجد هذه المادة في المجلة.

٦٨- لا توجد هذه المادة في المجلة.



٦٩- لا توجد هذه المادة في المجلة.

٧٠- لا توجد هذه المادة في المجلة.

٧١- إذا دفع رجل حبوباً أو فضة أو أشياء أخرى مقابل منــزل وكان هذا المنــزل مبنياً على أساس أو جدار منــزل آخر مملوك للجار فإنه يفقد كلّ مــا دفــع ويؤخذ المنــزل منه، أما إن كان المنــزل مستقلاً غير مستند إلى أســاس أو جدار منــزل آخر فإنه يستطيع أن يبيعه مقابل فضة أو حبــوب أو بــضاعة أخرى.

٧٢- لا شيء أيضاً في المجلة

٧٣- لا شيء أيضاً في المجلة

٧٤- لا شيء أيضاً في المجلة

٧٥- لا شيء أيضاً في المجلة

٧٦- لا شيء أيضاً في المجلة

٧٧- لا شيء أيضاً في المجلة

٧٨- لا شيء أيضاً في المجلة

٧٩- لا شيء أيضاً في المجلة

٨٠- لا شيء أيضاً في المجلة

٨١- لا شيء أيضاً في المجلة

٨٢- لا شيء أيضاً في المجلة

٨٣- لا شيء أيضاً في المجلة

٨٤- لا شيء أيضاً في المجلة

٨٥- لا شيء أيضاً في المجلة

٨٦- لا شيء أيضاً في المجلة

٨٧- لا شيء أيضاً في المجلة



٨٨- لا شيء أيضاً في المجلة

٨٩- لا شيء أيضاً في المجلة

٩٠- إذا اقترض تاجر حبوباً أو فضّة مقابل فائدة، استحقّ ١٠٠ (كا) عن كلّ (حر) من الحبوب واستحقّ جزء من ستة أجزاء من (الشيقل) مع ست حبات من القمح عن كلّ الشيقل من الفضة.

٩١- إذا اقترض إنسان قرضاً بفائدة و لم يجد لديه فضة لسداد الدين ولكنه وجد حبوباً، فإنه يدفع لأمر الملك ١٠٠ (كا) عن كلّ (حر). فإذا اعترض التاجر وأبى إلا أن يأخذ فوق هذا سدس شيقل وست حبات عن كل شيقل خسر كلّ قرضه.

٩٢- (ناقصة أيضاً).

٩٣- (مفقودة).

٩٤- إذا قبض تاجر حبوباً من اصل دينه ولكنه لم يخصم قيمتها مما له و لم يحرّر ورقة جديدة أو أضاف الفائدة إلى الأصل، فإنه يلزم بأن يردّ ضعف الحبوب التي استلمها.

٩٥- إذا أقرض تاجر حبوباً أو فضّة بفائدة وأخّر الكيل أو الميزان أو طففهما وهو يقبض مقابل دينه فإنه يفقد كلّ قرضه.

٩٦- إذا أقرض تاجر حبوباً أو فضة في يوم لا يجلس الرقباء فيه، فَقَدَ كلّ ما أقرض.

٩٧- إذا اقترض رجل حبوباً أو فضة ثم لم يجد لديه حبوباً أو فضة لردّ ما أخذ ولكنه وجد بضاعة أخرى، كان عليه أن يظهر الشهود على كلّ ما لديه وأن يعطي ما عنده إلى التاجر فلا يكون للآخر أن يرفض.

٩٨- (غير موجودة).

٩٩- (غير موجودة).

١٠٠- إذا أعطى إنسان فضّة لرجل آخر على سبيل الشركة في عمل، فإن نتيجته تعلن أمام الله سواء أكانت ربحاً أم خسارة ويتقاسمها الاثنان سواسية.

١٠١- إذا أعطى تاجر فضة لبائع متجوّل وأرسله في رحلة ليوظف الفضة التي سلّمها إليه في الشراء والبيع فإن وجد ربحاً قيّده وحاسب التاجر، وإن لم يجد وجب عليه أن يردّ للتاجر مثلي الفضة التي أخذها منه.

١٠٢- إذا أعطى تاجر فضة لبائع متجوّل بغير أن يقصد التاجر المقرض جني ربح، ثم اصيب المتجوّل بخسارة، ردّ إلى التاجر رأس المال الذي أخذه منه.

١٠٣- وإذا قابله عدو في الطريق وأخذ منه بضاعته، أقسم أمام الله على هذا وبرئت ذمته.

١٠٤- إذا أعطى تاجر حبوباً أو صوفاً أو زيتاً أو أيّ بضاعة أخرى لتاجر متجوّل ليتجر بها، قيّد هذه القيمة التي أعطاها للتاجر ثم أخذ منه سنداً مختوماً كمخالصة عن (الفضة) التي سلّمها للتاجر.

١٠٥- إذا أهمل المتجوّل آخذاً هذا السند لم يحتسب ما دفعه.

١٠٦- إذا استلم متجوّل فضة من تاجر ثم قام بينهما نزاع على هذا، أقسم التاجر أمام الله وأمام (الدرز) الذين شهدوا تسليم الفضة تزكية لقوله، وعندئذ يلزم المتجوّل أن يدفع له ثلاثة أضعاف القيمة.

١٠٧- إذا غلط تاجراً متجولاً بأن احتسب عليه أكثر مما أعطاه فعلاً وأعطاه المتجوّل كلّ ما أخذه منه فنازعه، شكاه المتجوّل إلى الله ولزم التاجر جزاء نزاعه أن يعطي غريمه ستة أمثال جميع ما استلمه منه.

١٠٨- إذا رفضت بائعة خمر أن تقبل حبوباً ثمناً للشراب ولكنها قبلت الفضة أو جعلت قيمة الشراب أقلّ من قيمة الحبوب فإنها تحاكم وترمى في الماء.

١٠٩- إذا اجتمع ثوار في منزل بائعة خمر فلم تقبض عليهم وتسلّمهم إلى البيت الكبير فإنها تُقتل.

١١٠- إذا افتتحت كاهنة أو راهبة من راهبات الدير، بعد أن غادرته، حانوتاً للخمر أو دخلته لتحتسي فيه خمراً، فإنها تحرق.



١١١- إذا أعطت بائعة خمر ستين (قا) من الخمر نسيبة، لإحياء حفلة، كان لها عند الحصاد أن تأخذ خمسين (قا) من الحبوب.

١١٢- إذا تواجد رجل في سَفَر وأعطى رجلاً آخر فضة أو ذهباً أو بضاعة منقولة أخرى ليحملها إلى منزله فلم يفعل واحتفظ بها لنفسه، كان للمالك أن يقاضيه من أجل ما أعطاه ولم يسلمه لمنزله، والزم بأن يؤدّي إليه خمسة أمثال من جميع ما أعطاه.

١١٣- إذا ادّعى رجل أن له عند آخر حبوباً أو فضة أو ذهباً وأخذ ما يدّعيه بغير علم غريمة من منزله، ألزم بإعادة ما أخذه وضاع عليه كلّ ما كان عسى أن يثبت له.

١١٤- إذا لم يكن لأحد الرجال دعوى قبل آخر بحبوب أو فضة ولكنه قبض عليه ليعمل مقابل الدّين كان عليه أن يدفع ثلث ماناً من الفضة مقابل كلّ قبضة.

١١٥- إذا كان لشخص دعوى على آخر وقبض عليه ثم مات في منزله انتهت الدعوى.

١١٦- وإذا مات المقبوض عليه بسبب الضرب أو سوء المعاملة استدعي رئيسه التاجر الذي حبسه ليحاسبه. فإن كان حراً قُتِل ابنه، وإن كان عبداً دفع ثلث ميماً من الفضة وفقد كلّ ما أعطاه لمدينه.

١١٧- إذا تعاقد رجل على دَيْن وقدّم زوجه أو ولده أو بنته مقابل الدَّين، ألزموا بالخدمة في منزل الدائن ثلاث سنين واستعادوا في العام الرابع حالتهم الأولى.

١١٨- وإذا كان قد قدّم عبداً أو أمة مقابل الدين فباعه التاجر فلا دعوى.

١١٩- وإذا قدّم أمة مقابل الدّين وكان قد أولدها أولاداً وباعها لتاجر، ألزم صيدها بردّ ما أخذ من التاجر وحررت الأمة.

١٢٠- إذا خزّن رجل حبوبه في منزل آخر فأصابه ضرر أو فتح صاحب المنزل الفتحة التي تنزل فيها الحبوب أو تنازعا حول مقدار المخزون، أعلن صاحب الحبوب مقدارها أمام الله وألزم صاحب المنزل بأن يؤدّي إليه الضعف.

١٢١- إذا خزّن رجل حبوبه في منــزل آخر وجب أن يدفع أجراً لخزن خمسة (قا) عن كلّ (جر) في كل عام.

١٢٢- إذا أراد رجل أن يودع آخر فضة أو ذهباً أو أيّ شيء آخر عرض كلّ مـا سيودعه أمام (الدرز) وحرّر عقداً ثم أجرى الإيداع.

١٢٣- وإذا أودع شيئاً بغير محضر من (الألدرز) وبغير عقد ونازعه الوديع فلا تقبل دعوى المودع.

١٢٤- وإذا أودع أمام (الألدرز) ثم نازعه الوديع قاضاه المودع والزم الوديع بـأن يؤدّي له ضعف الوديعة.

١٢٥- إذا أودع رجل بضاعة فضاع منها شيء كما ضاعت بعض أشياء الوديـع معها كان على الوديع أن يعيد للمودع أشياءه سليمةً وأن يتتبع السارق ليستردّ ما فقد منه.

١٢٦- إذا لم يفقد الرجل كلّ بضاعته ولكنه زعم أنه فقدها كلها كلّف ببيان مـا فقده أمام الله، وأعيد إليه ما فقده.

١٢٧- إذا أشار ببنانه إلى أخت مقدسة أو إلى امرأة رجل آخر بغير مـبرر طـرح بالجاني أمام القاضي ودفعت جبهته بالنار.

١٢٨- إذا تزوّج رجل من امرأة بغير عقد فلا تعدّ زوجته.

١٢٩- إذا وجدت زوجة مضطجعة مع رجل غير زوجها قيّدت مع الرجل وألقيـا في الماء ما لم يتركها زوجها حيّة ويترك الملك خادمه حياً.

١٣٠- إذا اغتصب رجل زوجة لرجل آخر لم يمسّها بعد بشرّ ولم تزل مقيمـة في منــزل أبيها واضطجع في حضنها ثم عثر عليه فإنه يُقتل. وأما المرأة فبريئة.

١٣١- إذا اتّهم زوج زوجته ولكنها لم تضبط مضطجعة مع ذكر آخر، أقـسمت باسم الله على براءتها وعادت إلى منــزل زوجها.

١٣٢- إذا أشير بالبنان إلى زوجة رجل بسبب ذكر آخر ولكنها لم تضبط مضطجعة مع غير زوجها، فإنها تخوض النهر المقدّس من أجل زوجها.

١٣٣- إذا أسرّ رجل وترك في منـــزله طعاماً فغادرت زوجته إلى منـــزل رجل آخر فإنها تُحاكم وتُلقى في النهر لأنها لم تصن جسدها.

١٣٤- إذا اسر رجل و لم يترك في منـــزله طعاماً فغادرت زوجته منـــزله إلى منـــزل آخر فلا لوم عليها.

١٣٥- إذا أسر رجل و لم يترك في منـــزله طعاماً وغادرت زوجتـــه منـــــزله إلى منـــزل آخر فأولدها أولاداً، ثم عاد زوجها الأول إلى المدينة فإنها ترجع إليه. وأما الأولاد فينتسبون لأبيهم.

١٣٦- إذا غادر رجل المدينة فاراً من واجب عليه فدخلت زوجته منـــزل رجل آخر ثم عاد الهارب إلى المدينة فإن زوجته لا ترد إليه.

١٣٧- إذا طلق رجل خليلة أولدها طفلاً أو كاهنة أهدته أولاداً، وجب عليه أن يرد إليها بائنتها وأن يعطيها حق الانتفاع بالحقل والبستان ووجب عليها أن تعطيه الأطفال وحينئذ تعطى مثل نصيب ولد من أولادها وتتزوج من تختـــار مـــن الرجال.

١٣٨- إذا طلق رجل زوجته التي لم تنجب له أولاداً وجب عليه أن يعطيهـــا كـــل الفضة التي اعتبرت صداقاً للزواج وأن يعيد إليها البائنة التي أحـــضرتها مـــن منـــزل أبيها ثم يطلقها.

١٣٩- إذا لم يكن ثمة صداق، أعطاها (مينا) من الفضة مقابل الطلاق.

١٤٠- فإن كان من أفراد العامة أعطاها ثلث (مينا) من الفضة.

١٤١- إذا كانت الزوجة المقيمة مع زوجها قد أشاحت بوجهها تريد الانـــصراف واتهمت بالنشوز والعربدة واهملت زوجها، فإنها تحاكم. فإن قال زوجها «إنها مطلقة» تركها تذهب إلى حيث تريد وليس عليه أن يعطيهـــا شـــيئاً مقابـــل الطلاق. أما لو قال: «إنها ليست مطلقة» فإن له أن يتزوج من امرأة أخـــرى على أن تبقى زوجته القديمة في منـــزله كأمه.



١٤٢- إذا كرهت امرأة زوجها وقالت له «لن أكون لك» بحث سبب بغضها إياه فإن وجدت معتنية به ولا خطأ من جانبها ولكن زوجها يهملها فلا لوم عليها ولها أن تأخذ بائنتها وتعود إلى منـــزل أبيها.

١٤٣- وإن وجدت مهملة تخرج من منـــزلها وتترك زوجها فإنها تلقى في الماء.

١٤٤- إذا تزوج رجل من كاهنة وأعطته الكاهنة أمة أولدها أولاداً وأراد هذا الرجل أن يتزوج خليلته فلا يسمح له بهذا الزواج.

١٤٥- إذا تزوج رجل من كاهنة و لم تهد إليه أولاداً وتزوج من خليلته وأخذها إلى منـــزل، لها أن تكون في صف واحد مع القسيسة.

١٤٦- إذا تزوج رجل من كاهنة وقدمت إليه أمة أولدها أولاداً فجعلـــت الأمـــة نفسها بسبب ذلك في صف سيدتها فليس لسيدتها أن تبيعها بالفضة ولكنـــها تعدّ في صف العبيد.

١٤٧- فإن لم تلد الأمة أولاداً، كان لسيدتها أن تبيعها بالفضة.

١٤٨- إذا تزوج رجل من امرأة انتابها المرض فله أن يتزوج من غيرها ولكن ليس له أن يطلقها بل إنها تبقى في منـــزله وعليه أن يمونها طول حياتها.

١٤٩- إذا شاءت هذه المرأة أن تغادر منـــزل زوجها كان عليه أن يرد إليها بائنتها التي أحضرتها من منـــزل أبيها وأن يتركها تذهب.

١٥٠- إذا أعطى رجل لزوجته حقلاً أو حديقة أو بيتاً أو بضائع وأعطاهـــا لوحـــاً مختوماً ثم مات فليس لأولادها دعوى بالنسبة لما أعطاها ولها أن تمنح ما تتركه بعد وفاتها لمن يروقها من أولادها، ولكن ليس لها أن تعطي شيئاً لأخوتها.

١٥١- إذا قيدت الزوجة زوجها الذي تعيش في منـــزله بألا يقدمها لدائنيه مقابـــل الدين واستلمت لوحاً فليس لدائنه أن يستولي على هذه الزوجة من أجل دين عقد قبل زواجهما، وكذلك لا يقبض دائنها على زوجها من أجل دين عقدته هي قبل ذلك الزواج.



١٥٢- أما لو عقد أحد الزوجين ديناً بعد دخول الزوجة منـــزل زوجها، فإنهمـــا ملزمان معاً بإرضاء الدائن.

١٥٣- إذا قتلت زوجة زوجها من أجل ذكر آخر فإنها توضع على آلة التعذيب حتى تموت.

١٥٤- إذا التقى رجل بابنته التقاءً جنسياً فإنه يطرد من المدينة (لها صلة بالتوراة).

١٥٥- إذا خطب رجل عروساً لابنه و لم يدخل بها ثم نام الأب في أحـــضانها فإنـــه يدفع نصف مانا من الفضة ويرد إليها كل ما جلبته من بيت أبيها ويحل لها أن تتزوج ممن تشاء.

١٥٦- إذا خطب رجل عروساً لابنه ودخل ابنه وبعد ذلك نام الأب في أحـــضانها فإن هذا الأب يقيد ويلقى به في الماء.

١٥٧- إذا نام رجل بعد أبيه في أحضان أمه فإن الابن والأم يحرقان.

١٥٨- إذا عثر على رجل مضطجعاً في أحضان امرأة أبيه التي ولـــدت أولاداً فإنـــه يطرد من بيت أبيه.

١٥٩- إذا أحضر رجل بضائع إلى منـــزل والد خطيبته ودفع المهر ثم تطلع إلى امرأة أخرى وقال لوالد خطيبته الأولى: «لن اقترن من ابنتك» فلـــذلك الوالـــد أن يحتفظ بكل ما أحضر.

١٦٠- إذا أحضر رجل بضائع إلى منـــزل والد خطيبته ودفع المهر ثم تطلع إلى امرأة أخرى وقال له أبو الخطيبة «إنك لن تتزوج من ابنتي» وجب علـــى الأب أن يدفع ضعف ما أخذ و لم يجز للصديق أن يتزوج من الخطيبة.

١٦١- إذا أحضر رجل بضائع إلى منـــزل والد خطيبته ودفع المهر ثم قال الوالـــد: «لن أعطيك ابنتي» وجب عليه (الأب) أن يرد ضعف ما أخذه.

١٦٢- إذا تزوج رجل من امرأة ثم ماتت مخلّفة أطفالاً فليس لأبيها شيء من بائنتها بل هي لأطفالها.



١٦٣- إذا تزوج رجل من امرأة ثم ماتت غير مخلفة أطفالاً وكان الأب قد رد إلى زوجها المهر الذي سبق أن دفعه فليس للزوج حق في بائنتها بل كانت من حق منزل أبيها.

١٦٤- إذا لم يكن الأب قد ردّ المهر إلى الزوج فإن الزوج يأخذ المهر ويرد البائنة إلى الأب.

١٦٥- إذا وهب الرجل ولده الذي يؤثره حقلاً أو بستاناً أو بيتاً وختم له لوحاً ثم مات الأب وتقاسم الأولاد التركة، كان للابن أن يحتفظ بما وهبه أبوه وأن يأخذ أيضاً نصيبه في باقي التركة.

١٦٦- إذا زوج رجل أولاده الذكور إلا ذكراً طفلاً وتوفى الأب قبل تزويجه، ثم تقاسم الإخوة تركة الأب، وجب أن يعطوا للأخ الذي لم يزوجه أبوه فضة تساوي قدر المهر وذلك زيادة عن نصيبه ليتزوج بها.

١٦٧- إذا تزوج رجل من زوجة وأولدها أولاداً ثم توفيت فتزوج من أخرى أولدها أولاداً ثم توفي الأب، فإن أولاد كل زوجة يأخذون (بائنة) أمهم وأما تركة الأب فيتقاسمها أولاد الزوجتين على قدم المساواة.

١٦٨- إذا اعتزم رجل حرمان ولده وقال للقاضي «إني أحرم ولدي»فإن على القاضي أن يبحث الأسباب التي يقدمها الأب ويرفض تخليه عن ابنه إن وجد أن الولد لم يقترف جريمة ثقيلة تبرر التخلي عنه.

١٦٩- إذا كان الولد قد اقترف ضد أبيه جريمة ثقيلة تبرر التخلي عنه، فإنه يولي وجهه جانباً جزاء على جزاء هذه الجريمة الأولى. فإن عاد إلى مثل ذلك مرة أخرى كان للأب أن يحرمه من أبوته.

١٧٠- إذا توفي رجل عن أولاده من زوجته وأولاد من أمته وكان قد قال في حياته لأولاد هذه: «يا أولادي» واحتسبهم بين بنيه، فإنهم يتقاسمون تركته مع أولاد زوجته على قدم المساواة مع إعطاء أولاد الزوجة حق اختيار القسم الذي يفضلونه.

١٧١- (أ) وإذا لم يكن قد قال لأولاد الأمة في حياته: «يا أولادي» فلا يكون لهم حقّ في التركة وإنما يحررون هم وأمهم بعد موته ولا يكون لأولاد الزوجة عليهم حقّ القيام بخدمتهم.

(ب) تأخذ الزوجة بعد وفاة زوجها بائنتها وما كتب وصيته لها، ولها أن تقيم في منزل زوجها بشرط ألاّ تبيعه بفضة فإنه من حقّ أبنائها من بعدها.

١٧٢- (أ) إذا لم يكن زوجها قد أوصى لها بشيء فإنها تأخذ بائنتها وتأخذ من التركة نصيباً مساوياً لنصيب الولد. فإن ضايقها أبناؤها رغبة في أن تغادر المنزل نظر القاضي في الأسباب فإن وجدهم غير محقين أبقاها في المنزل.

(ب) إذا رغبت هذه المرأة من تلقاء نفسها في الخروج من منزل الزوج، أخذت بائنتها وألزمت بترك ما أوصى به الزوج لها وكان لها أن تتزوج ممَّن تشاء.

١٧٣- إذا حملت هذه المرأة إلى بيت زوجها الجديد أولاداً من زوجها القديم ثم توفيت تقاسم جميع أولادها، من الرجلين، بائنتها.

١٧٤- وإذا لم تحمل أولاداً إلى بيت زوجها الجديد فإن بائنتها تكون من حقّ أولاد الزوج الأول فقط.

١٧٥- إذا تزوج عبد مملوك لبيت كبير أو لأحد العامة من ابنة رجل حرّ وأولدها أولاداً فليس للسيّد حقّ الخدمة على هؤلاء الأولاد.

١٧٦- (أ) إذا تزوج عبد مملوك لبيت كبير أو لأحد العامة من ابنة رجل حرّ ودخلت بيته ببائنة أحضرتها من بيت أبيها ثم اقتنى الزوجان أملاكاً وتوفي العبد، فإن الزوجة تأخذ بائنتها، وتُقسم باقي الأشياء قسمين: أحدهما تأخذه لأولادها والآخر لسيّد العبد.



(ب) إذا لم يكن للزوجة الحرّة بائنة، فإن كلّ ما اقتنته وكلّ ما اقتناه العبد منذ زواجهما يُقسم قسمين: واحد لسيّد العبد والآخر تأخذه لأولادها.

١٧٧- ليس لأرملة ذات أولاد أن تغادر بيتها إلى بيت جديد بغير إذن من القاضي وعلى القاضي أن يبحث في منزل الزوج السابق ويحصي موجوداته ويحرّر بها لوحاً ويجعل المنزل في حراسة الأرمل وزوجها الجديد فيحفظانه ويحفظان الأولاد وليس لهما أن يبيعا شيئاً بالفضة. فمن اشترى منها شيئاً فقد نقوده واستردّ المالك ملكه.

١٧٨- (لا توجد مادة مدونة في المجلة).

١٧٩- لا يجوز ادعاء بنوة من تبناه أحد أفراد العامة، وعلمه حرفته.

١٨٩- فإن لم يكن قد علمه حرفته عاد ذاك الولد إلى بيت أبيه.

١٩٠- إذا تبنى رجل طفلاً ورباه، ولكنه لم يحتسبه بين بنيه، عاد الطفل إلى بيت أبيه.

١٩١- إذا تبنى رجلاً طفلاً ورباه، ثم بنى أسرة ورزق أولاداً، ثم أراد الأب ترك ذلك الطفل، وتسريحه في منزله، فليس له ذلك، وعليه أن يعطيه من منقولاته ثلث نصيب الولد، وعندئذ يغادر منزل متبنيه، ولكنه لا يأخذ من الحقل ولا من الحديقة ولا من المنزل شيئاً.

١٩٢- يقطع لسان الطفل الذي تبناه أحد رجال الهيكل أو إحدى نسائه إذا قال لمتبنيه لست أبي أو لمتبنيته لست أمي.

١٩٣- تفقأ عين الطفل الذي تبناه أحد رجال الهيكل أو أحد نسائه إذا عرف بيت أبيه فاحتقر متبنيه أو متبنيته.

١٩٤- إذا عهد بأحد الأطفال إلى ظئر فمات في يديها فاستبدلت به طفلاً آخر بغير علم من أبيه وأمه، فإنها تحاكم ويقطع ثدياها.

١٩٥- إذا ضرب ولد أباه، تقطع يداه.



١٩٦- إذا أتلف رجل عين رجل حرّ، فإن عينه تتلف.

١٩٧- إذا كسر رجل عظمة رجل حر، تكسر عظمته.

١٩٨- إذا أتلف رجل عين رجل من العامة أو كسر عظمته ألزم بدفع (مانا) من الفضة.

١٩٩- إذا أتلف عين عبد أو كسر عظمته الزم بدفع نصف ثمنه.

٢٠٠- إذا خلع رجل سن رجل آخر من نفس مرتبته، خلع سنه.

٢٠١- إذا خلع سن رجل من العامة دفع ثلث (مانا) من الفضة.

٢٠٢- إذا ضرب رجل رجلاً أكبر منه مقاماً، جلد ستين جلدة بسوط مصنوع من جلد، وسط الجمعية.

٢٠٣- إذا ضرب رجل حر ولداً لرجل حر من نفس مرتبته، دفع (مانا) من الفضة.

٢٠٤- إذا ضرب أحد أفراد العامة فرداً آخر من العامة، دفع ١٠ شيقلات من الفضة.

٢٠٥- إذا ضرب رجل رجلاً آخر خلال نزاع وجرحه، أقسم إنه لم يضربه عامداً، ألزم بدفع نفقات الطبيب.

٢٠٦- إذا ضرب عبد مملوك لرجل ولداً لرجل حر، تقطع أذنه.

٢٠٧- إذا مات المضروب متأثراً بالضرب، أقسم نفس اليمين، وألزم بدفع نصف (مانا) من الفضة إذا كان القتيل ابناً لرجل حر.

٢٠٨- فإن كان ابناً لأحد أفراد العامة ألزم الضارب بدفع ثلث (مانا) من الفضة.

٢٠٩- إذا ضرب رجل بنت رجل حرّ، فأجهضت، ألزم بدفع عشر شيقلات من الفضة جزاء إجهاضها.

٢١٠- فإن ماتت تلك المرأة ذبحت ابنة القاتل.

٢١١- وإذا أجهض ابنة رجل من العامة بسبب الضرب ألزم بدفع خمس شيقلات من الفضة.

٢١٢- فإن ماتت تلك المرأة ذبحاً الزم بدفع نصف (مانا) من الفضة.

٢١٣- إن ضرب أمة الرجل فأجهضها دفع شيقلين من الفضة.

٢١٤- فإن ماتت تلك الأمة ألزم بدفع ثلث مانا من الفضة.

٢١٥- إذا عالج طبيب رجلاً حراً بسكين من البرونز مداواة لجرح شديد، وشفي الرجل أو فتح له فتحة في جسمه بسكين من البرونز وشفيت عين الرجل فإنه يؤخذ عشر شيقلات من الفضة.

٢١٦- فإن كان من أفراد الشعب فإنه يأخذ خمس شيقلات من الفضة.

٢١٧- فإن كان عبداً لرجل فإن سيده يدفع شيقلين من الفضة للطبيب.

٢١٨- إذا عالج طبيب بسكين معدنية جرحاً خطيراً لرجل وسبب موته، أو فتح جنبه (خراجة) بسكين معدنية وأتلف عين الرجل فإن يديه تقطعان.

٢١٩- إذا عالج طبيب بسكين معدنية عبداً مملوكاً لرجل من أفراد العامة بسبب جرح شديد فسبب موته أدى عبداً لقاء العبد.

٢٢٠- فإن كان قد فتح جنبه بسكين معدنية وأتلف عينه، ألزم بأن يدفع فضة تساوي نصف ثمنه.

٢٢١- إذا أجبر طبيب عظمة مكسورة لرجل آخر وأعاد لحمه، فعلى المريض أن يدفع للطبيب خمس شيقلات من الفضة.

٢٢٢- فإن كان ولداً لأحد أفراد العامة دفع ٣ شيقلات من الفضة.

٢٢٣- فإن كان عبداً لرجل دفع سيده شيقلين من الفضة إلى الطبيب.

٢٢٤- إذا عالج طبيب الثيران والحمير (البيطري) ثوراً أو حماراً من جرح شديد فشفي، دفع مالك الحيوان إلى الطبيب سدس شيقل من الفضة.

٢٢٥- فإن عالج ثوراً أو حماراً من جرح شديد وسبب موته، دفع إلى صاحبه ربع ثمنه.



٢٢٦- إذا وسم دماغ عبد بغير علم من سيّده بميسم العبيد غير القابلين للتصرف قطعت يدا الدّمّاغ.

٢٢٧- إذا خدع رجل دمّاغاً وجعله يسم عبداً بميسم العبيد غير القابلين للتصرف، فإن ذلك الرجل يُذبح ويُدفن في نفس بيته. أما الدمّاغ فيقسُم قائلاً: إنني لم أسمّه عامداً، فيبرّأ.

٢٢٨- إذا بنى بنّاء منزلاً لرجل وأنجز بناءه أعطاه شيقلين من الفضة عن كلّ (سار) من سطح المنزل.

٢٢٩- إذا بنى بنّاء لرجل، منزلاً و لم يكن عمله متيناً وسقط المنزل وقتل ساكنه ذبح البنّاء.

٢٣٠- فإن قتل ابن الساكن، ذبح ابن البناء.

٢٣١- وإن قتل عبد الساكن، أعطاه البناء عبداً بعبد.

٢٣٢- فإن تلفت أشياء وجب عليه أن يردّ مثلها، ولأن المنزل الذي بناه لم يكن ميتناً، ولأنه سقط، فإنه يلزم أن يعيد بناءه على نفقته.

٢٣٣- إذا بنى بنّاء منزلاً لرجل و لم يكن عمله كما يجب وتشقق جداره، وجب على البناء أن يرممه على نفقته.

٢٣٤- إذا بنى باني السفن سفينة حِملها ستون طناً، دفع له شيقلان من الفضة.

٢٣٥- إذا صنع صانع السفن سفينة لرجل و لم يكن عمله متيناً، وعجزت السفينة عن العمل في نفس عام صنعها وجب على الصانع أن يقوّيها على نفقته ويعيدها إلى صاحبها.

٢٣٦- إذا أجرّ رجل سفينة لآخر فأهملها فغرقت وضاعت، وجب عليه أن يردّ إليه بدلاً منها.

٢٣٧- إذا استأجر رجل نوتياً وسفينة وحمّلها حبوباً وصوفاً وزيتاً وممراً، أو أيّ بضاعة أخرى، وكان النوتيّ مهملاً فأغرقت السفينة وضاع حملها، وجب على النوتيّ أن يقدّم سفينة بدلاً من التي أغرقها، وأن يردّ مثل البضاعة التي أض

٢٣٨- إذا أغرق نوتيّ سفينة لرجل ثم انتشلها دفع نصف ثمنها فضة.

٢٣٩- إذا استأجر رجل نوتياً دفع له ستة (جرات) من الحبوب سنوياً.

٢٤٠- إذا صدمت سفينة ركاب سفينة بضائع وأغرقها، ادّعى مالك السفينة المغرقة بكل ما فقده أمام الله وألزمت سفينة الركاب بأن تردّ مثل السفينة المغرقة وما ضاع فيها.

٢٤١- إذا حجز رجل ثوراً دفع ثلث (مانا) من الفضة.

٢٤٢- إذا استأجر رجل ثوراً فإن أجرته في العام ٤ جرات من الحب.

٢٤٣- وأجرة البقرة الحلوب ثلاث جرّات من الحب تعطى لمالكها.

٢٤٤- إذا استأجر رجل ثوراً أو حماراً فقتله السبع في المزارع فهذا شأن المالك.

٢٤٥- إذا استأجر رجل ثوراً وسبب قتله بإهماله أو بضربه وجب عليه أن يرد ثوراً بدلاً عنه إلى صاحبه.

٢٤٦- إذا استأجر رجل ثوراً وفقأ عينه وجب عليه أن يعطي صاحبه نصف ثمنه فضة.

٢٤٧- (مفقودة).

٢٤٨- إذا استأجر رجل ثوراً وكسر قرنه أو قطع ذيله أو أتلف وجهه وجب أن يدفع ربع ثمنه فضة.

٢٤٩- إذا استأجر رجل ثوراً فمات بإرادة الله، أقسم المستأجر باسم الله وبرئ.

٢٥٠- إذا قابل ثور مجنون رجلاً في الطريق ونطحه وقتله فليس لهذه القضية علاج.

٢٥١- إذا كان ثور أحد الرجال معروفاً تعوّد النطح ولم يقصّ قرنيه ولم يقيّده ثم نطح الثور رجلاً حراً وقتله، وجب عليه أن يدفع نصف ماناً من الفضة.

٢٥٢- إذا أجّر رجل حقله لآخر ليقيم فيه وأعطاه بذور وحبوب وزوّده بثيران وتعاقد معه على زراعة الحقل فسرق البذور أو المحصولات وضبطت في يديه، قطعت يداه.

٢٥٣- فإن كان القتيل عبد رجل وجب عليه أن يدفع ثلث ميناً من الفضة.

٢٥٤- فإن كان قد استلم الحبوب ولكنه أضنى الثيران وجب عليه أن يرد ما يساويها.

٢٥٥- إذا كان قد أجر لغيره ثيران لرجل أو سرق البذور و لم يزرعها في الحقل، فإن هذا الرجل يحاكم ويدفع ستين (جرا) من الحب مقابل كلّ (جان).

٢٥٦- فإن لم يستطع تقديم التعويض وضع مع الماشية في الحقل.

٢٥٧- إذا استأجر رجلاً فادحاً أعطاه ثمانية جرّات من الحب سنوياً.

٢٥٨- إذا استأجر رجل راعياً أعطاه ست جرّات من الحبوب سنوياً.

٢٥٩- إذا سرق رجل ساقية دفع خمس شيقلات من الفضة.

٢٦٠- إذا سرق رجل شاذوفاً أو قصابة، دفع ٣ شيقلات من الفضة.

٢٦١- إذا استأجر رجل راعياً للماشية والأغنام دفع له ثمانية جرّات من الحبوب سنوياً.

٢٦٢- (ممحوّة).

٢٦٣- إذا فقد ثوراً أو نعجة وكّل إليه ردّ المال ثوراً بثور ونعجة بنعجة.

٢٦٤- إذا قبض الراعي أجرته وكما اتفق عليها وأرضى قلبه لكنه سبب نقصان الماشية أو الأغنام التي عهد بها إليه، وجعل النتاج يتناقص، وجب عليه أن يقدّم من النتاج والعدد مثل ما اتفق عليه.

٢٦٥- إذا كذب الراعي الذي عهد إليه بالماشية أو الأغنام ليرعاها وغيّر اتفاقه، وباعها بفضة، حوكم وألزم بأن يردّ إلى أصحابها عشرة أمثال ما سرقه.

٢٦٦- إذا أنزل الله صاعقة على القطيع وأكلها السبع أبرأ الراعي ضميره أمام الله، وتحمّل المالك الهلاك.

٢٦٧- إذا أخطأ الراعي وتسبب في خسارة القطيع وجب عليه أن يردّ إلى مالكه بدلاً مما تسبب في فقده وأن يعيد القطيع إليه.

٢٦٨- إذا استأجر رجل ثوراً للطحن دفع أجرته عشرين (قا) من الحبوب.

٢٦٩- إذا استأجر حماراً للطحن دفعت أجرته عشر (قا) واحد من الحبوب.

٢٧٠- إذا استأجر حماراً صغيراً للطحن دفعت أجرته (قا) واحد من الحبوب.

٢٧١- إذا استأجر رجل ماشية وعربة وسائق عربة، دفع ١٨٠ (قا) من الحبوب عن كلّ يوم.

٢٧٢- (لا توجد المادة في المجلة).

٢٧٣- إذا استأجر رجل عاملاً دفع أجرته ٦ حبات من الفضة عن كل يوم منذ ابتداء العام حتى الشهر الخامس، وخمس حبات من الفضة عن كل يوم ابتداء من الشهر السادس إلى آخر العام.

٢٧٤- إذا استأجر رجل ولداً من أولاد الشعب دفع أجرته عن كل يوم:

أ- خمس حبات من الفضة.

ب- خمس حبات من الفضة.

ج- غازل الكتان خمس حبات من الفضة.

د- غازل الكتان خمس حبات من الفضة.

ه- النجار أربع حبات من الفضة.

و- عامل الجلد أربع حبات من الفضة.

ز- باني السفن أربع حبات من الفضة.

ح- باني المنزل أربع حبات من الفضة.

٢٧٥- إذا استأجر رجل سفينة فإن اجرها ٣ حبات من الفضة في اليوم.

٢٧٦- إذا استأجر رجل سفينة ركاب فإن أجرها حبتان ونصف من الفضة في اليوم.



٢٧٧- إذا استأجر رجل سفينة تحمل ستين طناً دفع سدس شيقل مـــن الفــضة في اليوم.

٢٧٨- إذا اشترى رجل عبداً ذكراً وأنثى وقبل أن يتمّ شهره انتشر الصرع، ردّه إلى البائع وأخذ الثمن الذي دفعه.

٢٧٩- إذا اشترى رجل عبداً ذكراً وأنثى، ثم أدعاه آخر فالبائع هو المسؤول أمـــام المدّعي.

٢٨٠- إذا اشترى رجل عبد رجل آخر أو أمته في أرض أجنبية، فلما بلـــغ وســـط البلاد عرف السيّد عبده أو أمته، فإن كان العبد أو الأمة من أهل البلاد حرّر بغير ثمن.

٢٨١- فإن كان منتسباً لبلاد أخرى أقسم المشتري أمام الله مبيناً الفضة التي دفعها، فيعطيه السيّد مثلها ويستردّ العبد أو الأمة.

٢٨٢- إذا قال عبد لسيّده: «لست سيّدي» حوكم كعبد وصَلَمَ السيّد أذنه.

****



الديانة الأشورية البابليّة

حتى نهاية حضارة ما بين النهرين، كانت الآلهة السومريّة المتعـددة باقيـة في التراث الدينيّ، وتقدّم لها الترانيم والتراتيل، وتُبنى لها المعابد. و لم يُهمَل أحد منها عن قصد. لكن في الألف الثاني ق.م. وبقيام مملكتيّ بابل وأشور تبدأ زعامة الإله مردوخ في بابل، وآشور لدى الأشوريّين في الشمال. وبذلك أصبحت باقي الآلهـة ثانويّـة كمصدر للقوى الطبيعية. والى جانب مردوخ يقوم في بورسيبا إله الكتابة، وسكرتير مجمع الآلهة. ومع ذلك بقي الأعضاء القدامى في هذا المجمع مثل آنو، إنليـل، آيـا (إنكي) سين (نانا) شمس (أوتو) أدد (إيشكور) عشتار (أنانا) نينورتا ونرجال.

هكذا نرى أن دخول الساميين الغربيين (الأموريين أو الكنعانيين الشرقيين) من سوريا إلى العراق، لم يحدث تغييراً يذكر في البانتيون السومريّ الأكاديّ. وحتى الآلهة التي عبدوها في سوريا، (أمورو – مارتو) قبل نزوحهم إلى العراق (بابل) قد فقدت مكانتها الدينيّة في ما بين النهرين.

والحدث الجديد الهامّ هو رفع مردوخ لمرتبة زعيم الآلهة وامتـصاصه لـصفاتها وحتى حلوله مكان إنليل.

ولكن عبادة مردوخ كانت قضيّة سياسية تخص الدولة قبل الشعب. لذا بقـي حمورابي ورعيته يعبدون آنو وإنليل وآيا وسين وشمس وعشتار وأكثر من ألف إلـه غيرهم. وفي كل المدن بقيّة الآلهة السومريّة... الأكاديّة. لكنها بالغالب أعطيت أسماء سامية بدل السومرية واحتفظت بنفس الصفات كما ذُكر تحت عنـوان البنتيـون السومريّ.

مردوخ هو الإله الوطنيّ لبلاد بابل. نظير الوحي السومريّ إله الرعد والمطـر والعواصف ورمزه أيضاً الثور، خواره الرعد وسلاحه الذي كسبه مردوخ السومريّ ومعناه غير أكيد. وقد فسّره بعضهم «عجل الشمس». مع الزمن أخذ مردوخ يمتص وجود الآلهة الأخرى التي كانت مستقلة من قبل. وفي عهد حمـورابي نحـو ١٨٠٠ ق.م. سُمّي «ابن آيا» (إله الحكمة ومياه العمق). وبعد ذلك سيطر اسم مردوخ



المراسلات الرسمية. وقد نُسِبَ إلى آنو إله السماء والى إنليل إله الرياح إعطاء السيادة لمردوخ من باقي الآلهة. وهو ابن آيا ودامينكا وزوج ساربانيتوم (أي الفضية أو اللامعة كالفضة).

وملحمة الخلق «أنوما إيليش» العائدة لنهاية الألف الثاني ق.م. تحكي قصة تبوّء مردوخ هذه السيادة بقتل تنين الفوضى تيامات وأصبحت صورته معقّدة جداً. إذ اصبح «الإله ذا الخمسين اسماً»، وكل اسم كان صفة لإله أقلّ منه شأناً، «سيد السماء والأرض»، «ملك آلهة السماء والأرض»، «ملك كلّ الآلهة»، و«ربّ الأرباب»، وإن كلّ الطبيعة بما فيها الإنسان مدينة بوجودها له. وحول شخصه نُظّمت ملحمة الخلق البابليّة. وأهمّ عيد لمردوخ هو عيد راس السنة في الربيع في أول نيسان ويرمز الاحتفال إلى وضع العالم في النظام بدل فوضى البدء.

ففي الأيام الأولى من شهر نيسان كانت تعدّ المعابد وتنظّف من أجل الاحتفال. وفي اليوم الرابع تُتلى قصة الخلق (سفر التكوين البابليّ) بكاملها أمام الإله. وفي اليوم الخامس وبوصول «نبو» بن مردوخ من بورسيبا، يبدأ الاحتفال بإعادة تنصيب المُلك هكذا:

يأخذ منه رئيس الكهنة «شارات الملك»، ثمّ يصفعه على خدّه، فيركع أمام مردوخ ويصلّي مؤكداً له أنه حكم بصلاح ولم يسئ قط. عندئذٍ يؤكّد له رئيس الكهنة رضى الله ويردّ له شارات الملك ويصفعه ثانية. فإذا سببت الصفعة انهمار الدموع عن هذا، رضي الإله، وإذا لم يذرف الدمع كانت علامة غضب الإله.

وفي اليوم الثامن يأخذ مردوخ مكانه بين الآلهة المجتمعة في غرفة الأقدار «دوكو». وفي اليوم العاشر يقوم الشعب بالطواف في الزوارق إلى معبد آكيتو رمزاً لخروج مردوخ لمحاربة تنين الشرّ «تيامات».

وفي اليوم الحادي عشر، يقدّم الآلهة ولاءهم لمردوخ بعد النصر، وتنظيم الكون وانتخابه سيّداً من قِبَل الآلهة بعد أن أنقذها من تيامات. وفي اليوم الثاني عشر ينتهي الاحتفال ويعود الإله إلى معبده.



ورأس السنة السومريّ «زجموك» يُحتفل به مرتين في العام الواحد في الربيع والخريف.

أشور، إله مدينة أشور بعد أيام «شمشي- أدد» (١٨١٤- ١٧٨٢ ق.م.)، وقد اعتبروه إنليل السومريّ. وبعد سرجون الثاني شاروكين (٧٢١- ٧٠٥ ق.م.) اعتبروه مثل «أنشار» أبي آنو في أسطورة الخلق السومرية وفي أيام سنحاريب (٧٠٤- ٦٨١ ق.م.) أعطيت له صفات مردوخ. وهو يمنح الملك على بلاد آشور ويساعد الأشوريين على أعدائهم ويتسلّم التقارير من الملك عن سير المعارك. وكان تجسيداً لأطماع الأشوريين مثل يهوه العبرانيّ ولا صفات صالحة فيه: زوجته نينليل وهي في الأصل زوجة إنليل السومري، ومعبده أي شار هرا. ولا يمكن مقارنة شيوع عبادة أشور أو أي إله آخر من آلهة الشرق بشيوع ونفوذ عبادة مردوخ وذلك بارتباط عبادته بحياة بابل السياسيّة والعسكرية والاجتماعية والدينية بعد أن اصبح كبير البانتيون البابلي منذ عهد حمورابي.

كان اسم معبد مردوخ في بابل إسَجيلا (أي المعبد الذي يرفع الرأس) أو «البيت العالي الرأس». وكان مركزاً تشعّ منه علوم الدين والسحر. وكان يشمل مجموعة من الأبنية الكبيرة والعالية إلى الجنوب من معبد أ- تنيم – أن – كي (أي المعبد الذي أساسه السماء والأرض) والذي هو برج بابل الشهير والاثنان يقعان على جانبيّ شارع المسيرة أو المواكب .

ويدلّ على الصلات الوثيقة بين مردوخ ومدينته، قول النبي ارميا عند سقوط بابل (٥٠: ٢و ٣) «أخبروا في الشعوب واسمعوا وارفعوا راية، اسمعوا ولا تخافوا. قولوا أخذت بابل. خزى بيل. انسحق مردوخ، خزيت أوثانها، انسحقت اصنامها. لأنه قد طلعت عليها أمّة من الشمال هي تجعل أرضها خربة فلا يكون فيها مساكن، من إنسان إلى حيوان هربوا وذهبوا».

وفي (٥١: ٤٢- ٤٤): «طلع البحر على بابل فتقطعت بكثرة أمواجه، صارت مدنها خراباً أرضاً ناشفة وقفراً. أرضاً لا يسكن فيها إنسان ولا يعبر فيها ابن آدم.



وأعاقبُ بيل في بابل وأخرج من فمه ما ابتلعه فلا تجري إليه الشعوب بعد، ويسقط سور بابل أيضاً».

ولكن مردوخ ابن آيا البكر. فقد ورث عنه العلم والسحر وصار مثله المعـوذ بين الآلهة. فهو «السيد الذي أحيا بتعويذته الطاهرة الآلهة الموتى، والـذي أهلـك بتعويذته الطاهرة الأشرار جميعاً والذي يحيي بتعويذته الميت ويصحح المريض». كما كان مردوخ «أحكم الحكماء والخبير بين الآلهة» وهو الـ«خنشا» أي الخمسين أو صاحب الأسماء الخمسين التي خلعتها عليه الآلهة.

ويرى «دروم في نسبة الأسماء الخمسين جميعاً إلى إله واحد اتجاهاً إلى التوحيد حيث صارت الآلهة الأخرى جوانب في شخص مردوخ. وهذه الهينوئية كانت تطوراً جديداً في العبادة كما مرّ تحت «أساطير بابل وتطوّر الفكر الديني».

ويمثل الإله مردوخ في السماء كوكب المشتري أو «نبيرو» بالبابلية، ومعناهـا «المعبر» وهو من أسمائه الخمسين: «ليمسك نبيرو بمعابر السـماء والأرض وعلـى الذين يعجزون عن العبور في السماء والأرض أن يسألوه دائمـاً. إن نـبيرو هـو الكوكب الذي يسطع في السماوات: (اللوح ٧ من ملحمة الخلق).

وفي صورة مردوخ نراه وقد لبس تاجاً عالياً أسطوانياً محلّى بالزهور يبرز منـه بعض الريش وله لحية وشعره مرسل في خصل خلف الرأس وثوبه يصل إلى قدمه وقد تناثرت عليه صور نجوم داخل دوائر. يده اليسرى موضوعة على صدره ممسكة بحلقة وعصا رمزاً للسلطة ويده اليُمنى مدلاّة إلى جانبه وقد أمسكت بهراوة. وتقوم علـى حراسته الأفعى الحمراء شروشو وفي أجزائها تتمثّل معظم الحيوانات.

وفي الطقوس ينادون مردوخ «بيلي» أي سيّدي. وينادون زوجته «سربانتيوم» أي (الفضية) «بيكتيا» أي سيّدتي.

وكان مردوخ وزوجته يبجلان حيثما تعلو مكانة بابل. وعندما فـتح ملـوك آشور أرض بابل أعلنوا ولاءهم لآلهتها وفي مقدمتها مردوخ وزوجتـه. وفي عـصر الدولة الكلدانية بلغ مردوخ وزوجته ذروة مجدهما. وبعد أن فتح كوروش الفارسـيّ



بابل بقيت لمردوخ وابنه نبو مكانتهما. وظلا موضع الإجلال بعد ذلك أيام سوريا السلوقية سواء في الحياة الخاصة أم في الاحتفالات الرسمية.

يقول كوروش (٥٥٧- ٥٢٩ ق.م) في كتابة له بمناسبة احتلال بابل: «عندما دخلت بابل كصديق، ولما أقمت كرسي الحكم في قصر الحاكم وسط الأفراح والتهاليل جعل مردوخ الرب العظيم شعب بابل العظيم يحبني وكنت أنا يومياً أعمل على عبادته. وسرّ مردوخ الرب العظيم بأعمالي وأرسل لي بركاته أنا «كوروش».

وقد نظمت التراتيل والمزامير والابتهالات بالأكادية لمردوخ منها ما يصف عظمته ومنها ابتهالات وصلوات عميقة في روحها الأدبيّة بعيدة عن الجمود السومريّ:

ابتهال خاطئ إلى مردوخ يطلب المغفرة:

«أنا منطوٍ كشيخ مسنّ
أيها السيد القويّ مردوخ، يا إله الرحمة
بين البشر مهما كان عددهم
مَن وحده يستطيع أن يفهم إلى الأبد؟
مَن لم يرتكب خطيئة قط؟
من لم يزل قط؟
من يستطيع أن يفهم دروب الله؟
اغفر لي خطاياي التي أعيها
والخطايا التي أجهلها،
أمحُ خطيئتي وأبعد ذنبي!
أنر شكّي وبدّد اضطرابي ..»
«أيها السيد القويّ
فليهدأ قلبك الغاضب



ولتهدأ روحك الوحشية

ولتحسن لكي أحيا بروحك

يا أحكم الآلهة

يا مردوخ السخيّ».

ابتهال يعود لعهد حمورابي:

«جليل عظيم يا ابن "آيا" البكر،

يا راعي البلاد الذي حمى كافة الشعوب مهما بعدت.

أيها الحاكم المطلق لكافة أماكن العبادة،

يا مَن اسمك على لسان جميع البشر بالمديح والخير،

يا مردوخ، أيها السيد العظيم، بأمرك الأميريّ

علّني أبقى سالماً صحيحاً، لأتسبّح بحمد ألوهيتك

اجعل رغباتي تتحقق،

اجعلني أنطق بالحق،

إجعل الخير يسكن في قلبي

يجب أن يبشر الحرس والرسل بالخير!

إجعل وليّي الإله أن يقف إلى يميني!

إجعل وليتي الآلهة، أن تقف إلى يساري!

لعلّ الإله الذي يقيني سالماً يبقى إلى جانبي دوماً!

«يا مردوخ أيها السيّد العظيم هب لي الحياة،

واجعل الحياة تنطق في نفسي،

وأنا أظهر أمامك مبتهجاً أشبع نفسي من الطواف حولك».



«**آيا**» هو إنكي السومريّ رب الحكمة والحياة العذبة العميقة «الإبسو» هـــو أبو مردوخ وشريكه في الخلق، من أسمائه الأخرى، نينجيكو، وهذا دعاء من سرجون الأشوريّ إليه:

«إيه يا نينجيكو يا إله الحكمة

أنت يا من كوّنت العالم.

لتنبثق ينابيعك لسرجون ملك العالم وملك أشور،

حاكم مدينة بابل، وملك سومر وأكاد ومشيد هيكلك،

لتأتِ ينابيعك بماء الرخاء والوفرة ولتروِ أرضه،

اجعل الخبرة العريضة والفهم الواسع

نصيبه المكتوب له،

وحقق لعمله التحام

واجعله يبلغ ما يرمي إليه».

«**سين**» هو إله القمر عند الساميين (البدر) نظير نانا السومريّ. كان مركـــز عبادته الرئيسي في حرّان أيام كانت عاصمة آرامية وأدخل اسمه إلى بابل بدل «نانا» السومري الذي كانت مدينته أور أو أور الكلدانيين المدينة التي خرج منها إبـــراهيم كما في التوراة. واسم أبيه «تارح» أي القمر الهلال. وباسمه سُمّيت شبه جزيرة سيناء أو صحراء سين كما أُدخل اسمه في العديد من أسماء الملوك، مثل سين – موبلليـــت (١٨١٢- ١٧٩٣ ق.م) ملك بابل ووالد حمورابي . نارام – سين (محبوب ســـين) ملك أكاد وحفيد سرجون الأكادي (٢٢٩١- ٢٢٢٥ ق.م.) وشو-سين ملك أور (٢٠٣٨-٢٠٣٠ ق.م.) وابنه أبي-سين (٢٠٣٩- ٢٠٠٦ ق.م.) آخر ســـلالة أور الثالثة.



صلاة بابل إلى سين:

«أيتها الثمرة التي خلقت نفسها

لا حدود لعظمتك

أنت الأم التي ولدت كل شيء

أنت الأب الرحوم المليء بالطيبة

بيدك تمسك حياة العالم أجمع

أيها الإله

إن ألوهيتك تتفجّر عظمة كماء السماء

واتساعاً كماء البحر».

وحسب ملحمة الخلق البابليّة سلّط مردوخ القمر على الليل وجعله زينته. وجعل من دورته مقياس الزمن به يعرف الناس موعد الأيام.

«**شمش**» إله الشمس أو أوتو السومريّ. إله العدل ينير الظلمات ويقود عربته. كلّ يوم يدور فيها حول العالم يرى ما في قلوب الناس ويرى أعمالهم من أجل محاسبتهم. وهو الثاني في الثلاثي الكوكبيّ عند الساميّين: سين، شمش، عشتار.

ترنيمة إلى شمش:

«إيه يا شمش، يا ملك السماء والأرض

يا من توجه كلّ شيء في العلو والأسفل

يا شمش. إن بيدك إعادة الميت إلى الحياة

وتحرير الأسير من قيده

إنك قاضٍ لا سبيل إلى إفساد ذمّته

ومرشد لبني الإنسان



وابن رائع للإله تمرصت

ابن عظيم القوّة والنبل

نور البلاد

وخالق كلّ ما في السماء وما في الأرض

هذا هو أنت يا شمش».

صلاة إلى شمش:

«أيّ إلهيّ

أنت الذي تنير الظلمات

وتضيء وجه السماء

إله الرحمة

الذي يرفع المهان ويحمي الضعيف

أنتَ تقود مجموعة البشر كرجل واحد

بملء رغبتهم يرفعون رأسهم

ويديرون عيونهم نحو نورك

عندما تظهر يمتلئون فرحاً وسروراً

إن شعوباً لا تحصى تتأملك بكلّ بهجة!»

نشيد إلى شمش من أدب بابل

«التلال العالية متوجة سنائك

وشعاعك ينير منبسطات البلاد السهليّة

تتبوأ الجبال وترعى الأرض بناظريك



وتشدّ أطراف الكون إلى أعمق السماوات

ترعى شعوب الأرض

وتكلأ ما بدعه «آيا» الملك مستشارك

تؤتى القوت كلّ مخلوق حيّ

أجل أنت الراعي لكلّ من الأرض ومن تحتها

وكلّ مسعى للبشر بأيّ لسان عبّروا عنه

أنت عالم به وعالم بالأعمال

كلّ الجنس البشري شاخص بناظره إليك

أيّ شمش، الكون متعطش لضيائك

كلّ سيّء نيّة تعطل مسعاه، وتهدم بيوت المستبدّين

وتجازي بالسجن من اعوجّ من القضاة

وتعاقب السيّد الشرّير والفاسد

وكلّ مستقيم يحمي الضعفاء

ينال حظوتك، أي شمش وتطول أيامه

ومن يحكم حسب ضميره من القضاة

يعدّ لنفسه قصراً، وداره منـــزل أمير!»

«**عشتار**» إلهة الحب والجمال السامية، نظيرة إنانا الســومريّة، وهــي نجمــة الزهرة. لقد أعطيت صفات حسنة في الأناشيد ووصفت بأنها «ملكة السماء»، وإنها «نور العالم». لكنها وُصفت أيضاً بأنها «البغي المقدسة» وحيكت حولها الأســاطير لتظهرها محبة بجسدها لا بروحها، خائنة لا تؤمن على عشاقها كما أبرزتها ملحمــة كلكامش، وقد رفض ملك أوروك أن يكون أحد ضحاياها. وهي نظرة أفروديــت اليونانية وفينوس اللاتينية. ولها أسماء كثيرة عند الساميّين مثل عشتروت، أنارغاتا

استارت، «أستير» و«عشتر» عند العرب الجنوبيّين و«عستر» في الحبشة. و«العزة» عند الأنباط. وهي أخت أريشكيفال إلهة العالم السُفلي وأخت شمش وابنة سين، ومن عشّاقها تموز وكلكامش. ومن أساطيرها نزول عشتار إلى الجحيم وحبها لتموز، إلخ...

نشيد بابليّ عن عشتار

«عشتار نور العالم ونور السماء

التي تحنو على التعساء وتنصف المظلومين

التي تنير كلّ الأماكن حيث يسكن البشر.

وتجمع معاً جيوش جميع الأمم،

حكمتك تفوق إدراكنا،

حيث تشعّين- يبعث الأموات إلى الحياة،

والكسحاء ينهضون ويمشون،

وتخف آلام المرضى،

حين تلقين نظرك على وجوههم.

كبيرة هي عشتار

لا أحد يمكنه أن يضاهيها

عشتار تستبقي حياة الأسير وتقي من تعثّر

وهي التي تذلّ المستكبر

وترفع المُهان»

وبما أن عشتار إلهة الحب والتناسل والبغي المقدسة، ماذا حدث عند نزولها إلى الجحيم والحكم عليها بالموت:

«الثور لا ينطّ على البقرة



والجحش لا يلقح رحم الإنسان

والرجل في الشارع لا «يلقح» العذراء.

وعشتار تعشق الرجولة والجمال ولا تخلص. فلما رأت كلكامش بعد أن نظف لديه وأسلحته من دم تنين الشرّ هواوا ولبس الثياب النظيفة وخوذته الذهبية، هامت ه وهي التي «تلصلص» من السماء باحثة عن الحب. فنـــزلت إليه وعرضت حبها، لكنه نفر من خداعها وحقارة الحب الجسدي وأنّبها قائلاً:

«ماذا تفعلين بعشاقك يا عشتار

عندما يعبدك الدواد ألا تسرجينه

ألا تحكمين عليه بجر عربات الحرب الثقيلة.

عندما يفتن بك الرعيان على التلال

ألا تمسخينهم فهوداً تلتهم صغار النعاج؟

ألم تقتلي تموز الشاب إذ أحبك؟

ألم ترسليه إلى «بيت الأموات» بعد الحصاد

فتأتي بعده كلّ عام ثلوج الشتاء

«تنساب من الأهر والوديان وتغمر أرضنا بالصقيع؟

أيتها الموقد الذي ينطفئ وقت البرد

أيتها الباب الذي لا يقي صاحبه نفخ العواصف

أيتها الضرف الثقوب يبلّل ظهر حامله

أيتها الحذاء الضيق يقرص رجل لابسه

إن أصبحت وإياك حبيبين، ألن اشرب نفس الكأس؟».



١- الطوفان السومري والطوفان البابليّ

بين الطوفان السومري والبابلي من جهة والعبريّ من جهة أخرى (التوراتيّ).

إن بطل الطوفان السومريّ هو زيوسودرا والبابليّ أوتنابيشتم والعبريّ نوح. في النص السومريّ نرى آلهة الولادة نينتو تنوح على أولادها البشر لأن مجمع الآلهة السومري الأكادي يقرّر الطوفان وإنكي الحكيم يقرر مدّ يد العون للناس وإنقاذهم زيوسودرا وفي النص البابلي ندمت عشتار لانصياعها لقرار البعض في الطوفان، وآيا قام بكشف القرار الإلهي لأوتنابيشتم. ثم إننا نعرف في آخر النص أن إنليل هو المسؤول عن الطوفان كما هو يهوه في التوراة، ويبدو أنّه هو الذي اقترحه وحمل الآلهة للموافقة عليه، ومن ثم قام بإدارته حتى النهاية وتبدو مسؤولية الطوفان على إنليل، ويستنتج ذلك من كلام آيا «كيف دونما تفكر جلبت هذا الطوفان» ومن كلام عشتار: «تقدّموا جميعاً وقرّبوا من الذبيحة إلاّ إنليل وحده لم يقترب لأنه سبّب الطوفان وأسلم شعبه للدمار».

٢- أسباب الطوفان

في الطوفان التوراتي نلاحظ الأسباب الأخلاقية أن الأرض قد فسدت وامتلأت بالعنف والشرّ. أما البابلي فيعطي تلميحاً للأسباب الأخلاقية حيث نجد آيا في آخر النص يخاطب إنليل قائلاً: «حمل المذنب ذنبه والآثم إثمه...» «أمهله كي لا يفنى ولا تمهله كي لا يفسد» وهذا يدل بوضوح على أن غرض إنليل الأساسيّ من الطوفان كان القضاء على الشرور والآثام.



٣- بطل الطوفان

زيوسودرا كان بطل الطوفان السومريّ، والكلمة تعني «الذي وضع يده على العمر المديد» وذلك اعتماداً على ما أعطته إياه الالهة من حياة سرمدية بعد الطوفان. أما إسم أوتنابيشتم البطل البابليّ «الذي رأى الحياة»، والاسم مشتق من طبيعة المكافأة التي نالها من أنقاضه الحياة على الأرض وهنا تتشبه المسالة (العمر المديد) بين بطلي الطوفان السومريّ والبابليّ ونوح الذي عاش ٩٠٠ سنة وقد عاش أوتنابيشتم في شورباك وهي أقدم المدن في جنوب وادي الرافدين وقد ذكرها بين المدن الخمس عقب ذكر خلق الكون السومريّ. أما زيوسودرا فلا تستطيع معرفة المدينة التي عاش فيها بسبب نقص النص. و لم يخصص التوراة مدينة عاش فيها نوح.

كانت نجاة زيوسودرا لكونه رجل تقيّ صالح وكذلك الأمر بالنسبة لأوتنابيشتم ونوح.

٤- الإعلام عن الطوفان

تتفق النصوص البابلية على أن الإعلام عن الطوفان جاء من الآلهة فزيوسودرا. رأى حلم لم يرَ مثله قط، وسمع صوت يأمره بأن يتلقى رسالة من الآلهة تنبئه بالقرار. كذلك أوتنابيشتم رأى حلم يخاطب به آيا. أما في التوراة فنجد يهوه يتصل بنوح مباشرة دون ستار أو حجاب ودون الحاجة لوساطة الحكم.

٥- السفينة (الفلك)

في السومرية سمّيت السفينة ماجور (السفينة العملاقة) وفي أماكن متفرّقة يصفها النص على أنها سفينة أوتنابيشتم على سبع طبقات. أما عند نوح فثلاث طبقات. أوتنابيشتم استعمل الزيت لنقع مصدّات الماء لكنه كما نوح استعمل النار لطلاء السفينة. وإذا كان أبطال الطوفان قد أمروا كلّ بدوره لبناء سفينة عظيمة لكي تحمل على متنها بذور الحياة لما بعد الطوفان، فإن الرهبة الإلهية تدخل نسب متفاوت

تحديد الشروط المطلوبة والمقاييس لبناء السفينة ويبدو أن أوتنابيشتم كان أكثرهم حرية في ذلك.

ركاب السفينة، بعد أن انتهى أوتنابيشتم من عمله نقل إلى السفينة كل ما يملكه من ذهب وفضّة كما نقل إليها أهله وأقاربه وجميع أهل الحرف ودفع إليها طرائد البريّة ووحوشها ويبدو من سياق النص أن أوتنابيشتم قد حمل معه الطيور، لأنه قام بإطلاق بعضها للاستطلاع. كما حمل مؤن وذخائر ويظهر أن الغاية من ذلك هو حفظ حضارة الإنسان من التدمير النهائي. ونستدل من المقاطع الباقية من السومريّ أن زيوسودرا قد حمل معه بعض الحيوانات بدليل أنه قام بتقديم الشكر للآلهة من خراف وثيران. والنص التوراتيّ يتفق مع نصوص ما بين النهرين من حيث نقل الحيوان والأشخاص والطعام إلاّ أن عدد الأفراد الهائلة في ما بين النهرين زيوسودرا وأوتنابيشتم يتقلّص إلى ثمانية عند نوح، هم نوح والزوجة وأولاده الثلاثة وزوجاتهم. أما الحيوانات المحمولة والأطعمة فهي محدّدة بدقة حسب أوامر الرب.

٦- ابتداء الطوفان

في التوراة يبدأ الطوفان في السنة ٦٠٠ من عمر نوح. في الشهر الثاني في ١٧ منه (السنة العبرية واجر تشرين ثان) بينما البابلية لا تذكر وقت للطوفان (ولكن ايتراحيس في ٥ أيار).

٧- أسباب الطوفان

في البابلية ينشأ الطوفان عن عاصفة وأمطار ومياه سفلية، والسومريّ يؤكد على الأمطار كعنصر أساسيّ. والتوراتي يذكر أن الطوفان نشأ عن أمطار غزيرة وانبثاق المياه السفلية. وباختصار فإن الطوفان كان متشابهاً في البابليّ والتوراتي وذلك بصرف النظر عن عناصر معيّنة.



٨- مدّة الطوفان

في التوراة أربعين يوم وأربعين ليلة وبدأت المياه بالتناقص بعد ١٥٠ يوم. يستنتج تقريباً أن المدة الفاصلة بين بدء الطوفان وخروج نوح من السفينة كانت سنة. أما البابليّ فلا يعطي تفاصيل للزمن بل اكتفى بالقول إن الطوفان كان ٧ أيام و٧ ليالي. وكذلك في السومريّ استمر الطوفان ٦ أيام وليال ولا نستطيع أن نستنتج بدقة مدّة البابليّ، ولكننا نستطيع أن نستنتج قطعاً أنه دام أقلّ من طوفان نوح.

٩- أين استقرّت السفينة؟

لأوتنابيشتم على جبل نصير أي (الخلاص) وقد ورد اسم الجبل في مكتبة في حوليات الملك أشور بانيبال، التي حدّدت مدققة في جنوب نهر الزاب الأدنى، وهو من روافد دجلة. أما عند نوح فقد استقرّت على جبل أراراط في أرمينية ويبدو أن السفينة قد رست في هذه البلاد. وقد ورد أراراط في مواقع أخرى من التوراة للدلالة على قطر وبلاد لا على جبل أشعيا ٣٨/٣٧ وإرميا ٢٧/٥١. وهناك تشابه بين النصوص الثلاث في إطلاق الطيور ومغادرة السفينة. والمسالة المهمة والملفتة للنظر هي تقديم الذبيحة والعهد الإلهي. وهنا يرفع كلّ أبطال الطوفان الأضاحي شكراً على نجاتهم.

سجد زيوسودرا أمام أوتو ونجرتور وقدّم ذبيحة من الغنم وأوتنابيشتم اكسو كروس سجد على الأرض اتيراجيس بين مذبح وقدّم ذبيحة. أطلق الركاب للجهات الأربعة وقدّم أضحية. ونوح قدّم مذبح للرب وأخذ من جميع البهائم والطيور الطاهرة وأصبحت محرقات على المذبح. وهنا يتطابق حرفياً البابليّ مع التوراتيّ. فبعد صرف الأضاحي نقرأ عند أوتنابيشتم (تنشق الآلهة الرائحة الذكية) ونقرأ في التوراة «فتنسّم الرب رائحة الرضى» ويتقبل الرب تقدمة نوح ويندم على فعلته ويقطع على نفسه عهداً أبديّاً ألاّ يدمّر الأرض بطوفان مماثل. وعند أوتنابيشتم ينسى الآلهة غضبهم على



البشر عندما يشمون رائحة الضحية. أما مسألة العهد الإلهي في البابليّ فيستنتج من كلام عشتار «إنني لن أنسى هذه الأيام قط، سأذكره دوماً».

١٠- ملحمة كلكامش

إنها القصيدة الثانية الوطنية لتراث شعب ما بين النهرين. أما القصيدة الأولى فهي قصيدة الخلق «الأنوما إيليش» أي «لما في العلى» وقد سمّى البابليّون والأشوريون ملحمة كلكامش بكلماتها الأولى «شانغبا ايمورد» أي «الذي رأى كل شيء» أو «كاشف كلّ شيء» وهذا الكائن الذي وصل إلى المعرفة هو كلكامش، ويظهر أنه كان فعلاً ملكاً على مدينة أوروك في فترة من الزمن. وليس فقط شخصاً أسطورياً، فيمكن أن تكون بعض أجزاء الملحمة تاريخية، مع أن خيال الكهنة والشعراء قد زاد عليها الكثير من القصص الموشاة بالغرابة والإعجاز كمادّة الشعوب في ملاحمها.

ونملك من هذه القصيدة نصاً سومرياً قديماً، ثم أعاد الأدباء البابليين صياغة النص السومري وعدّلوه كما نرى في بعض النصوص الأكادية التي تعود إلى زمن السلالة البابلية بين عامي ١٩٠٠ و ١٦٠٠ ق.م. لكن النص الذي يعتمد عليه فهو الذي وجد في مكتبة ملك نينوى الأشوري أشور بانيبال (٦٦٩-٦٢٦ق.م) ونجده اليوم في المتحف البريطاني في لندن. كما نجد بعض أجزاء من الملحمة في نصوص حثّية وحورية. مما يدلّ على أن الملحمة كانت معروفة عند الشعوب القديمة. أما مؤلّف الملحمة فغير معروف وهي تعود إلى تراث شعوب زادت عليها على مرّ الزمن ووصلت إلينا بشكلها الحاليّ وتنقسم الملحمة إلى اثنتي عشرة لوحة تتكلم عن كلكامش وخلق أنكيدو. ثم عن مغامرات أنكيدو وكلكامش وثور السماء، وموت أنكيدو، الطوفان، ثم موت كلكامش وإحياء ملك كيش، كلكامش وأنكيدو في العالم السفلي.

اللوح الأول:

«سأعلن للعالم عن مآثر كلكامش



الرجل الذي كان يعلم كلّ شيء

الملك الذي عرف كلّ أقطار العالم،

كان حكيماً، رأى الخبايا وكشف الأسرار،

وأخبرنا عن قصة أيام ما قبل الطوفان

ذهب في رحلة طويلة، تعب وأنهكه العمل.

ولما عاد حفر القصّة كلها على الصخر»(١)

تنطلق الملحمة إذاً من شخص كلكامش الذي كان ثلثه إنسان والثلثين إلـــه. والذي بنى أسوار مدينة أوروك وهيكل يانا حيث يسكن الإله آيا، وإله السماء مـــع زوجته أنثوم بعد صراعه مع أجا ملك كيش وانتصاره عليه، فطغى الغـــرور علـــى كلكامش بسبب قوته واصبح قاسياً مع أبناء مدينته، فهو يدفع الفتيـــان إلى القتـــال ويستدرج الفتيات إلى مجالس المجون:

«كلكامش لا يترك الابن لأبيه

طغيانه لا يكبح في الليل وفي النهار!

أهذا راعي أوروك المحصنة؟

أهذا هو الملك راعي الشعب؟

شجاع وسيم وحكيم،

إن شهواته لا تترك عذراء لحبيبها،

لا ابنة المحارب ولا زوجة النبيل!»(٢)

فاستاء منه مواطنوه وشكوه إلى الآلهة وطلبوا من الإلهة أرورو أن تخلق كائنـــاً قادراً على التصدي له. فأبدعت أرورو شخصية إنكيدو وهو مخلوق بدائي متوحش،

---

1 - بشور، وديع، الميثولوجيا السورية، مؤسسة فكر للأبحاث والنشر، بيروت ١٩٨١، ص ١٨٨.

2 - نفس المرجع، ص ١٩١.



له قوة هائلة ويعيش مع الحيوانات ويهاجم قطعان الرعيان فتشكى الصيادون إلى كلكامش، فأرسل إليه بغياً لتدجينه. فلما رأته البغي أغرته فهربت منه وحوش البرية:

«كشفت البغي عن ثدييها وعرّت صدرها وامتلك مفاتنها

لم تستحي عندما رحّبت بحميته

تجرّدت من ثيابها ونامت معه

لقد علّمت ذلك المتوحش أنوثة المرأة،

عندما انجذب شوقه إليها،

ست أيام وست ليالي نام إنكيدو مع البغي،

وبعد أن أشبع نفسه من مفاتنها

توجه نحو وحوش البريّة،

ولما رأت الغزلان إنكيدو هربت منه،

ذعر إنكيدو لأن جسمه قد تيبّس

ركبتاه لا تتحركان والوحوش قد تركته،

لقد ضعفت خطاه، لم يعد كما كان،

وأما الآن فقد زادت حنكته واتسع فهمه»[١].

بعد ذلك أقنعته البغي بالذهاب إلى أوروك.

اللوحة الثانية:

في طريقه إلى أوروك، يصبح إنكيدو المحامي عن المسافرين والرعيان ويدخل مدينة أوروك ليتحدّى كلكامش الظالم.

---

1 - المرجع السابق، ص ١٩٥.



في هذه الأثناء يراه كلكامش في الحلم فتفسر له الحلم أمه الإلهة نينسون ذات الحكمة البالغة ونلاحظ في هذا الحلم توق الإنسان إلى الصدّيق: [1]

«أمّاه لقد رأيت حلماً آخر

في شوارع أوروك المنيعة طرحت «فأس»

تجمهر الناس حولها لغرابة شكلها

رأيتها فسررت لرؤيتها،

انحنيت فوقها وانجذبت نحوها

أحببتها مثل امرأة وتمنطقت بها»

أجابت أمه التي تعرف كلّ شيء:

«الفأس التي رأيت وجذبتك مثل امرأة هي الرفيق الذي سأقدمه لك. سيأتي بقوة أحد أجناد السماء هو الرفيق الشجاع الذي ينقذ صديقه من الضيق»[2].

وفي هذا الوقت في مدينة أوروك يدخل إنكيدو إليها ويبدّل طباعه فيستولي الحب على قلبه ويفقد الكثير من وحشيته ويتعارك مع كلكامش فيصبح ملكاً عادلاً ويشاركه صديقه إنكيدو الحكم، لكنه لم يكن سعيداً، بل كان يحنّ إلى حياته الأولى حيث كان يتجوّل ويجوب البراري والجبال.

اللوحة الثالثة

يحلم كلكامش حلماً يفسّره له إنكيدو، يتكلّم فيه عن موت الإنسان مهما فعل:

«إن ابا الالهة قد وهبك الملك،

فهذا قدرك،

وأما الحياة الأبدية

---

1 - المرجع السابق، ص ١٩٨.

2 - المرجع السابق، ص ٢٠٢.



فليست من نصيبك

لا تيأس ولا تكتئب»[1]

فلما أدرك كلكامش أن الموت قادم لا محالة، وأن نسبه الإلهي لن ينجيه من مصير البشر، فقرّر القيام بفعل مجيد يخلّد به اسمه بعد موته، لأن الخلود هو خلود الذكر وعمل الإنسان الصالح. وهذا الفعل المجيد رآه إنكيدو في الحلم، وهو يطلب من كلكامش الدخول إلى أرض الأحياء أو الآلهة بعد قتل خمبابا، التنين الذي يحمي غابة الآلهة:

«إلى أرض الأحياء تاق كلكامش إلى السفر، فقال لتابعه إنكيدو: أي إنكيدو، إن الختم والأجر، لم يأتيا بعد بالمصير المحتوم، ولسوف أدخل أرض الأحياء وأخلّد لنفسي هنا اسماً. وفي الأماكن التي رُفعت فيها الأسماء سأرفع اسمي»...

أي أوتو (إله السماء) إني الداخل أرض الأحياء، فكن نصيري... فأجابه أوتو: لكن ما بغيتك من تلك الأرض؟...

أجاب كلكامش:

«أي أوتو، أريد أن أكلمك فاسمع كلمتي. أريدها أن تصل إليك فاستمع لها، يموت الرجل في مدينتي، وقلبه مثقل بالهموم، يهلك الرجل وهو محزون القلب. ها أنذا أنظر من فوق الأسوار فأرى الجثث تطفو على النهر. وأنا سيحلّ بي حقاً نفس المصير. الإنسان أطول إنسان، لا يمكنه أن يعطي الأرض وما دام الآجر والختم لم يعلنا النهاية المقدّرة بعد، فقد عزمت على دخول تلك الأرض لأخلّد اسمي. سأرفع اسمي حيث رُفعت أسماء الرجال العظام وحيث لم تُرفع الأسماء بعد. سوف أرفع أسماء الآلهة».

ثم جرت الدموع على وجهه وقال: «وأسفاه! إن الرحلة طويلة إلى أرض هوبابا، وإذا لم يكن النجاح مقدّراً لهذه المغامرة، فلماذا دفعتني للقيام بها يا شمش (شماش)؟ ووضعت تلك الرغبة الجامحة في قلبي؟ لن يمكنني النجاح دون مؤازرتك؟

---

1 - المرجع السابق، ص ٢٠٢.

وإذا مت في تلك البلاد، فسأموت غير آسف، ولكن إذا عدت فسأقدّم قرباناً من الهدايا والمدائح إلى شمش. فتقبل أوتو شمش دموعه بمثابة قربان، وكرجل رحيم أظهر له الرحمة، وعيّن لكلكامش حلفاء أقوياء، الأبطال السبعة، أبناء أم واحدة... وغادر بعد أن ودّع أبناء مدينته مع إنكيدو الذي قال له خائفاً:

«غابة الأرز مخيفة... ولخمبابا زئير مثل هدير الطوفان... يتنفس موتاً... فكيف تجازف يا كلكامش بحياتك؟...

فتح كلكامش فمه، وقال:

«من الذي يقوى على الفرار من الموت؟

أيام البشر معدودة، أعمالهم هباء بهباء.

أين بطولتك؟ أتخاف الموت؟

أنا أسير أمامك! أكون في المقدِّمة، إذا سقطت ميتاً أخلّد اسمي، يقولون سقط في ساحة القتال ضدّ خمبابا الرهيب، تناديني إذا متّ فيحزن قلبي، لكني أكون مددت يدي، قطعت أشجار الأرز»[1].

اللوحة الرابعة والخامسة

فيذهب كلكامش وإنكيدو وبعد معركة مع خمبابا حارس الأرز، يقتلانه ويقطعان أشجار الأرز. (لوحة ٤ و٥).

اللوحة السادسة

فتعرض عشتار ربّة الجمال الزواج على كلكامش بعد أن أعجبت به، فرفضها لكثرة شرورها وخياناتها، فتشكو عشتار كلكامش إلى أبيها آنو، فيسمح لها بإرسال ثوراً سماوياً للانتقام من الملك ومدينته، فحوّل الثور البساتين إلى أرض قاحلة، وشرب

---

1 - أنيس فريحة، ملاحم وأساطير من الأدب السامي، دار النهار، بيروت، بدون تاريخ، ص .

النهر، فجف ماؤه، فهلك الكثير من سكان مدينة أوروك، غير أن كلكامش توصل مع رفيقه إنكيدو إلى قتل ثور السماء، فتغلّب بذلك على الإلهة عشتار، وقدّم رأس الثور هدية إلى الإله شمش (باللوح ٦).

اللوحان السابع والثامن: موت إنكيدو ودفنه

قرّر الإلهان آنو وإنليل موت إنكيدو بالرغم من معارضة الإله شمش موت إنكيدو. فمات إنكيدو بعد ثلاثة عشر يوماً من الحمّى والألم، وهو يلعن المدينة والبغي التي أفقدته جمال وحشيته الطبيعيّة، ثم ندم على لعنته ومات. ومن كلمات إنكيدو لعن باب الخشب وكأنه يخاطب بشرياً:

«يا خشب الباب البليد الذي لا يشعر، بحثت عنك عشرين فرسخاً حتى رأيت الأرز الشاهق،

لا مثيل لخشبك في بلادنا،

صايغ ماهر من نيبور قد صنعك،

ولكن آه لو علمت ما ستكون النتيجة،

لو علمت ماذا سيحلّ بي منك،

إذن لرفعت البلطة وقطّعتك إرباً

بوابة قصب بدلاً منك»...

ثم يحلم حلماً يفسّره كلكامش لإنكيدو

«الحلم يرى أن الشقاء يأتي في النهاية، وحتى الرجل السليم نهاية حياته الحزن».

وتكون آخر كلمات إنكيدو:

«لقد خفت السقوط، لكن طوبى لمن يسقط في المعركة».

وبعد وفاته، جرت مناحّة عظيمة لإنكيدو وبكى كلكامش طويلاً وصنع له تمثالاً ليخلّده.



اللوح التاسع: البحث عن الخلود

بعد موت إنكيدو، لم يعد في عقل كلكامش سوى فكرة واحدة وهي محاربة القدر والسيطرة على الموت الذي سيسيطر عليه كما سيطر على صديقه إنكيدو:

«كيف أقدر أن استريح؟

كيف أن أجد السلام؟

اليأس قد دخل قلبي،

والحسرة تملأ أحشائي،

ماذا حلّ بأخي الآن،

ألن يكون مصيري كذلك حين أموت؟

إني لأخشى الموت فأهيم في البراري

وموت صديقي يجثم ثقيلاً على قلبي

ولن أقوم بعد الموت، بل سأفنى أبد الدهر».

فسمع أن شخصاً يدعى أوتونابشتوم قد نجا من الطوفان، ومنحته الآلهة الحياة الأبدية وهو يسكن في حديقة الشمس حيث لا مرض ولا موت ولا عجز ولا شيخوخة، فذهب إلى أوتونابشتوم بعد مغامرات كثيرة حيث يلتقي بالرجل العقرب الذي يحذره من دخول أرض الآلهة حيث لا نور ولا شمس تشرق وحيث الظلمة دائمة فيقول:

«أنا ذاهب مهما كان الشقاء

لا أبالي بالحزن والألم، لا يؤذيني الحرّ والبرد،

إن تحسّرت، إن تأوّهت إن تأوهت... أنا ذاهب»...

«ومشى كلكامش في الظلام،

لساعات مشى في الظلام،

لا نور، لا شروق شمس، بل ظلام دامس



لم يرَ أمامه، لم يقدر أن يرى خلفه.

لساعاتٍ مشى في الظلام...

ثم رأى الشروق، رأى الشمس...

اللوحة العاشرة

وبعد ذلك التقى بصاحبة الحانة المقدّسة سابتيم فقالت له، بعد أن شكى إليها موت صديقه الحبيب:

«إلى ابن أنت ذاهب يا كلكامش؟

الحياة التي تنشدها لن تجدها،

عندما خلقت الآلهة قدّرت للناس الموت

واستاثرت هي بالحياة الخالدة.

فاملأ بطنك بأطايب الطعام،

ابتهج ليل نهار،

اجعل كل يوم من ايامك عيد فرح وسرور

أرقص، ليل نهار واستسلم للهو

البس الفاخر النظيف من الثياب

إغسل وجهك، استحم، اسبح في الماء

دلّل الولد الذي يمسك بيدك

فرّح قلب الزوجة، الزوجة التي في حضنك

هذا هو نصيب البشريّة من الحياة»[١]

ثم مع النوتيّ أورشنابي، يشكو إليه موت صديقه:

«لماذا يا أورشنابي لا يمتلئ داخلي بالشقاء

---

1 - فريحة، المرجع السابق، ص ٨٥.

ووجهي يشبه المسافر من مكان بعيد،

وملامحي تتجعّد من البرد والحرّ

وكالباحث عن نسمة ريح أهيم في البراري؟

صديقي الأصغر مني سناً ...

صديقي الذي أحببت كثيراً

الذي قاسى معي جميع الشدائد،

أدركه المصير الذي من نصيب البشرية!

ستة ايام وسبع ليال بكيت عليه

حتى سقطت الدودة من أنفه.

وخوفاً من الموت، رحت أجوب

كيف ألزم الصمت؟ كيف أخلد إلى السكينة؟

صديقي الذي أحببت صار طيناً

أأضطجع أنا مثله هكذا

فلا أنهض إلى الأبد؟

فأبحرا سويةً حتى بلغا مياه الموت وفي الجزيرة، يلتقي بأوتنابشتوم الذي نجا من الطوفان فيحادثه هذا عن تفاهة الحياة!..

«مَن يبني بيوتاً تدوم إلى الأبد؟

من يقطع عهداً يدوم إلى الأبد؟

الناس يرثون، يقتسمون، فأي

أرض إرث يدوم إلى الأبد

النهر يطوف، يسبب الفيضان المخرّب

لكن أيطوف النهر إلى الأبد؟



لا، يا كلكامش، لم يكن الخلود منذ القدم،

وما أشبه النائم بالميت!

على سحنتيهما تظهر هيئة الموت!

والعبد كالسيّد، عندما ينتهي الأجل يتساويان.

الآلهة العظيمة، الأنوناكي، تجتمع

«هاماتوم» صانع القدر، يرسم معهم المصائر

الموت والحياة هم الذين يقررونهما،

أما الموت، فأجله لم يكشفوا عنه»[1].

اللوح الحادي عشر: قصة الطوفان وضياع نبتة الخلود

ثم يخبر أوتونابشتوم كلكامش قصة نجاته من الطوفان، والقصة لا تختلف عن قصة الطوفان الواردة في التوراة.

قصة الطوفان[2]

قال كلكامش لأوتونابشتوم القصّي:

«بينما أتطلّع إليك

لا تبدو غريباً بل أنت مثلي!

لست غريباً أبداً، بل نحن متشابهان!

ظننت أني سأجدك بطلاً جاهزاً للمعركة،

بينما تقيم هنا مسترخياً على ظهرك!

كيف قدّر لك أن تنضمّ إلى جامعة الآلهة؟

وأن تحوز الحياة الأبدية؟»

---

1 - فريحة، المرجع السابق، ص ٦٦.

2 - بشور، المرجع السابق، ص ٢٣٨- ٢٤٥.



فأجاب أوتونابشتوم قائلاً لكلكامش:

«سأكشف لك قضيّة غامضة، سأخبرك عن أحد أسرار الآلهة.

أتعرف مدينة شوروباك على ضفاف الفرات؟

كانت المدينة قد هرمت كما هرِم الآلهة بداخلها

كان فيها آنو، ربّ الخلد ووالدهم

المحارب إنليل، مستشارهم،

الإله نينورتا مساعدهم،

وأنوحي الذي يحرس القنوات،

نينحيكو آيا كان أيضاً معهم

وكان يردد كلماتهم لبيت القصب.

تكاثر الناس وصار العالم مكتظاً،

علا ضجيج العالم كخوار الثور البريّ

وأثار الصراخ الإله العظيم.

سمع إنليل الضجة فقال للآلهة في المجمع:

«صُراخ البشر لا يُحتمل، ولا أستطيع أن أنام!

هكذا اتفق الآلهة على إبادة البشريّة

إنليل فعل ذلك، لكن آيا جاء محذراً

إنه لا يحنث بقسمه، فجاء يحذرني بالحلم.

همس كلماتهم إلى بيتي المصنوع من القصب!

«يا بيت القصب، يا بيت القصب! أيها الجدار!

أصغِ إليّ يا بيت القصب، تأمل أيها الجدار!

يا رجل شوروباك، يا ابن أوبارا توتو!



إهدم بيتك وابن قارباً، (تكوين ١٤/٦)

إهجر ممتلكاتك واطلب الحياة.

احتقر متاع الدنيا وانجُ بنفسك.

إهدم بيتك أقول لك، وابنِ قارباً!

إليك مقاييس السفينة كيف تبنيها،

إجعل عرضها كطولها وسقفها كقبة الأبسو (تكوين ١٥/٦)

ثم احمل إلى السفينة بذرة كلّ حي» (تكوين ١٩/٦ و٢٠)

عندما فهمت قلت لسيّدي آيا:

«أنظر، إنه ليشرّفني أن أنفذ أوامرك،

ولكن بماذا أجيب المدينة والناس والشيوخ؟

فتح آيا وخاطبني، أنا خادمه:

«ستقول لهم ما يلي:

لقد علمت أن إنليل غاضب عليّ

فلا أستطيع أن أسكن مدينتكم

ولا ان تطأ قدماي أرض إنليل

إذن إلى الأعماق، سأنزل

هناك سأسكن مع سيّدي آيا.

لكنه سيمطر عليك الوفرة

أفضل الطيور وأندر الأسماك والحصاد الوفير

وفي المساء، راكب العاصفة

سيُنـــزل عليك القمح كالمطر».

مع بزوغ أول فجر جمعت أهل بيتي



أحضر الصغار القار، والكبار باقي اللوازم

في اليوم الخامس بنيت هيكلها

وضعت القاعدة والأضلاع ثم ثبّتُ الألواح

فدّاناً كانت مساحة أرضها

مئة وعشرين ذراعاً كان طول كل جانب (تكوين ٦/١٥)

بنيت فيها ست طبقات سفليّة (تكوين ٦/١٦)

صار مجموع أسطحتها سبعة

تسعة أقسام قسّمتها، تفصل بينها الحواجز

أدخلت أسافين حيث يلزم

رتّبت المجاذيف وحملت المؤن (تكوين ٦/١٤)

صبّبت على الموقد ست (سارات) مكاييل من القار (سار: ٣٦٠٠ ليتر)

ثلاث (سارات) من الإسفلت أيضاً صبّيت، (المثقال نحو ٣ و ٨ ليتر)

ثلاث (سارات) من الزيت الذي نقله الحمالون،

زيادة على (سار) الزيت لسدّ الشقوق

وساران، من الزيت اخترهما قائد السفينة.

ذبحت للعمال ثيراناً (تكوين ٦/٢)

وكلّ يوم ذبحت من الأغنام

قدّمت للصناع خمراً أبيض وأحمر وزيتاً

ليشربوها كما لو كانت مياه النهر

وليحتفلوا كما لو في «عيد رأس السنة»

مسحت يدي ورأسي بالدهن

وفي اليوم السابع اكتمل بناء السفينة.

إنزالها للماء كان في غاية الصعوبة

حرّك الصناع الدعامات التي فوق والتي من تحت

حتى غاص ثلثاها في الماء.

كلّ ما ملكت يداي حملت

كلّ ما لديّ من فضة وذهب،

حملت جميع بذور الحياة

أصعدت للفلك كل عائلتي وأقاربي

مواشي المزارع، حيوان البر وكلّ الصناع.

عيّن شمش السماويّ لي توقيتاً:

«في المساء عندما يرسل المطر راكب العاصفة

أدخل الفلك وأغلق بابه»

اكتمل الزمن وحلّ المسا

راكب العاصفة أرسل الأمطار

استطلعت الطقس وكان مرعباً

فدخلت السفينة وأغلقت الباب

لبزور أموري سلّمت قيادة السفينة وما عليها.

مع خيوط الفجر،

صعدت عن الأفق سحب سوداء

أرعد هدّد وطاف راكب العاصفة (تكوين ٧/١١)

بينما شلاط وأخنيس يتقدمان

نذيرا العاصفة يتحركان فوق السهول والتلال.



نهض آلهة الجحيم:

«نرجال» جذب سدود المياه الواطئة

إله الحرب نينورتا قذف حواجز المياه

الأنوناكي: قضاة الجحيم السبعة رفعوا مشاعلهم

فأضاعوا الأرض بلهيبها المتأجج

الذعر من «هدد» بلغ حتى السماء

إذ أحال إله العاصفة ضوء النهار ظلاماً،

وهشّم الأرض الرحبة كالكأس!

ليوم كامل هبّت عاصفة الجنوب

أخذت تتسارع فتغمر الجبال

وتنقضّ على الناس كالمعركة

لم يعد الأخ يرى أخاه

ولا الناس ترى من السماء

حتى الآلهة ارتعبت من الطوفان

هربت وصعدت إلى أعلى سماء، سماء آنو

اقبعت الآلهة كالكلاب جنب الجدران.

عشتار صرخت كامرأة آلمها المخاض!

بصوتها العذب ناجت ملكة السماء:

وأسفاه: فقد استحال الزمان الأول إلى طين (تكوين ٧/٦٣)

لأنني تكلّمت بالشرّ في مجمع الآلهة

كيف أمرت شراً في المجمع المقدّس؟

كيف أعلن حرباً تدمّر رعيتي،

وأنا التي تسعى لتزيد توالدهم؟
أما خُلق البشر إلاّ ليملأوا البحر كالأسماك؟
«إنليل! أنت الحكيم بين الآلهة أنت الشجاع.
كيف بدون فكر تسبب الطوفان؟
الخاطئ أنهكه بخطيئته،
ومرتكب الجريمة أثقله بجريمته!»
آلهة الأنوناكي شاركوها البكاء.
جلس الآلهة بانصياع وانحنوا يبكون.
ستة أيام وست ليال تنفخ الرياح،
الطوفان وعاصفة الجنوب يغمران الأرض،
الأعاصير والعواصف ثارت كالحشود المتحاربة
ومع فجر اليوم السابع هدأت عاصفة الجنوب
هدأ البحر، سكن الإعصار وتوقف الطوفان (تكوين ٨/١-٢)
تطلّعت إلى وجه العالم فكان سكون
البشريّة كلّها استحالت طيناً!
ووجه البحر كان منبسطاً كالسطوح.
فتحتُ كوّة، فسقط النور على وجهي (تكوين ٨/٦)
بقيت جالساً إذ وهنت قواي
انحنيت أبكي، بالدمع تبللت وجنتاي.
عبثاً بحثت عن الأرض في وسط القمر.
على مبعدة أربعة عشر فرسخاً ظهر جبل،
على جبل «نصيراً» استقرّت السفينة، (تكوين ٨/٤)

ستة أيام ثبتت عليه و لم تتزحزح.

ومع اليوم السابع أخرجت حمامة وأفلتها

طارت لم تجد مكاناً تحطّ عليه فعادت!

ثم أخرجت سنونواً وأفلتها،

طارت لم تجد مكاناً تحطّ عليه فعادت

أخرجت غراباً وأفلته،

ذهب الغراب رأى انحسار المياه (تكوين ٨/٧)

أخذ يأكل أخذ يمشي في الأوحال فلم يعد.

عندئذ أطلقت كل شيء للرياح الأربع،

قدّمت ذبيحة

وسكبت قرابين على قمّة الجبل (تكوين ٨/٢٠)

نصبت سبعة قدور مقدّسة وسبعة

أحرقت تحتها القصب والآس وخشب الأرز

تنشقت الآلهة الرائحة الزكية (تكوين ٨/٢١)

الآلهة كالذباب تجمّعت فوق الضحية

أخيراً وصلت الإلهة العظيمة عشتار،

رفعت عقد الجواهر هدية آنو،

«يا معشر الآلهة الحاضرين ههنا،

أقسم باللازورد حول عنقي لن أنسى،

سأتذكر هذه الأيام ولن أنساها،

ليجتمع كل الآلهة حول الذبيحة

ولكن لا تدعوا إنليل يقترب منها



لأنه بدون فكر سبّب الطوفان

وسلّم شعبي للفناء».

ولما وصل إنليل

رأى السفينة فثارت ثائرته

أخذ ينفث غضبه على الآلهة، أهل السماء

«هل أفلت واحد من الغائبين؟

ليس لي بشريّ أن ينجو من الفناء».

تكلّم نينورتا وخاطب المحارب إنليل:

«من غير آيا يمكنه أن يضع الخطط؟

فآيا وحده يعرف كل شيء».

فتح فاه آيا وقال للمحارب إنليل:

«يا أحكم الآلهة، أيها البطل

كيف بدون فكر تسبب الطوفان؟

الخاطئ أثقله بخطيئته،

والمجرم أثقله بجريمته،

كن ليّناً عندما يشدّ،

ولا تقسى عليه لئلا تفنيه!

لو قام أسد وغزا البشر

أما كان أفضل من الطوفان؟

لو قام ذئب وهاجم الناس!

أما كان أفضل من الطوفان؟ (حزقيال ١٤/١٣-٢١)

لو قامت مجاعة واجتاحت العالم!



أما كان أفضل من الطوفان؟

لو قام وباء ليضرب البشر!

أما كان أفضل من الطوفان؟

لم أكن أنا من كشف سر الآلهة

بل عرفه الرجل الحكيم في أحلامه.

والآن قرروا ماذا سنفعل به!»

عندئذ صعد إنليل إلى السفينة

أمسكني بيدي، أخذني إلى سطحها

أخذ زوجتي وجعلها تجثو إلى جانبي

وقف بيننا لمس رأسينا وباركنا

«حتى الآن كان اوتونابشتوم إنساناً فانياً

والآن صار مع زوجته مثلنا معشر الآلهة

وبعيداً عند مصبّ الأنهر ستكون سكناه!»

وهكذا أخذوني وأسكنوني بعيداً.

ثم يخبره عن النبتة التي في قاع البحر والتي تعطي الخلود لمن يأكلها، فيهتدي كلكامش إلى النبتة، ويرجع بها إلى أبناء مدينته، وبينما هو يستحم في أحد الأنهار، إذا بحيّة تقبل فتحمل نبتة الحياة وتتوارى بها، فيزول أمل كلكامش والبشرية في استمرار وجودهم وخلودهم:

عندئذ جلس كلكامش وبكى

أخذت دموعه تنهمر على خدّيه

أمسك بيدي أورشنابي النوتيّ وصاح،

«أمن أجل هذا عملت؟

أمن أجل هذا كدحت بيديّ؟



أمن أجل هذا عصرت دماء قلبي؟

أمن أجل هذا كدّ إنكيدو وأنا؟

أمن أجل هذا صرعت الوحش هواوا؟

أمن أجل هذا نازلت ثور السماء؟

أمن أجل هذا رقبت إنكيدو ينـــزل إلى أرض اللاعودة؟

ما كسبت شيئاً لنفسي

ولقد جلبت نعمة الحياة الأبدية

لا لشعبي الحبيب

بل لينعم بها نسل الأفاعي»[١]

اللوحة الثانية عشرة: العالم السفلي وموت كلكامش

أضيفت لوحة ثانية عشرة إلى الملحمة، وفيها يبعث كلكامش صـــديقه مـــن الموت، ليصف ما يوجد هنا، وحالة الموتى في مملكة الموت. ثم تصف موت كلكامش الذي خلد.

وصل إلينا هذا النص باللغة السومرية فقط:

هذا أيضاً من عمل كلكامش،

ذلك الذي عرف أقطار العالم.

كان حكيماً، رأى الخبايا، وعرف الأسرار،

وأخبرنا قصّة عن أيام ما قبل الطوفان،

ذهب في رحلة طويلة،

تعب فيها وأنهكه العمل.

---

1 - المرجع السابق، ص ٢٤٩.

ولما عاد حفر القصّة كلّها على الصخر.

لأن العمل اخلد من الإنسان.

موت كلكامش

إن فضاء إنليل وأبي الآلهة

الذي فرضه على كلكامش قد تحقق.

في باطن الأرض ستنقلب له الظلمة نوراً!

«لن يخلف بشريّ للأجيال ما يضارع ما خلفه.

الأبطال والحكماء كالقمر الجديد، لهم صعودهم وغفوهم.

سيقول الناس «من حكم بقوّة وسلطان مثله؟»

وكما في الشهر المظلم كذلك لن يكون بدونه نور

أيّ كلكامش هذا كان تفسير حلمك

لقد أعطيت الملك وهذا كان قدرك،

وأما الخلود فلم يكن مقدّراً لك،

لا تدع قلبك يحزن من أجل ذلك،

دعك من الغم ومن الكآبة.

لقد أعطيت سلطاناً لتحل وتربط

لأن تكون الظلام أو تكون النور للبشر

لقد وُهبت سلطاناً على الشعب لا مثيل له

والنصر في المعارك لا يعود منها هارب

وفي الغزوات التي لا يعود منها أحد.

ولكن لا تسئ استعمال سلطتك.



إصنع العدل مع خدمك في القصر

أقم العدالة أمام وجه شمش».

لقد رقد الملك ولن يقوم ثانية

سيّد الكلاب لن يقوم ثانية،

لقد قهر الشرّ ولكنه لن يأتي ثانية،

ورغم قوة ساعده لن يقوم ثانية

كان حكيماً وسيم الوجه، لكنه لن يأتي ثانية،

لقد ذهب إلى الجبل، ولن يأتي ثانية

على سرير القدر ينام، ولن يقوم ثانية

ومن الأريكة المتعدّدة الألوان لن يأتي ثانية[1]

---

1 - المرجع السابق، ص ٢٤٩.



خاتمة

ملحمة كلكامش تفصح عن مشكلة الإنسان أمام الموت وثورته عليه. نشعر فيها بسخط الإنسان المكتوم وإحساسه الدفين بالظلم. وهذا الإحساس ناتج عن مطالبة الإنسان بالعدالة في الكون فالموت شرّ وعقاب، لكن إن كان شرّ فهو لأن الإنسان قد اقترف إثماً ... لا يطرح السؤال: ما هو الإثم هنا؟ ونلاحظ بأن كلكامش لا يهمّه الموت في البدء إن مات في القتال، لأن الشهرة تلطف من حدة الموت، واسم المرء يبقى حياً وذلك لأن كلكامش لا يعرف الموت بعد إلاّ كأمر مجرّد. أما حين يموت صديقه إنكيدو، فيصبح الأمر مختلفاً ويطول بحثه دون جدوى «والملحمة لا تنتهي إلى خاتمة منسجمة بل تبقى عواطفها في احترام، وليس فيها أي شعور التطهر، كما في المأساة، أو أي قبول أساسيّ لما لا مردّ له. إنها نهاية شامتة، بائسة لا تشفي الغليل، فيظلّ اضطرابها الداخلي في غليان ويظلّ سؤالها الحيويّ بلا جواب[1].

وكأن كل جهود الإنسان باطلة، ما دامت نهايته ستكون في الموت.

---

1 - فرانكفورت، ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٥، ص ٢٥١.

قصيدة الخلق (إينوما ايليش)

تبدأ بهاتين الكلمتين «لما في العُلى» وبالبابلية إينوما إيليش، وهي أول أسطورة خلق بشرية تفسر ولادة الكون. والأسطورة سومرية تعود إلى عام ٣٠٠٠ ق.م. ثم لحقتها نصوص بابلية عام ٢٠٠٠ ق.م. ثم أخذت شكلها النهائي في القرن السابع ق.م. وهذه القصيدة هي من أهم كنوز الأدب البابلي، ومع أن المعاصرين يسمّونها قصيدة الخلق، لأن فيها حكاية الخلق، إلا أن قصة الخلق مرحلة عابرة في القصيدة، وتركّز القصيدة أكثر على الإله مردوخ وكيف صار أعظم من كل الآلهة، لذلك الأفضل أن نسميها قصيدة مدح للإله مردوخ.

والقصيدة مؤلفة من سبع لوحات أو سبعة أناشيد، مسكوبة بلغة شاعرية، ونلاحظ فيها بعض الترداد والنشيد السابع قد زيد في فترات لاحقة، لأن ليس له أية علاقة مع مضمون القصيدة، وقد يكون للعدد ٦ علاقة بالنجوم، كما للعدد ١٢ في ملحمة كلكامش، لكننا لا نعرف المعنى الكامن وراء هذه الأعداد.

أما كاتب هذه القصيدة، فلا نعرفه، لكن نلاحظ أن في النص عقليات مختلفة ولا بدّ أنه كُتب في فترات متلاحقة. لكن من المؤكّد بأن القصيدة هي من اصل سومريّ ثم صيغت من جديد باللغة الأكاديّة وهي تعود إلى عام ١٩٠٠ ق.م. أما النُسَخ التي وصلت إلينا، فبعضها يأتينا من نينوى والأخرى من أشور (شُرقاط). ونسخة أشور تُسمى الإله مردوخ باسم أشور وتعطيه كل صفات مردوخ. كما نلاحظ الشبه الكبير بين نصوص القصيدة وسفر التكوين.

مضمون القصيدة

والقصيدة تدور حول الخلق، ذلك أن الإنسان يريد أن يعرف كيف خُلِق الكون؟

والفكرة الأساسية بأنه قبل أن تكون الأرض والسماء والإنسان وجد ثالوث مقدس أبو المياه العذبة، أبو مجتمع المياه المالحة تيامات، وممّو أبو الضباب وا،

المرفرفة فوق الماء. فتضطرب المياه بتأثير ممّو ويختلط الماء العذب بالمالح فيولد الكون، وتولد الآلهة من تيامات وإبسو يولّد لخمو ولحامو يمثلان الطمى الرسوبي ثم انشار وأخته كيشار فولد منهما آنو إله السما وآنو ولد آيا أو إنكى إله الحكمة ومياه العمق. ثم ولد آيا وزوجته دامبكينا الإله مردوخ لكن الإلهة قامت بضجة أزعجت إبسو فقرّر مع ممّو قتل الإلهة فعرفت الإلهة بذلك فقام الإله آيا بقتل إبسو وسخن ممّو وعفا عن تيامات التي لم تقتل أولادها لكن تيامات ثارت لأن الإلهة قتلت زوجها إبسو وسعت إلى الثأر لزوجها بعد أن تزوجت من كنجو وأعلنت الحرب على الآلهة فخافت الآلهة من منازلة تيامات فسلّمت مقاليد القوة إلى الإله مردوخ (١-٢) فسار لمحاربة تيامات فقتلها وأخذ ألواح القدر منها وبعد ذلك خلق مردوخ الكون، السماء والأرض والنجوم والكواكب والقوانين التي تسيّرها، وحدّد الأزمنة، ثم يخلق النبات والحيوانات والإنسان لخدمة الآلهة على الأرض بالرغم من معارضة بعض الآلهة لمردوخ خوفاً من منافسة الإنسان لهم فتمجد الآلهة والبشر الإله مردوخ في اللوح السابع، فيوكل الإله آيا لتعليم البشر الفنون والزراعة والصناعة.

في العلى عندما [1]

اللوحة الأولى

عندما لم يكن للسماء اسمٌ بعد

عندما لم يكن للأرض تحت السماء اسمٌ بعد

كان هنالك ثالوثٌ مقدّس: إبسو: الغمر العظيم

مجتمع المياه العذبة، وتيامات: الغمر العظيم،

مجتمع المياه المالحة، وممّو: الضباب،

الروح المرفرفة فوق المياه

---

1 - فريحة، ملاحم وأساطير، ص ٨٧- ١١٤



عندما لم تكن بعد مراع خضر
عندما لم تكن بعد أجمات القصب،
عندما لم تكن بعد حقول،
لم يكن بعد الواح قدر،
اضطرب الماء وامتزج العذب بالملح
فولد الكون، من الزبد كانت الأرض،
من الأمواج كانت الجبال،
وما تطاير من الماء ارتفع سماءً فوق سماء
لم يكن بعدُ آلهة، إلى أن ولد لخمو ولخامو
أمّهما تيامات، أبوهما إبسو
قبل أن يكبر لخمو، وقبل أن يكبر لخامو
وُلد أنشار وكيشار، توأمان فاقا أخويهما

وتيامات عفا عنها: لم توافق هي على موت الآلهة
جعل آيا جثة إبسو مسكناً له، مقاماً يبني عليه هياكله
وعلى إبسو أقام آيا مع زوجته، وعلى إبسو ولد مردوخ
مردوخ حكيم الآلهة، بطل الآلهة، في قلب إبسو ولد.
رضع ثدي الإلهة، أسبغت عليه الإلهة عظمتها وجلالها
كان له أربع عيون وأربع آذان
إذا فتح شفتيه خرج من بينهما لهب ونار



كان مردوخ ابن الشمش، وكان شمش الآلهة

كانت ثيابه من أشعة الآلهة.

تيامات حزينة، مغتمّة، تشعر بالوحدة

تيامات مضطربة قلقة. إذّاك جاءها وفد الآلهة

جاء أبناء الآلهة إلى أمّهم تيامات، وهم يضمرون السوء.

قالوا: عندما قُتل إبسو أين كنتِ؟ هل حاربتِ؟

عندما قُضي على ممو أين كنتِ؟ هل حميته؟

هل أنتِ أم؟ نحن نتحرّق. النوم فارقنا

الثأر! الثأر!

سُرّت تيامات. تحرّك في داخلها حبّ الانتقام

راحت تعدّ العدّة: الثأر! الثأر!

ولدت تيامات حيّات مرعبة، أسنانها حادّة

عوضاً عن الدم ملأت أجسامها بالسُّم

ولدت تنانين هائلة كستها بالرعب

جلّلت هاماتها بالخوف

من يراها يموت من هول ما يرى. خلقت الثعابين، والأسود، والكلاب المسعورة

والعقارب على صورة بشر

خلقت الجواميس الشرسة. خلقت أحد عشر نوعاً

من هذه الحيوانات — الأسلحة

وأمرت عليها الإله كنجو، رئيس مجمع الآلهة

أحضرته وقالت: رقيتك، عظّمتُ مقامك



جعلتك المقدَّم في مجلس الآلهة

....

وليُمتْ سمّكم كل عدو لكم

اللوحة الثانية

بعد أن أعدّت تيامات عُدَّةَ الحرب

حشدت أبناءها من الآلهة، قالت:

هيا إلى الانتقام! لننتقم لأبسو

فسمع آيا الخبر، صُعِق، تخدّرت أعضاء جسمه من الخوف

جلس حزيناً كئيباً، راح يفكّر

والى حدّه انشار حمل خبر الحرب:

تيامات التي ولدتنا لا تحبنا، يا جدّي

عقدت مجمعاً مقدّساً، حضرته آلهة غضبى

حتى أولادك انضمّوا إلى جيشها

كلّهم يريد الحرب، يريد الانتقام

عندما سمِع انشار الخبر

ضرب بكفّه على فخذه، عضّ شفتيه

امتلأ قلبه غمّاً، لكنه كبتَ كلّ غصّة، كلّ أنّة،

تظاهر بالتجالد والتماسك، صرخ بابنه:

قُمْ، سِرّ إلى الحرب! من قَدِرَ على أبسو

يقدر على تيامات!



سِرْ، إذبح كنجو...

هنا فجوة في النص، يبدو أن آيا انهزم وعاد إلى أبيه يقصّ عليه الخبر. فيستدعي آنو. آنو يخاف أن يقترب من تيامات. يعود مرتجفاً ويقصّ الخبر إلى جاره انـــشار. يتذكّر مردوخ البطل فيُرسل رسولاً يستدعيه.

وجم انشار، أطبق شفتيه

عقد مجلساً للآلهة، أطرقوا رؤوسهم

لم يفِه أحد بكلمة. أخذهم خوف شديد

استدعى آيا ابنه مردوخ، قال له:

سر إلى جدّك انشار، إنه مضطرب وخائف

أنت الذي تطيّب نفسه، تردّ إليه شجاعته.

مثَل مردوخ أمام انشار

فسُرّ انشار. قام إليه، قبّله فانشرح

وصاح بمردوخ: لماذا أنتَ واجِم؟

تكلّم، أنا سامع، تكلّم

سأفعل ما يفكّر به قلبُك

من هو الذي يحاربك؟ امرأة؟

تيامات تحاربك! إفرح ايها الخالق

قريباً ستدوس جثة تيامات

فأجاب مردوخ: يا سيّد الآلهة كلها

يا مقسّم الأقدار

إذا كنت سأقضي على تيامات

إذا كنت سأحافظ على حياتك

أطلب إليك أن تعقد مجلساً للآلهة



وفي المجلس أعلن سلطتي، أعلن تقسيم الأقدار

أعلن أني مطلق التصرّف

ما أقضيه يكون مقضياً

وما تأمر به شفتاي لا مردّ له!

اللوحة الثالثة

فتح انشار فمه، تكلّم:

يا كاكا، يا وزيري الأمين، يا من يُفرّح قلبي

إني باعث بك إلى لخمو ولخامو، إلى جدّي

قلْ لهما تعالا إلى وليمة نكرّم فيها مردوخ

مردوخ الذي سينتقم لنا، وفي الوليمة

يقسّمان الأقدار.

سرّ. أمثل أمامهما. قل لهما:

أرسلني انشار لأقصّ عليكما خبر تيامات

....

تيامات أعدّت أسلحة مخيفة

قام آنو، توجّه إلى مقام الإلهين، لخمو ولخامو

وحين وقف في حضرتهما سجد إلى الأرض، قال:

انشار أرسلني إليكما

لأقصّ عليكما خبر تيامات



تيامات عقدت مجلساً للآلهة

حضره جمع غفير من الآلهة

حتى الذين كانوا في صفوفكما انضموا إليها

تيامات تريد الحرب، تريد الانتقام

تيامات أعدّت أسلحة مخيفة

فوجم، لخمو، اضطرب لخامو!

ما جرى؟ لماذا تتصرف تيامات هكذا؟

لا نفهم الأمر. لا نفهم ما جرى؟

انمضّ إليهما رهط من الآلهة التي تقسِّم الأقدار

ساروا جميعاً إلى مجلس انشار

وحول مائدة الطعام والشراب جلسوا

شربوا خمراً، انشرحت صدورهم

نسوا، إلى حين، انشرحت صدورهم

نسوا، إلى حين، ما حلّ بهم من وجوم

انتفخت جسومهم من كثرة ما أكلوا،

من كثرة ما شربوا من شراب حلو مسكر

فرحوا، نشطت أرواحهم

قضوا بأن يكون مقسِّم الأقدار

مردوخ، مردوخ المنتقم!

اللوحة الرابعة

أقاموا عرشاً إلهياً، أجلسوا مردوخ على العرش



جلس على العرش ليتقبّل التاج من أيدي آبائه:

أنتَ المعظَّم بين الآلهة، أنت المؤمِّر

أنت تقسِّم الأقدار، لا مردّ لأحكامك

أنت تُعلّي من تشاء، تخفض من تشاء. لا مردّ لأحكامك

لن يجرؤ إله على امتيازاتك

في كلّ هيكل لك نصيب، فأنت سيّد هياكل الآلهة

أنتَ المنتقم... ملّكناك علينا

وفي المجلس المقدّس لن يفتح له فمه

لتكن أسلحتك فتّاكة!

إحمِ من وضع ثقته بك،

اقتُلْ من الآلهة من تزوّج الشرّ!

هنا مقطع فيه شيء من الغموض: يظهر أنهم وضعوا أمامه ثياباً (؟) وقالوا لـــه أن يأمر فتتمزق، ثم يأمر فتعود سالمة كما كانت، أي صنع أعجوبة.

عندما شاهدت الآلهة، آباؤه، هذه الأعجوبة

هذه القوة الخارقة دهشوا، سجدوا قائلين:

مردوخ ملك! مردوخ ملك!

وعلى رأسه وضعوا التاج

وعلى كتفيه وشاح الملك

وفي يده سلاحاً قاطعاً

إذهب الآن واصرع تيامات

واجعل الرياح تذرّي دماءها

وتنشر بقاياها في زوايا الدنيا الأربع



صنع قوساً، شدّ الوتر،

صنع نبالاً، وللنبال جعبة: علّقها على كتفه

جعل الرياح تشقّ طريقه

جعل اللهب ينبعث من جسده

صنع شبكة ليصطاد بها تيامات

خلق الرياح الأربع لتمسك بتيامات من جميع أطرافها

ريح الجنوب، ريح الشمال، ريح الشرق، ريح الغرب

خلق الرياح الشريرة، رياح «أمخلّو»

الريح العاصفة، ريح الإعصار

الريح التي لا شبيه لها

وصنع الطوفان، سلاحه الفتاك

وصنع من العاصفة مركبة، تجرّها مخلوقات أربعة

مخلوقات مجنّحة، في أسنانها الحادة سمّ:

هي المخرِّب، لكي يخرِّب ويهدم

والظالم لكي يظلم ويقسو

والدائس لكي يدوس ويسحق

والطائر لكي لا يلحق به

وبدرع وقّى صدره

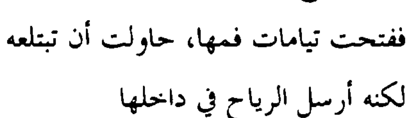
وعلى رأسه تاج من جلال

وبأسنانه رقيّة حمراء

وبيده عشبة تقيه شرّ السمّ.

اقترب مردوخ من تيامات ليرى ما في قلبها



لِيُدرك خطط كنجو، زوجها
وإذ رآه كنجو، واللهب ينبعث من جسده
فزِع، ضعُف، فارقته شجاعته، زايلته الفطنة.
زأرت تيامات. لم تحرّك رأسها
لكن مردوخ لم يخف، خاطبها قائلاً:
زيّنت لكِ كبرياؤك أن تثوري
أن تتعاظمي.. ابناءك أبغضتهم
الذين ولدتِهم قتلتهم
كنجو أقمتِه قائداً وزوجاً
اغتصبتِ سلطة آنو
أضمرتِ الشرّ لانشار ملك الآلهة
فليستعدّ جيشك ليقلّد سلاحه
أما أنتِ فابرزي لي وحدك
أنا أنازلك وحدي.
اهتاجت تيامات، فقدت صوابها
ارتجف جسمها، قوائمها إلى أساسات الأرض
اهتزّت، رجفت الأرض
راحت تتلو رقية، نفثت سحراً
التقيا في الحرب
مدّ مردوخ شبكته، علّقها بها

ففتحت تيامات فمها، حاولت أن تبتلعه
لكنه أرسل الرياح في داخلها



الرياح العاصفة، رياح الإعصار هبّت

نفخت في داخلها لم تستطع أن تطبق فمها

انتفخ بطنها، فتحت شدقيها

إذاك رهن قلبها بنبلة انشقّ قلبها

وراح مردوخ يجهز عليها

رمى بجثتها الهائلة، انتصب فوقها

وإذ رآه جند تيامات، خافوا هربوا

لكن لا مهرب من غضبه

أمسكهم، أوثقهم بسلاسل، رماهم في السجن

المخلوقات الهائلة التي أوجدتها تيامات

وأعدّتها لمنازلة مردوخ: الرياح

الثعابين، العقارب، كلها وقعت في السر

كنجو، زوج تيامات، عُدّ من الأموات

نزع عن صدره ألواح القدر المغتصبة

ختمها مردوخ بخاتمه، علّقها على صدره

ثم شقّ بعصاه جمجمة تيامات

قطّع شرايين القلب وأوردته

جعل الرياح تحمل الدم، تنثره في زوايا الأرض

شطر جسدها شطرين

أعلاهما ثبّته في السماء، منه خلق السماء

والأسفل ثبّته في الأرض، منه خلق الأرض

وفي السماء ثبّت ثالوثاً مقدساً:



آنو وإنليل وآيا.

اللوحة الخامسة

صنع مردوخ منازل للآلهة

خلق الأبراج، ثبّتها في أماكنها

حدّد الأزمنة، جعل السنة فصولاً

ولكلّ شهر من الأشهر الاثني عشر ثلاثة أبراج

حدّد الأيام بأبراجها

ثبّت برج «تيبيرو» رقيباً

فلا يجهل نجم عمله ولا برج وظيفته

في الوسط ثبّت السّمت

والى الشرق والغرب فتح بوابة

وسلّط القمر على الليل

وجعله زينة في الليل

به يعرف الناس موعد الأيام

في بدء الشهر يطلّ القمر

يحدّد الأسبوع. بعد أسبوعين، في نصف الشهر،

يواجه الشمس، يكون بدراً

ينحسر ضوء الشمس، يكون بدراً

ينحسر ضوء الشمس عن وجهه، يصفّر

يُدركه المحاق، يعود ثانية إلى الأرض.

لم يُعثر من هذه اللوحة إلاّ على هذا الجزء الصغير.



اللوحة السادسة

حدّث مردوخ آيا قائلاً:

إني خالق دماً، إني خالق عظماً

منهما سأخلق الإنسان

سأخلق الإنسان ليخدم الآلهة

أفكّ اسر الآلهة، أحرّرها من عبوديتها

فأجاب آيا: الإله الذي أذنب

الإله الذي ثار أسفك دمه

ومن دمه تخلق الإنسان

من منكم أوغر صدر تيامات؟

كنجو، كنجو هو الذي ثار

قتل كنجو، قطعت شرايينه، سال الدم

ومن الدم خلق الإنسان

خلق الإنسان ليعبد الآلهة، يخدمها

هكذا حرّر مردوخ الآلهة من العبودية

عيّن مردوخ للسماء ثلاث مئة إله

عليها أقام آنو رئيساً ومدبّراً

وعيّن للأرض ثلاث مئة إله

أولئك لحكم السماء وهؤلاء لحكم الأرض.

أنتَ، أيها الإله مردوخ، حرِّرنا

كيف نعبّر عن شكرنا لك؟



تعالوا نبنِ له مسكناً

تعالوا نبنِ له هيكلاً

فرح مردوخ، أشرق وجهه

في السنة الأولى صنعوا لبناً

وفي السنة الثانية بنوا هيكلاً

على جسد إبسو أقاموا هيكلاً

ليكن اسمها بابل، قال مردوخ

لتكن مسكناً للثالوث:

مردوخ، وإنليل، وآيا.

دعا مردوخ الآلهة إلى وليمة

أعدّ لهم طعاماً هيّأ خمراً

وبعد أن أكلوا وشربوا

قدّموا تسبيحاً، تسبيحة شكر.

الجزء الذي يتلو هذا كثير التشويه. بعد تسبيحة الشكر تعلن الآلهة أسماء مردوخ الحُسنى وعددها خمسون.

فلنعلن أسماءه الحُسنى

ولتظهر طرقه كالنور

مردوخ اسمه، الاسم الذي عرفه به جدّ آنو

منذ ولادته عرفوه بأنه مردوخ

هو الواهب الخصب في المراعي

الدافق الماء من الينابيع الغزيرة

المالئ الحظائر، مرابض الماشية قوتاً



الذي بسلاحه، ماء الطوفان، أهلك أعداءه

الذي خلّص آباءه من الضيق.

هو ابن الشمس، الإبن الذي ينبعث منه الضياء

خالق البشر، موزّع الأعمال على الآلهة

في السموات أقام للآلهة مساكن

وعلى الأرض بنى هياكل

عند ذكر اسمه ترتجف الآلهة

نور الآلهة هو، الأمير والسيّد العظيم.

فلنمجّد اسمه ولنعظمه.

اللوحة السابعة

مردوخ واهب الأرض الزراعية لأبنائه

مردوخ باني الأهراء لتُملأ قمحاً

خالق الحبوب والخضار

هو الذي ينبت عشباً على وجه الأرض

خالق الخير خالق الوفر

يُشبع حاجاتنا، يشفي أوجاعنا، أسقامنا

إله الرقية، سحره يعيد الحياة إلى الميت

تحنّن على الآلهة في أسرها وعبوديتها

أزاح عن كواهلها ثقل النير

خلق الإنسان ليحرّر الآلهة من الاستعباد

هذه هي الأسماء الخمسون

ليحفظها جميع الناس في قلوبهم



ليفكّر بها الحكماء

ليكرّر ذكرها الآباء فيتعلّمها الأبناء

لتصغِ لها الآذان حتى آذان الرعاة

وهم يرعون ماشيتهم في الحقول

ليفرح الناس بمردوخ، رئيس الآلهة

فتعطي الأرض خيراتها.

كلمته ثابتة، لا زوال لأحكامه

إذا نطق كلمة، فما من إله يردّها

وإذا غضب لا يقف إله في وجهه

لا يُسبر غور قلبه

عقله يشمل كل شيء

الخاطئ المعتدي رجس في عينيه.

ملاحظات عن قصيدة الخلق

كان سكان ما بين النهرين السباقين إلى فكرة التوحيد دون إلغاء باقي الآلهة كما بيّنوا دور الإنسان ومكانه في الكون. فالإنسان قد أوجده الإله الأكبر مردوخ من طين ودم على صورته، وجعله في الأرض كي يخدم الآلهة وإلاّ ناله العقاب والمآسي حتى على هذه الأرض. لذلك على الإنسان أن يقدِّم الذبائح والصلوات إلى الآلهة مع طهارة القلب: أمام الرب إلهك. فليكن لك قلباً نقياً [1] كما أن الخلق وليد الماء والتراب، أي طبيعة سكان ما بين النهرين دجلة والفرات. وهذا الخلق يتمّ بواسطة كلمة الإله. وإن أصل الخلق والنظام هو صراع مستديم بين القوى الدافعة إلى

---

1 - Dhorme Paul, La religion assvro, Babylonienne ency. Bordas. V. p 1- 97.

الحركة والقوى الدافعة إلى السكون. وهذا يعكس تطوراً تاريخياً في حياة شعوب ما بين النهرين وتنظيمها السياسي. كما لو أن القصيدة تعكس النظام الاجتماعي الذي على رأسه الملك الذي ينظم الشؤون الداخلية. لكن القصيدة تعالج فقط نظام الكون وأصله، لكنها لا تطرح أية أسئلة حول هذا النظام إن كان عادلاً أم لا ولا تقيمه مع ذلك فهناك أبعاداً تاريخية ونفسيّة واجتماعيّة وسياسية ودينية يمكننا أن نجدها في القصيدة:

البُعد الاجتماعي

فالقصيدة تبين جيداً انتقال البشرية من مرحلة سيطرة الأم أو المرأة إلى مرحلة سيطرة الأب أو الرجل. مجتمع المرأة يمثل السكون، بينما مجتمع الرجل قد تميّز بالتغيير السريع.

مجتمع المرأة هو مرحلة وئام مع الطبيعة، بينما مجتمع الرجل هو محاولة للسيطرة على الطبيعة، بتسحير الماء العذب للزراعة والريّ وبناء السدود والقنوات. وهذه كلها تظهر في الصراع بين معسكري تيامات ومردوخ، وسيطرة آيا إله الحكمة على أبسو إله المياه العذبة.

البُعد الفردي

كما تبيّن القصيدة الصراع الآخر الذي يقوده الفرد ضدّ أمّه على صعيد فرديّ، فالفرد يحتاج أن يقتل أمه ولكي يعتمد على نفسه ويصبح مستقلاً، ذا شخصية حرّة ومتكاملة، كمردوخ وآيا.



البُعد السياسي

أيضاً، سيطرة مردوخ الإله ظاهرة غريبة وهي تعكس التحوّل من النظام القَبَليّ إلى نظام الملك والواحد المطلق الصلاحية على أيام حمورابي. وسيطرة بابل على سائر المدن.

البُعد الديني

كما تعكس القصيدة، سيطرة ديانة مدينة بابل وإلهها مردوخ فوق كل باقي الديانات وباقي الآلهة – وما أسماؤه الخمسون إلاّ محاولة توحيدية لكلّ باقي الآلهة في إله واحد، وكأن باقي الآلهة ليست سوى صورة لمردوخ.

البُعد الاسكاتولوجي

كانت هذه القصيدة تُتلى في احتفالات رأس السنة (أكيتو)، وكان الملك ورؤساء الكهنة يشاركون في أدوارها، وكأن الغاية من ذلك أن يُقال بأن المعركة ضدّ الفوضى والسكون والخمول ليست معركة انتهت، بل إنها معركة مستمرة على الإنسان أن يشارك بها دوماً.

خاتمة

بالإضافة إلى كلّ هذه الأبعاد، فإن صياغة القصيدة الأدبيّة تعتبر من أروع الصياغات الفنيّة.



أساطير الفردوس

بعد خلق الإنسان، كان العصر الذهبي، عصر السعادة والفردوس حين كان البشر يعيشون بلا كدّ ولا كفاح وهذه نصوص تعبّر لنا عن حالة السعادة هذه، جاءت إلينا من الحضارة السومرية.

«في تلك الأيام، لم يكن هناك حيّة ولا عقرب ولا ضبع

لم يكن هناك أسد ولا كلب شرس ولا ذئب

لم يكن هناك خوف ولا رعب

لم يكن للإنسان من منافس

في تلك الأيام كانت «شوبور» أرض المشرق. أرض الوفرة وشرائع العدل وسومر أرض الجنوب ذات اللسان الواحد أرض الشرائع الملكية و«أوري» أرض الشمال، الأرض التي يجد فيها كل حاجته.

و«مارتو» أرض الغرب، أرض الدعة والمن.

وكان العالم أجمع يعيش في انسجام تام

وبلسان واحد يسبّح الكلّ يمجد إنليل[1]

وهذه أسطورة أخرى عن الجنة تحدثنا عنها أسطورة دلمون:

«أرض دلمون مكان طاهر، أرض دلمون مكان نظيف

في أرض دلمون لا تنعق الغربان

ولا تصرخ الشوحة صراخها المعروف

حيث الأسد لا يفترس أحداً

ولا الذئب ينقضّ على الحمل

ولا الكلب المتوحش على الجدي

---

1 - السواح، فراس مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة، بيروت ١٩٨٠، ص ١٩١- ١٩٢.

ولا الخنـــزير البريّ يلتهم الزرع

والطير في الأعالي لا (...) صغارها

والحمامة لا (...) رأسها

حيث لا أحد يعرف (الأم الرأس) ومدّ العين ولا أحد يعرف الأم الرأس

وحيث لا يشتكي الرجل من الشيخوخة

ولا تشتكي المرأة من العجز

حيث لا وجود لمنشد ينوح

ولا لحوّال يصول[1]

سقوط الإنسان وقصّة أدبا

تشترك قصة أدبا مع ملحمة كلكامش في فكرة الفرصة الـــتي ضـــاعت مـــن الإنسان للحصول على الخلود. وقد ظهرت هذه القصة في أربعة نصوص في حالـــة مهشّمة. جاء اقدمها وأطولها مع سجلات تلّ العمارنة ص.ب القرن الرابع عشر ق.م بينما وُجدت النصوص الأخرى (أج د.) في مكتبة أشـــور بانيبـــال (٦٦٨- ٦٢٦ ق.م.) أما ترتيبها هنا فقد جاء ليوافق المعنى:

اللوح الأول:

لقد أعطي كل الحكمة (...)

وأمره من أمر آنو وكلمته (...)

لقد زوّد بالفهم الكامل لإنقاذ كلمة الآلهة على الأرض

لقد أعطي الحكمة ولكنه لم يمنح الحياة الأبدية

في تلك الأزمان ابن أريدو الحكيم.

آيا خلقه ليكون أوّل البشر ورائداً لهم.

1 - المرجع السابق، ص ١٩١- ١٩٢



وأمر آيا الحكيم كان نافذاً لا راد له.

فهو البارع والفائق الحكمة بين الآلهة

خلق أدبا الطاهر حافظاً للمعبد وقيّماً على الشعائر

فكان خبازاً يصنع الخبز.

كان خبازاً يقدّم الخبز لأريدو[1]

كان يقدّم الطعام والماء كل يوم لأريدو

وبيده الكريمة خطّ الألواح المقدسة

التي لم تكن لتوحّد لولاه

كان يُشرع مركبه ويصطاد السمك لأريدو

في تلك الأزمان أدبا ابن أريدو

أدبا ابن آيا[2] كان يؤوب مساءً إلى بيته.

ويقصد بوابة المدينة في نهاية كلّ يوم.

ويرسي مركبه على رصيفها في ميناء القمر الجديد.

وذات مرة هبّت الريح ودفعت بمركبه بعيداً

فراح يضرب بمجدافيه بقوة

(...) في البحر الواسع، (بقية اللوح مفقودة)

الكسرة الثانية: (البداية مكسورة)

لقد هبّت ريح الجنوب وأغرقته،

دافعةً إياه إلى عالم آيا

---

1 - في تلك الأزمان كانت المدن مسكونة بالآلهة فقط، أريدو من اقدم المدن في جنوب العـــراق ولا تبعد كثيراً عن أور.

2 - آيا، إله المياه العذبة الباطنية، وهو إله الدهاء والمعرفة العميقة.



ريح الجنوب (...)

«سأكسر لك جناحك»[1]، وما إن نطق فيه بذلك،

حتى كسر جناح الريح، ولسبعة أيام

لم تهب على الأرض. آنو

استدعى وزيره. «لابرات» قائلاً:

«لماذا لم تهب رياح الجنوب في الأيام السبعة الأخيرة

فأجابه وزيره لابرات قائلاً: مولاي،

إنّ آدابا ابن آيا قد كسر جناح رياح الجنوب.

فلما سمِعَ آنو هذا القول،

نهض عن عرشه وصاح قائلاً: ليأتوا إليّ به

وهنا عرف آيا بالأمر، وهو المطّلع على مجريات السماء.

فألبس آداباً شعراً طويلاً

وزوّده بوشاح الحداد يضعه عليه.

وقال له: أي آدابا، ستمضي إلى آنو، الملك.

وفي صعودك ستأخذ طريق السماء،

وتقترب من بوابة آنو[2]

وسيكون في حراستها «تموز» و«حزيدا»

وعندما يريانك سيسألانك قائلين: أيها الإنسان،

من أجل من تبدو في هذه الهيئة؟

من أجل من ترتدي وشاح الحزن؟ فتجيب:

---

1 - لقد كان العراقيون القدماء يصورون الريح الجنوبية بشكل طائر ضخم.

2 - أي بوابة السماء.



لقد غاب عن الأرض إلهان.

ولذا تجداني حزيناً عليهما. فيسألان:

ومن هما الإلهان الغائبان؟ فتجيب:

إنهما تموز وجيزميدا. وهنا سينظران لبعضهما،

وسيبتسمان ويقولان لك قولاً كريماً،

وسيتحدثان من أجلك في حضرة آنو،

ولسوف يقدّم لك طعام الموت،

فلا تأكله، وشراب الموت سيقدّم إليك،

فلا تشربه. وسيعطونك، عباءة

فالبسها وزيتاً فادهن به نفسك.

هذه وصاياي فاعمل بها والكلمات،

التي أقولها لك فاحفظها.

ثم وصل رسول آنو وقال: لقد كسر آدابا،

جناح رياح الجنوب وعليه أن يمثُل أمام آنو،

ثم أعطاه طريق السماء والى السماء دفع به.

وعندما وصل إلى بوابة آنو

كان تموز وجزيدا يقفان على البوابة

وما إن شاهداه حتى صاح به.

أيّها الإنسان من أجل من تبدو في هذه الهيئة؟

آدابا من أجل من ترتدي وشاح الحزن؟

«لقد غاب عن الأرض إلهان ولذا فأنا حزين»

إنهما تموز وجزيدا فنظرا إلى بعضهما،



وابتسما[١] وعندما دخل آدابا على آنو الملك،

رفع آنو صوته لما رآه قائلاً:

اقترب مني يا آدابا، لماذا كسرت جناح رياح الجنوب؟

فأجاب آدابا قائلاً: مولاي.

لقد كنت أصطاد السمك في عرض البحر لبيت سيّدي.

وكان البحر هادئاً كأنه المرآة

ثم هبّت رياح الجنوب وأغرقتني،

دافعةً بي إلى عالم سيّدي[٢] وفي ثورة غضبي،

لعنتُ رياح الجنوب، تموز وجيزيدا

وقفا إلى جانبه وقالا لآنو كلمات حسنة

فهدأت خواطر آنو ولبث ساكناً:

«لماذا كشف آيا لإنسان غير مقدّس

مكنونات السماء والأرض[٣]

لقد جعله قوياً وجعله له اسماً

فماذا نصنع به؟ هاتوا له

بطعام الحياة ليأكل منه».

---

1 - يبدو أنهما سرّا لأن آدابا حَزِنَ لفقدهما.

2 - عالم إله المياه، ربما كان هذا السطر يشير إلى مقدرة آدابا على كسر جناح الريح بقوة كلمته السحرية المستمدة من آيا. أو ربما كان يشير إلى نتائج الحادث حيث صعد آدابا إلى السماء وتعرّف على ما لا يجب من الأسرار. ويذكر هذا السطر يقول يهوه في أسطورة الفردوس التوراتية: «هوذا الإنسان صار كواحد منا عارفاً الخير والشرّ، والآن لعله يمد ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد».

3 - جبرا إبراهيم جبرا، المرجع السابق، ص ٢٤٠- ٢٤٢.



فجلبوا طعام الحياة. ولكنه لم يقرُبه. وشراب الحياة

فلم يشرب منه. وعباءة

جلبوا له يدهن به نفسه

فنظر آنو إليه وضحك منه:

تعال إليّ يا آدابا، لماذا لم تأكل و لم تشرب،

أليست صحتك على ما يرام؟ «لقد أمرني آيا سيدي

ألاّ آكل أو أشرب»

خذوه وأعيدوه إلى الأرض.



البُعد الفلسفي في فكر ما بين النهرين: مشكلة القيم

الموت مصير ينتظر كل البشر لكن الإنسان الراغب بـالخلود لا يـستطيع أن يسكت عن هذا المصير، وأن يبقى مكتوف اليدين – فنرى بأن هذا السعي للتخلّص منه في ملحمة كلكامش وفي مغامرة الحكيم آدابا يبوء بالفشل – لكن الفكر البابلي يحاول أبداً أن يجد مخرجاً من هذه الدوامة فنجد هناك حلاً لمشكلة الخلود في أسطورة أثارا التي تقول بأن الخلود سيتم بإيلاد البنين. وما دام الموت سيلاحق الإنسان أينما حل ومهما فعل، فما الذي يستحق، كي نعيش من أجله؟ .. الجواب التلقائي هو أنه علينا أن نهتم بحياتنا هنا على هذه الأرض. وبما أن الإنسان قد وُجد كي يخدم الآلهة. لذلك كان للهيكل أهمية كبرى، فكل الناس كانوا يعملون لإله هيكل المدينة كخدم أو عبيد – وكان للإله وكلاء ومراقبين يسيّرون أشغال الآخرين بشكل هرمي يصل إلى ملك المدينة وحين توحدت كل المدن تحت سلطة مدينة قوية، كانت الآلهة تتوحد تحت رئاسة الإله الأكبر كمردوخ إله بابل في عهد حمورابي، وأشور إله أشور وغيره.

فهذه مقدّمة قوانين حمورابي تبرز لنا كيف أن حمورابي ليس إلا ممثلاً عن الإله مردوخ ليحلّ العدل والسلام وينتقم من الأعداء:

«عندما عيّن آنو العليّ، ملك الأنوناكي، وإنليل

سيد السماء والأرض،

وهما اللذان يقرران مقادير البلاد،

عندما عيّنا مردوخ، بكرُ أنكي،

لأداء الوظائف الإنليليّة تجاه الشعب برمته،

وجعلاه عظيماً بين الجيجي، وسميا بابل

باسمها الجليل وجعلاها

فائقة بين ارجاء العالم، ووطّدا له

ملكاً أسُسه ثابتة ثبوت



أسُس السماء والأرض – عندئذ دعاني

آنو وإنليل لتهيئة الرخاء للشعب،

أنا حمورابي، الأمير المطيع، خائف الله،

لإقامة العدل في البلاد،

وتحطيم الأشرار والفاسدين، لكي لا يؤذي القوي الضعيف،

وأطلع أنا كالشمس فوق الأناس

السود الرؤوس، وأنير البلاد

إذا النظام في الدولة هو انعكاس للنظام بين مجمع الآلهة أو العكس فإن المفهوم للإله يعكس النظام الاجتماعي.

ومن الطبيعي في نظام كهذا أن تكون الطاعة هي الفضيلة العُظمى طاعة الأكبر سناً والمراقب في الأعمال والقائد: «العمّال بلا مراقب كالمياه بلا مفتش ريّ» و«الفلاحون بلا مشرف كحقل بلا حارث»، و«الجنود بلا ملك غنم بغير راعيها».

«أوامر القصر، كأوامر آنو لا تتبدل، كلمة الملك حق، ونطقه كنطق الإله لا يغيّره شيء». وهذه الطاعة مراتبية. أي إن العبد يطيع سيّده والسيّد يطيع من هو أعلى منه. من هنا، فإن الفرد في بلاد ما بين النهرين لا ينظر إلى الآلهة الكبار إلا كقوى نائية ليس له أن يتضرع إليها إلا في الشديد من الأزمات ولا يفعل ذلك إلا عن طريق الوسطاء لذلك كان لكل إنسان إله شخصي يكون وسيطاً بينه وبين باقي الآلهة يصلّي ويقدّم إليه القرابين:

«ليس بمقدور الإنسان بلا إله شخصي أن يكسب خبزه، ولا بمقدور الفتى أن يحرّك ذراعه ببطولة في المعركة[1]، على الإنسان أن يسبح بعظمة إلهه وعلى الشاب أن يطيع بكل جوارحه أمر إلهه».

---

1 - جبرا إبراهيم جبرا، المرجع السابق، ص ٢٤٠- ٢٤٢.



لكن ما جزاء هذه الطاعة للآلهة والتمسك بحياة الفضيلة طبيعي أن يكون جزاء الطاعة – الحماية والمكافأة والعطف والمساعدة – وجزاء المعصية أمل له بشيء إلاّ إذا طلب الرحمة وأخرى تطلب له غفران الخطايا:

«خاطب الرب أباك، هذا ما يقوله خادمك أبيلاداد:

لِمَ قد أهملتني؟

من ذا الذي يأتيك بواحد يحلّ محلي؟

أكتب إلى الإله مردوخ، فأنت أثير لديه، (نلاحظ الإله الشخصي يتوب لدى الإله مردوخ) لعلّه يكسر قيودي:

فأرى وجهك عندئذ وأقبّل قدميك!

وأذكر كذلك عائلتي، كباراً وصغاراً

ارحمني من أجلهم، واجعل عونك يبلغني!»[١]

أما الصلاة[٢] التالية، فهي لم توجه إلى إله معين بل إلى جميع الآلهة بصورة عامة.

صلاة لكل إله

إن هذه الصلاة لم توجّه إلى إله معين ولكن إلى جميع الآلهة بصورة عامة، حتى إلى تلك الالهة التي قد لا تكون معروفة، وغرض الصلاة هو طلب الخلاص من عذاب يعتقد الكاتب أنه ينتج عن انتهاك ما لحرمة القانون الإلهيّ. ويسند طلبه إلى حقيقة كون تجاوزاته لم تقترف عمداً، وأنه حتى لا يعرف الإله الذي ربما أساء إليه. وأكثر من ذلك يدّعي بأن العنصر البشريّ بأجمعه جاهل بطبيعته للإرادة الإلهيّة، وبنتيجة ذلك فإنه يقترف الذنب باستمرار. وعلى هذا فلا ينبغي أن يفرد للعقاب. جاء اللوح من مكتبة أشور بانيبال (٦٦٨– ٦٣٣ ق.م) واستنتج عن اصل أقدم. ولكن يوجد

---

1 – المرجع السابق، ص ٢٤٣.

2 – مجلة سومر، العراق، المجلد الثالث والعشرون، سنة ١٩٦٧، الجزء الأول والثاني، ص ٥٠-



عدد من صفات النصّ السومريّ التي هي صفات مميّزة للفترة المتأخرة ومن المحتمل أن لا تكون كتابة النص الأصليّ أقدم بكثير من عهد أشور بانيبال.

النص :

عسى أن يهدأ هياج قلب ربي نحوي

عسى الإله الذي هو مجهول أن يهدأ نحوي

عسى الآلهة التي هي مجهولة أن تهدأ نحوي

عسى الإله الذي أعرفه أو لا اعرفه أن يهدأ نحوي

عسى الآلهة التي أعرفها أو لا أعرفها أن تهدأ نحوي

عسى قلب إلهي أن يهدأ نحوي

عسى قلب آلهتي أن يهدأ نحوي

عسى الإله (الذي غضب عليّ) أن يهدأ نحوي

(١٠) عسى الآلهة (التي غضبت عليّ) أن تهدأ نحوي (الأسطر من ١١ إلى ١٨ لا يمكن إعادة تركيبها بدقّة) بجهل قد أكلت ما هو ممنوع من إلهي.

(٢٠) بجهل قد وضعت قدمي على ما هو محرَّم من آلهتي

أيها الرب، تجاوزاتي عديدة، وذنوبي عظيمة.

أيا إلهي، تجاوزاتي عديدة، وذنوبي عظيمة.

أيا آلهتي، تجاوزاتي عديدة وذنوبي عظيمة.

أيها الإله الذي أعرفه أو لا اعرفه، تجاوزات (ي) عديدة وذنوبي عظيمة

أيتها الآلهة التي أعرفها أو لا أعرفها تجاوزات (ي) عديدة وذنوبي عظيمة

الخطيئة التي اقترفتها حقاً لا أعرفها،

الذنب الذي اقترفته، حقاً لا أعرفه.

الشيء المحرّم الذي أكلته، حقاً لا أعرفه.

(المكان) الممنوع الذي وضعت عليه قدمي، حقاً لا أعرفه.



(٣٠) الرب نظر إليّ بغضب قلبه،

الإله واجهني بهياج قلبه،

عندما كانت الآلهة غضبى عليّ، جعلتني أمرض.

الإله الذي أعرفه أو لا أعرفه قد اضطهدني

الآلهة التي أعرفها أو لا أعرفها قد ألقت عذاباً عليّ.

على الرغم من أني أطلب على الدوام عوناً، لا يأخذ بيدي أحد.

عندما أنتحب، إنها (أي الآلهة) لا تأتي إلى جانبي.

إنني أنطق بالرثاء، ولكن لا يسمعني أحد.

إنني قلق، إنني مقهور، إنني لا أستطيع أن أرى.

أيا إلهي، الرحيم، إنني إليك أوجّه الصلاة، «مل دائماً نحوي»

(٤٠) إنني اقبّل قدمي آلهتي، إنني أزحف أمامك. (أغلب الأسطر من ٤١ إلى ٤٩ مكسورة ولا يمكن إعادة تركيبها بوجه التأكيد)

(٥٠) حتى متى أيا آلهتي، التي أعرفها أو لا أعرفها، قبل أن يهدأ قلبك المعادي؟

الإنسان أبكم، لا يعرف شيئاً

البشر كل الموجودات، ماذا تعرف؟

أكان مقترفاً إثماً أو فاعلاً خيراً

إنه لا يعرف حتى ذلك.

أيا سيّدي لا تكسر بخاطر عبدك،

إنه منغمر في مياه مستنقع، خُذ بيده

الذنب اقترفته، حوّله إلى خير،

الهفوة التي ارتكبتها، دع الريح تحملها بعيداً،

وسيئاتي العديدة تنــزع عني كالرداء.



أيا إلهي، خطيئات (ي) سبع سبعات ارفع خطيئاتي،

(٦٠) أيا إلهتي خطيئات (ي) سبع سبعات، ارفعي خطيئاتي،

أيها الإله الذي أعرفه أو لا أعرفه، خطيئات (ي) سبع سبعات،

إرفع خطيئاتي.

أيتها الآلهة التي أعرفها أو لا أعرفها، خطيئات (ي) سبع سبعات

إرفعي خطيئاتي

إرفعي خطيئاتي وسأغني بمجدك.

عسى قلبك، كقلب أمٍّ حقيقة أن يهدأ نحوي

كأمٍّ حقيقية (و) أب حقيقيٍّ عسى أن يهدأ نحوي.

هذا النظام جميل فعلاً إن بقي منظماً ولكن ماذا يحصل إن كسر هذا النظـــام. ماذا يحصل للإنسان الذي يكون مطيعاً لسيّده وللآلهة ولا ينال إلاّ المصائب؟ فمنهم من يثورون ثم يستسلمون... كما في قصيدة الصديق المتألم. ومنهم من يثورون ثم لا يبالون بشيء.. كما في حوار السيّد وخادمه.

قصيدة البريء المتألم

وتُسمى أيضاً «لدلول بيل نيميقي» أي «سأمجد رب الحكمة». وهي تذكرنا بسفر أيوب الصديق. وفيها تُطرح مشكلة الخير والشرّ. وهو يبني موقف الإنسان أمام الفراغ والوجود والإله وخصوصاً بعد أن يصيبه ظلم الدنيا – وهي تعكـــس دولـــة انقطعت فيها سطوة اللصوص وقطّاع الطرق وقويت فيها رقابة الشرطة – فانعكس ذلك على المفهوم للأرواح الشريرة. فقد كان قبلاً الإله الشخصيّ غير قادر دائمـــاً على حماية الإنسان من الأرواح الشريرة. أما الآن فلم تعد للأرواح الشريرة من أهميّة. فلم يعد يعتبر المرض والشرّ حوادث طارئة، إنما مسؤولية الآلهة..



فلاحظ الناس بأنه حتى الرجل الصالح تصيبه المصائب وبأن ليس هناك تجانساً بين الإرادة الإلهية والأخلاق الإنسانية. ويظهر بأن كاتبها [1] قد كان مثال الرجل الفاضل، ومع ذلك فقد انتابته الأمراض، وهذه بعض مقاطع القصيدة:

«لم يكن همّي إلا الضراعة والصلاة

و لم يكن في خاطري إلاّ الضراعة والتضحية دوماً عادتي

و كانت أيام عبادة الآلهة فرحة قلبي،

وأيام اتباعي (موكب) الآلهة ربحي وكسبي

عبادة الملك كانت مسرّتي

وعزمي الأنغام له منبع لذّتي.

ووصيت أهل مزرعتي بالتمسك بطقوس الآلهة

وعلّمت شعبي احترام أسماء الآلهة

والمجيد من الأعمال الملكية شبّهته (بأعمال) الآلهة

علّمت الجنود احترام القصر

ليتني كنت أعلم أتُسِرّ هذه الأمور الآلهة؟

وذلك لأن ضروباً من الآلام قد حلّت به، رغم فضيلته:

يصيدني النوم في شبكة

عيناي تحدّقان ولا تبصران،

أذناي مفتوحتان ولا تسمعان،

والوهن قد أوقعني في قبضته..

السوط عليّ رهيب

انخس، والمنخس نفّاذ

. .



طيلة النهار ثمة مضطهد يطاردني،

وفي الليل لا يهملني ولو مرّة واحدة».

وفوق ذلك كله، نسيه إلهه لم يجدني إله أو يمسك بيدي،

«لم أكد أصل إلى الحياة حتى انتهت أيامي...

رجعت ويحي، هذا هو الشر، أيضاً الشرّ.

تكاثر الظلم ضدّي، فمن يعطيني حقّي؟

صرخت نحو إلهي، لكنه أعرض بوجهه عني...

«تضرّعت نحو آلهتي و لم تفرع وجهها إليّ

نظرت ورائي، فرأيت الشقاء يلاحقني ...

كما لو أني لم اقدّم لإلهي ذبائح...

كما لو أني لم أذكر آلهتي أثناء طعامي...

كما لو أني لم أحنِ رأسي...

كما لو أن عبادتي لم ترها الآلهة...

إلهي لم يأتِ لنجدتي... لم يمسك يدي لينشلني».

وفوق ذلك عليه أن يحتمل شماتة الناس، أحبائه وأعدائه:

«كان القبر ما زال مفتوحاً عندما جعلوا ينبشون خزائني،

لم أكن قدمت بعد، عندما توقفوا عن الرثاء..

سمع بذلك ضامر السوء لي فتشع وجهه وضامرة السوء

أسمعوها النبأ السعيد، فانتعشت كبدها».

هذا الفاضل نصيبه أسوأ من المجرمين، لا بل إن نصيب المجرمين غالباً ما يكون النجاح. وليس في اتباع الفضيلة والاستقامة ما يضمن العافية والسعادة. فما الجواب على كلّ ذلك؟



هناك جواب عقليّ في هذه القصيدة وفي قصائد أخرى كما في قصيدة الألوهة البابليّة La Théodicée Babylomienne وهو يقول بأن مفاهيم الله للحياة والشقاء هي بعيدة جداً عن مفاهيم الإنسان. والإنسان أصغر من أن يحكم على الأمور الإلهية لأنه ضعيف النظرة، ثمّ لا يحق له أن يجابه قيمة الإنسانية بقيم الآلهة، عدا عن تقلّبه وتغيره بين لحظة وأخرى:

وما يبدو للمرء جديراً بالثناء، حقير أمام الآلهة،

وما لا يروق لقلب المرء، يروق لربه.

أنّى لإنسان أن يُدرك فكر الآلهة في أعماق السماء؟..

ذاك الذي عاش بالأمس، مات اليوم.

وبطرفة عين يكتئب الإنسان، وفجأة ينسحق.

تارة يغني من فرط الفرح.

وسرعان ما هو ينتحب

والناس بين الصبح والعشية يتبدّلون:

إذا جاعوا فهم كالجثث

وإذا شبعوا نافسوا الآلهة،

إذا اعتدلت أمورهم ثرثروا بالصعود إلى السماء

وإذا اضطربت، تفيهقوا بالنزول إلى الجحيم.

أين الصواب في تقدير الإنسان إذن، هذا الذي يتجزأ بمجابهة الآلهة بالرغم من قوة هذا الجواب العقليّ، فإن هناك جواباً عاطفياً آخراً لم تنقله القصيدة صراحة وهو الشعور الذي تعطينا إياه القصيدة بالظلم والإجحاف. ومع ذلك فإن القصيدة تحثّ في خاتمتها على الأمل والإيمان بأن الإله سيكون معه حتى في غمرة يأسه... وإن لم يفهم الإنسان هذا الشقاء – فلأنه عاجز عن أسرار الآلهة. وهذا نص القصيدة كله:

نص القصيدة:



المقطع الأول: الشخص المتألم

أيها الحكيم .... تعال، دعني أخبرك

.... دعني أعلمك

.................................ك .

أنا .... المتألّم، سوف لن أنقطع عن احترامك

أين الشخص الحكيم الذي هو من نوعيتك؟

أين هو الأستاذ الذي يتنافس وإياك؟

أين هو المستشار الذي أفضي له بحزني؟

أنا منه، وقد خيّم عليّ الهمّ.

لقد كنت أصغر طفل، وقد أخذ القدر أبي،

أما أمي التي ولدتني فقد ذهبت إلى الأرض التي لا عودة منها،

أبي وأمي تركاني بدون ولي أمر.

المقطع الثاني: الصديق

صديقي المحترم، ما تقوله لهو محزن

إنك تجعل فكرك ينصبّ على الشرّ يا زميلي العزيز.

إنك تجعل

وقد أحلّت وجهك المشرق إلى وجه متقطب.

آباؤنا في الحقيقة تخلّوا وذهبوا في طريق الموت.

إنه قول قديم بأنهم يعبرون نهر «خُبُر» Khubur

وحينما تنظر إلى البشر بشكل عام

.... هو ليس ....



عند من يكون مفضلاً الغنيّ المسمن (أي المتخم)؟
إن من يخدم إلهه، يكون لديه ملاكاً حامياً.
الشخص المتواضع الذي يخشى آلهته فإنه يكتنــــز ثروة.

المقطع الثالث: الشخص المتألم

يا صديقي، إن دماغك نهر ولا ينضب ينبوعه،
إنه كتلة البحر المتراكمة التيّ لا تعرف النضوب.
سوف أسألك سؤالاً، أصغِ إلى ما سأقول.
انتبه للحظة، إسمع كلماتي.
إن جسمي أصبح حطاماً، والضعف خيّم (عليّ).
نجاحي قد تبدّد، وتوازني قد فقد
قوّتي أضعفت، رفاهيتي انتهت.
الأنين والأسى سوّد قسماتي.
أما ذرة حقولي فإنها بعيدة من إرضائي
وأما نبيذي، الذي هو حياة البشر، فإنه قليل جداً من أجل الشبع.
هل يمكن ضمان حياة رافهة؟ بودّي لو عرفت سبيلها!

المقطع الرابع: الصديق

ما أقول هو مضبوط. (..............) (........).
ولكن (....) عقلك المتـــزن يشبه الرجل المعتوه.
إنك تجعل (.......ك) منتشراً وغير سديد،
إنك (تحيل) اختيارك ...... أعمى.
أما بالنسبة لرغبتك المستمرّة التي لا انتهاء لها في .... (.....).



الطمأنينة (السابقة) ..... (....) عن طريق الصلوات.

(الآلهة) المهدّئة تعود عن طريق (.....).

الذي هو غير مُسند فإنه يعطف على (......)

الذي يبحث أبداً عن القواعد الصحيحة للعدالة.

....ك، القوى، سوف يبدي عطفاً

(...............) سوف يمنح الرحمة.

المقطع الخامس: الشخص المتألّم

أنا أنحني إليك يا رفيقي، أنا أستوعب حكمتك

(.......) .... التفوه بـــ (كلماتك).

(.......) .... تعال، دعني (أقول لك شيئاً).

الأخدري، الحمار الوحشي الذي ملأ نفسه ... (...)

هل انتبه إلى الشخص الذي يعطي معجزات إلهية مؤكّدة؟

(هل إنني) عطلت نذوراً؟ إنني كنت قد صلّيت إلى إلهي، (لقد) لفظت التبريك على الأضحيات الاعتيادية للآلهة... (...)

المقطع السادس: الصديق

أيّها النخلة، شجرة الثراء، أخي الثمين،

الذي أسبغ عليه بجميع الحكمة، جوهرة من (الذهب)،

إنك مكين كالأرض، لكن خطة الآلهة بعيدة.

أنظر إلى الحمار الوحشي الجميل في (السهل)

فالسهم سوف يتبع الناطح الذي يدوس الحقول.



تعال، فكّر في الأسد الذي ذكرته، عدد الماشية.
فبسبب الجريمة التي اقترفها الأسد، فإن الحفرة تنتظره،
أما مستحدث النعمة الثريّ الذي يكدّس البضائع،
فلسوف يحرق الوتد من قبل الملك قبل أوانه
هل أنت ترغب أن تذهب في نفس الطريق الذي كان قد ذهب به هؤلاء؟
الأفضل أن تحصل على مكافأة إله (ك) الأبدية!

المقطع السابع: الشخص المتألّم

إن دماغك هو ريح الشمال، النسيم العليل للبشر.
إيها الصديق المختار، إن نصيحتك جميلة.
أريد أن أضع أمامك كلمة واحدة فقط.
إن أولئك الذين يصلّون للآلهة فإنهم يصبحون فقراء ويجردون من أملاكهم.
أثناء شبابي رجوت الحصول على إرادة إلهي،
وبكلّ خشوع اتّبعت إلهي (حرفياً: بالسجود والصلاة)
إلاّ أنني كنت متحملاً أعمال السخرة التي لا طائل منها كعبودية،
الإله منحني الفقر عوضاً عن الغِنى،
الشخص المقعد هو رئيسي، والمجنونون يتقدمني
الخبيث المحتال قد رُقّي إلى أعلى، ولكنني أنزلت درجة.

المقطع الثامن: الصديق

يا زميلي الذي اعتمد عليه، الذي يمتلك المعرفة، إن افكارك لعاقة.
لقد هجرت تماماً ولعنت تماثيل (حرفياً: تصاميم) آلهتك



وفي ذهنك إن شعائر الإله يجب ألاّ تُحترم.

(...........) التعاليم الثابتة لآلهتك

إن خطط الإله (.......) تشبه مركز السماء

إن أوامر الآلهة هي ليست (...........)

لكي تُفهم بشكل صحيح (...........)

أفكارهم (...........) إلى بني الإنسان،

لكي تُفهم طريق إلهة (................)

عقلهم قريب إلى متناول اليد (................)

المقطع الثاني عشر: الصديق

(أنا) .... (...)

(أنا) عملت أيضاً .....

(أنا) اهتممت بـِ ... (....)

(أنا) رعيت الشباب (من الناس ...)

(أنا) جعلت الناس متنعمين (....)

(أنا) جمعت ..... (....)

(أنا) أطعت الإله (....)

(أنا) فتشت عن ذلك الذي كان ضرورياً (...)

المقطع الثالث عشر: الشخص المتألم

إنني سوف أهجر بيتي (..........)

إنني سوف لن أرغب بملكيّة (...............)



إنني سوف أتجاهل قوانين إلهي وسوف أدوس على شعائره

إنني أنحر عجلاً و.......... طعاماً.

إنني سوف آخذ السبيل وأذهب إلى أماكن بعيدة

إنني سوف أحفر بئراً وأطلق فيضاناً

إنني سوف أجوب الحقول الواسعة كقاطع طريق.

إنني سوف أذهب من بيت إلى بيت لأبعد جانباً عائلة الجوع.

إنني سوف أمشي وأراقب الشوارع وأنا ميت جوعاً.

وكالشحاذ إنني سوف (....)

أما بحبوحة السعادة فهي بعيدة جداً .... (....)

المقطع الرابع عشر: الصديق

يا صديقي إن (دماغك) يستقرّ على (.......)

إن العمل البشري الذي أنت لا ترضاه (.......)

إن في دماغك توجد (........)

إن عقلك قد تركك (.......)

المقطع الخامس عشر: الشخص المتألّم

البنت تتكلّم (......) إلى أمها.

فصيّاد الطيور الذي رمى (شبكته) قد سقط.

هل يعتبر المرء كلّ شيء (.....) خطأ؟

إن المخلوقات الوحشية العديدة التي .... (........)

من الذي من بينها أم لديه (.............؟)

هل عساني أبحث عن ولد أو بنت (............)



هل ينبغي عليّ ألاّ أفقد ما أجد (............)

المقطع السادس عشر: الصديق

الشخص المتواضع والخاضع (.........)

إرادتك دوماً تقدم (........) ثميناً

(.......) فكرك (........)

المقطع السابع عشر: الشخص المتألّم

إن ابن الملك متجلبب بـِ (......)

أما ابن المتشرد والعاري فهو لابس (..........)

المشرف على شعير البيرة ..... ذهباً

بينما الذي يحصى ذهبه اللمّاع بمكيال الـ Bushel فهو يحمل (...)

الذي يعتاش على الخضروات (يلتهم) مائدة النبيل.

بينما ابن الشخص الوجيه والغني (يقتات على الخرنوب).

إن صاحب الثروة قد سقط. (أما ...) فبعيدة جداً.

المقطع الثامن عشر

المقطع التاسع عشر: الشخص المتألّم

(....) حكمة.

إنك تحتضن كل الحكمة. إنك تقدّم النصيحة للناس.



المقطع العشرون: الصديق

لقد جعلت دماغك الساذج يسرح في الضلال

(......) لقد أقصيت الحكمة.

إنك تمتهن اللياقة، إنك تحتقر الشرائع.

(...........) (.............)

(...........) خلق شخصاً ذا تأثير.

(...........) يُدعى تحريراً.

إنه معتنى به ويحقق رغباته.

سرّ في طريق الإله، احتفل بشعائره

(...........) فهو يُعتبر بمثابة تقوى.

المقطع الحادي والعشرون: الشخص المتألّم

(...) .... محتالون

(....) كلّهم يغشون

إنهم يكدّسون بضائع...

المقطع الثاني والعشرون: الصديق

أما بالنسبة إلى المحتال الذي أنت تسعى للحصول على فضله،

.... سوف يختفي

والشخص الذي ليس له إله يغش صاحب الثروة

أما السلاح القاتل الممض فإنه يتبعه

وأنت، ما لم تسعَ إلى إرادة الإله، فأيّ حظ تملك؟



إن الذي يتحمّل عبودية إلهه فإنه لن يحتاج قط إلى طعام مهما كان نزراً يسيراً.

المقطع الثالث والعشرون: الشخص المتألّم

لقد نظرت فيما حول المجتمع إلاّ أن الدليل هو العكس،
فالإله لا يسدّ طريق الشيطان
أب يسحب زورقاً على طول القناة،
بينما ابنه البكر مستلقٍ في فراشه،
ابنه البكر يتابع طريقه كأنه أسد،
وابنه الثاني سعيد بكونه سائق بغل،
ووريثه يطوف في الشوارع وكأنه بائع متجوّل.
أما ابنه الأصغر فإنه سوف يقدّم الطعام إلى المشرّدين.
كيف أكون قد استفدت لدرجة أنني انحنيت إلى إلهي؟
عليّ أن أنحني إلى أسفل حتى يلتقي بي الزميل الواطي (المنحط)،
أما حثالة البشرية كأغنياء والموسرين فإنهم يعاملونني بازدراء.

المقطع الرابع والعشرون: الصديق

أيها الشخص العاقل، أيّها العلامة المتبحّر في المعرفة،
في كربك فإنك تسبّ الإله.
إن الفكر الإلهي متناهي البعد كمركز السموات
ولما كانت معرفته عسيرة، فإن الجماهير لا تعلمها.
ومن بين جميع المخلوقات التي كوّنتها «آرورو»



فإن النسل الرئيس كلّ ...،

وفي حالة البقرة، فإن أول عجل لها يكون واطئاً

أما نسلها اللاحق فيكون أكبر من سابقه بمرتين.

إن أول طفل يولد يكون ضعيفاً.

ولكن الثاني يُقال له مُقاتل بطل.

وعلى الرغم من أن الإنسان يمكنه أن يلاحظ ما عسى أن تكون عليـــه إرادة الإله، فإن الجماهير لا تعرفها.

المقطع الخامس والعشرون: الشخص المتألّم

انتبه يا صديقي، إفهم أفكاري!

التفت إلى صفوة العبارة من كلماتي!

فالناس يمجدون كلام الشخص القويّ الذي تمرّس في القتل،

ولكنهم يهينون (يبخسون) الشخص الضعيف الذي لم يرتكب أيّ خطأ

وهم يريدون الشرير الذي جريمته هي (.....)

ومع ذلك فهم يضيّقون على الشخص الشريف الذي يرعى إرادة إلهه.

إنهم يملئون (مخازن) الظالم بالذهب،

ولكنهم يفرغون حقيبة الشحاذ من مأكولاتها.

إنهم يسندون القويّ الذي ..... هو ذنب،

ولكنهم يحطمون الشخص الضعيف ويطردون من لا حول له ولا قوة.

وأما بالنسبة لي فإن الشخص البخيل مستحدث النعمة يضطهدني.



المقطع السادس والعشرون: الصديق

وهبوهم الكذب وليس الصدق إلى الأبد

وبوقار يتحدّثون لمصلحة الشخص الغني

إنهم يقولون: «هو ملك» و«الثروات تجري إلى جانبه»

إلا أنهم يؤذون الشخص المعدم وكأنه لص.

وهم يكثرون من الافتراء عليه ويتآمرون من أجل قتله

ويجعلونه يعاني شتّى ألوان الشرّ وكأنه محرّم ذلك لأنه ليست لديه حماية.

وبشكل رهيب. يوصلونه إلى نهايته ويطفئونه كما يطفئون اللهيب.

المقطع السابع والعشرون: الشخص المتألّم

إنك عطوف يا صديقي، أنظر إلى حزني!

ساعدني، أنظر إلى شقائي، افهمه!

وأنا رغم كوني متواضعاً، حكيماً ومتوسلاً،

لم أر قط مساعدة، أو إغاثة للحظة واحدة.

ولقد وطأت مربع مدينتي بشكل غير فضوليّ.

فصوتي لم يرتفع، وبقي كلامي واطئاً.

ولم أرفع رأسي، بل نظرت إلى الأرض،

ولم أتعبّد بمعيّة رفاقي حتى باعتباري عبداً،

عسى أن يعينني الإله الذي كان قد تركني

عسى أن تعطف على الآلهة التي كانت قد (هجرتني)،

ذلك أن شمس الراعي يقود الناس كإله.



من هنا جاءت أساطير تشبه قصيدة الشخص المتألم تدرس مشكلة عنايـــة الله بالإنسان كقصة أنزو عصفور العواصف، وقصة إله الطاعون آرا وفيها شكّ بعنايـــة الله.



حوار المعلم وخادمه

وتُسمى حوار التشاؤم أيضاً. وهي تمثّل قمة العدم والنفي لكلّ القيم، يتساوى فيها الشرّ والخير والجميل والقبيح، وتدخل النسبة في كافة المجالات وفيها تعبير عن قلق الإنسان أمام ذاته وأمام الكون والمطلق وشعور بسطوة القدر وبالألم على غاية غايات الإنسان.

والحوار يتمّ على الشكل التالي: يعلن السيد لعبده عن رغبته في عمل شيء معين، فتشجيعه العبد على ذلك معدداً متعة الأمر... ثم يغيّر السيّد رأيه ويقرر أن لا يفعل ذلك. فيمتدح العبد قرار سيده أيضاً معدداً جميع نواحي السوء في ذلك العمل. ويتناول الحوار جميع أمور الحياة كالحب والتقوى والإحسان والموت وغير ذلك.

أما عن الحب فيدور الحوار التالي:

«اتفق معي، أيها الخادم!» «أجل، سيدي، أجل!»

«سأعشق امرأة!» «إعشق، سيدي، إعشق!»

«من يعشق امرأة ينسَ العوز والبؤس!»

«لا، أيها العبد، لن أعشق امرأة!»

«لا تعشق، يا سيدي، لا تعشق!

ما المرأة إلاّ فخ ومصيدة،

إنها سيف مسنون من حديد،

يقطع الشاب به عنقه!

وعن التقوى:

«اتفق معي، أيها العبد!»، «أجل، سيدي، أجل!»

مرّ لي في الحال بما لديّ

وأحضره هنا. سأقدّم فريضة لإلهي!»



«حسناً تفعل، سيدي! مَن يقدّم فريضة

لإلهه، يوجد لقلبه الراحة والطمأنينة.

إنه يعطي دَيناً فوق دَين!»

«لا، أيها العبد، لن اقدّم فريضة لإلهي!»

«حسناً تفعل، سيّدي حسناً تفعل!

ليتعلّم إلهك الركض وراءك كالكلب

عندما يطلب إليك «خدميّ» أو يقول « لم تسلني»

أو أي شيء آخر».

وبعبارة أخرى: «تعزَّز على إلهك» وليشعر بأنه يعتمد عليك في الخدمة والصلاة وأمور أخرى كثيرة، فيركض وراءك متوسلاً إليك بأن تعبده.

وليس الإحسان بأفضل من التقوى:

«اتفق معي أيها العبد!» «أجل، سيدي، أجل، سيدي، أجل!»

«سأتصدق على أراضيّ!»

«تصدّق، سيدي، تصدّق!

من يتصدّق على أرضه

يضع صدقته في كف الإله مردوخ نفسه».

أي إن مردوخ نفسه كأنما تسلّم الإحسان فيجازيه بمثله.

«لا، أيها العبد، لن أتصدّق على أراضيّ!»

«لا تتصدق سيدي، لا تتصدّق!

اصعد تلال خرائب المدن القديمة وامشِ بينها،

وانظر إلى جماجم من عاضوا في ما سبق

من العصور وما تأخر:

مَن البارَ ومَن الآثم؟



فسيان فِعل الخير وفعل الشرّ، ولن يذكرهما في المستقبل أحد، ولا علم لنا بمن فعل الخير ومن فعل الشرّ بين القدمين، كلّهم منسيّ في مدن منسيّة.

وينتهي الجدل إلى هذه الخلاصة: ليس في الحياة ما هو حقاً خير، الكلّ باطل.

«اتفق معي، أيها العبد!» «أجل سيّدي، أجل!»

«ما الخير إذن؟

أن أدقّ عنقي وأدقّ عنقك

ونسقط كلانا في النهر – ذلك هو الخير!»

وإذا كان كلّ ما في الحياة باطلاً، لم يبق إلاّ الموت جميلاً. فيجيب العبد على ذلك بقول قديم يعبّر عن صبره واستسلامه الفلسفي:

«هل ثمة من طال قامة فبلغ السماء بيديه؟

وهل ثمة من اتّسع منكباً فاحتوى الأرض بذراعيه؟»

فإذا كان من العبث عن خير مطلق، فلنستسلم ونقلع عن البحث. فالمستحيل فوق طاقتنا.

غير أن السيّد يغيّر رأيه مرة أخرى:

«لا أيها العبد، سأقتلك أنت وحدك لتسبقني!»

«أو يتحمّل سيدي العيش ولو أياماً ثلاثة بعدي؟»[١]

ذلك السؤال العبد. إذا لم يكن في الحياة من نفع، ولا خير يُرجى من شيء، والكلّ باطل وعبث، أيّ نفع للسيّد من إطالة حياته بعد عيده؟ وأنّى له أن يتحملها ولو ثلاثة أيام أخرى؟

---

1 – النصوص مأخوذة من كتاب المؤلفين، فرانكفورت، جون ولسون، تور كيلد جاكيسون، ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٢، ص ٥٥- ٢٥٩.



نجد وصفاً لذلك في قصيدة «نزول عشتار إلى الجحيم» وهـي تقـول بـأن الإنسان الذي لا يخدم الآلهة يعاقب بضروب الآلام والأمراض في هذه الحياة، لذا عليه الاعتراف بذنوبه إلى الآلهة من هنا كانت مزامير التوبة التي تميّز الشرق القديم.

«إلهي خطاياي كثيرة وعظيمة، أيها الإله الذي اعرفه أو الذي لا أعرفه أخفف غضبك عني»[1].

أما بعد الموت فتنفصل النفس عن الجسد وتصبح روحاً شريراً (إديمون) حتى تدفن الجثة، عند ذلك ينـزل الإديمون إلى مسكن نركال البيت الذي لا خروج منه – حيث الأموات المحروسون من نركال وألاتّو يتغذون من الطين ولا يستطيعون الرجوع إلى الأرض ليعذبوا الأحياء، هذا المكان هو مصير الصدّيقين والأشرار وهو يذكرنا بالشيول عند اليهود. وهنا نصاً لقصيدة نزول عشتار إلى العالم السُفلي والواحد السومري والآخر بابليّ.

الرواية السومرية للأسطورة

جاءتنا الرواية السومرية في ثلاثة عشر رقيماً وكسرة رقيم من الطين وُجدت كلها في نُفَّر قبل نحو خمسين عاماً، وبعض هذا الرقيم الآن في منتصف الشرق في استانبول وبعضه الآخر في متحف جامعة بنسلفانية ويرجع تاريخ كتابة هذا الرقيم إلى النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد. ولا شكّ في أن هذه النسخة منقولة عن أصول أقدم لم يُعثر عليها بعد فلا يُعلم زمنها.

تبدأ الأسطورة ببيان عزم إينانا (أي عشتار) على هجر السماء والأرض وترك معابدها السبعة في بلاد بابل لأسباب غير معلومة، والنـزول إلى العالم السفلي وهو عالم الأرواح. فتجهّزت بجميع ما تحتاج إليه من القوى والأوامر الإلهية ووضعت

---

ey, Bordas V; Histoire p. 1-56.



تاجها على رأسها وتحلّت بأجمل وأنفس جوهرها، وتهيّأت للدخول إلى مسكن الموتى. ولما كانت تخشى من أن تميتها أختها الكبرى وعدوتها اللدودة «إيرشكيكال» ملكة العالم السفلي فقد احتاطت للأمر بأن أرشدت وزيرها ورسولها «نينشوبور» وأمرته بأنها إذا لم تعد إلى العالم العلوي بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال، عليه أن يذهب إلى معبد «أي-كور»[1] في نُفّر، ويتضرع باكياً إلى الإله العظيم «إنليل» لكي يعيد إينانا إلى الحياة ويخلّصها من عالم الموت. فإذا رفض إنليل الاستغاثة و لم يساعده، فعليه أن يذهب إلى مدينة «أوز» وأن يعيد توسلاته إلى الإله القمر «نانا»[2] فإذا رفض الإله القمر طلبه، عليه أن يذهب إلى «أريدو» ويتقدّم إلى إلهها «إنكي» بالاستغاثة نفسها. فإن إنكي، سيّد الحكمة، الذي يعرف سرّ «طعام الحياة» وسرّ «ماء الحياة» سيعيد إينانا إلى الحياة.

وبعد أن احتاطت إينانا للأمر على هذا الوجه، وأوصت وزيرها بما ينبغي له أن يفعل إذا لم تعد، نزلت إلى العالم السفلي. وعندما اقتربت من قصر «إيريشكيكال» اللازوردي نادت: «إفتح يا حاجب، إفتح! إفتح البيت يا نيتي إفتح البيت فإنني أريد الدخول وحدي». فسأل البوّاب عمّن تكون السائلة، وعن سبب مجيئها. فأجابته إينانا بأنها ملكة السماء وقدَّمت له عذراً كاذباً عن مجيئها. فقد قالت إنها جاءت لتحضر تشييع جنازة بعل أختها الكبرى «إيريشكيكال» بناءً على دعوتها إياها بعد أن قُتل. فطلب البواب منها أن تنتظر في الباب حتى يكلم سيدته بالأمر.

فأخبرته سيّدته بأن يفتح لها البواب، وأن يأتي بها «ذليلة أمام عرشها» فقادها من سبعة أبواب، هي أبواب العالم السُفلي، وصاروا ينزعون عنها عند دخولها من كل باب قسماً من لباسها حسب رسوم العالم السفلي، على الرغم من اعتراضها وتمنعها. وبعد مرورها من الباب السابع عرّوها من كلّ لباسها وجواهرها، وأحضروها عارية ذليلة أمام عرش «إيريشكيكال» وعند مثولها أمام أختها وقد

---

1 - أي كور، اسم معبد الإله إنليل في نفر.

2 - وكان يقرأ سابقاً «ننار» واسمه كذلك «سين».



استوت هذه على عرشها يحيط بها سبعة قضاة من «الأنوناكي» صوّب هؤلاء نظراتهم المخيفة على إينانا، وهي نظرات الموت فتحوّلت إينانا إلى جثة هامدة.

وبعد أن مضت ثلاثة أيام وثلاث ليال، و لم تعد إينانا بدأ رسولها ووزيرها «نينشوبور» يعمل بأوامرها ووصاياها، فقصد الآلهة الذين أوصته سيّدته بزيارتهم والتضرع إليهم لكي يعيدوا إينانا إلى الحياة. جاء أولاً إلى بيب «إنليل» في نُفّر فلم يستجب له إنليل، وهكذا فعل الإله القمر «نانا» في أور. وعندئذ قصد «أريدو» إلى الإله «إنكي» فأصغى هذا إلى ما حلّ بابنته ونعى مصيرها فاستجاب له وعوّل على تخليصها. فخلق لهذه الغاية مخلوقين، اسم أحدهما «كوركرا» والثاني «كلاترو» وسلّم بيد الأول «غذاء الحياة» وأعطى الثاني «ماء الحياة» وأمرهما بأن ينزلا إلى العالم السفلي ونشر طعام الحياة ويرشا ماء الحياة على جثة إينانا. وقد فعلا بما أمرهما به الإله فدبّت الحياة في إينانا، وقامت وصعدت من العالم السفليّ إلى العالم العلويّ[1]. ولكن صحبها في قيامتها وصعودها جمع غفير من الشياطين والأبالسة، وأخذت تجول معهم من مدينة إلى مدينة.

وبعد أن صعدت إينانا (عشتار) مع من رافقها من العالم السفلي، التقت برسولها نينشوبور الذي ارتمى عند قدميها، وتمرّغ في التراب، ولبس ثياب الحداد. ويبدو أن الشياطين الذين صاحبوا إينانا قد أرهبوه بأنهم سيحملونه إلى العالم السفليّ، ولكن إينانا أخبرتهم بأنه رسولها فكفوا عنه. ثم سار الجمع إلى «أومّا» قاصدين معبدها المسمّى بالسومرية «سوكر ساهاكا» ولما رآهم الإله شارا إله «أوما» خاف فرمى نفسه عند قدمي إينانا وتمرّغ في التراب ولبس ثياب الحداد خوفاً من أخذ الشياطين له إلى العالم السفلي، ولكن إينانا تشفعت له فتركوه. ثم قصد الحشد إلى

---

1 - يقارن بعضهم Albright in Bassor no 79, p. 21, no 3 قيامة إينانا بقيامة المسيح، ويعلّق أهمية كبرى على مدة الثلاثة أيام المذكورة في الرواية السومرية.

مدينة «بادتيبرا»[1] ومعبدها (إيموش كلامّا) وهنا أيضاً فعل إله المدينة «لاتراك» ما فعله «أوما» فنجا كذلك. ثم قصد الجمع إلى مدينة أخرى لا يُعرف اسمها بالضبط ولكن يُرجح أنها مدينة الوركاء. وفي مدينة الوركاء ولعلّ في إحدى ضواحيها المسمّاة كُلاّب يصادفون الإله دموزي (تموز) فلا يفعل هذا الإله ما فعلته الآلهة الأخرى، أي أنه لم يخضع لإينانا وجمعها، بل بالعكس لم يكترث بهم، فتطلق عليه إينانا الشياطين لينقلوه إلى عالم الأرواح. فيتضرع هذا الإله إلى الإله الشمس أوتو (شمش) ليخلّصه من الشياطين، والى هنا ينخرم نص الرواية فنعلم نتيجتها.

الرواية السامية (البابلية)

جاءتنا الرواية البابلية عن نزول عشتار (أي إينانا عند السومريين) إلى العالم السفلي، بنصّين أحدهما من نينوى، وقد وجد في خزانة كتب الملك الأشوري «أشور بانيبال»، ويرجع تاريخه إلى منتصف القرن السابع قبل الميلاد، والنص الثاني من أشور، وهو أقدم عهداً[2].

تبدأ الرواية، كما في الرواية السومرية، بعزم عشتار إبنة الإله «سين» على النزول إلى «الأرض التي لا رجعة منها» أرض إيريشكيكال: إلى البيت المظلم، مسكن إيركلا[3] إلى «البيت الذي لا يرجع منه من دخله»، إلى «الطريق الذي لا يرجع سالكه»، إلى «البيت الذي يحرم من النور من دخله» «حيث التراب طعامهم والطين قوتهم». ثم تتابع القصة وصف ساكني «العالم المخيف» فنقول لهم «أنهم يلبسون الريش كالطيور». وعندما وصلت عشتار إلى باب «الأرض التي لا رجعة

---

1 - من المدن السومرية التي لا يُعرف موقعها الآن بالضبط. وقد جاء ذكرها في إثبات الملوك السومرية من جملة المدن التي ظهرت فيها سلالات حاكمة قبل الطوفان، ولا يستبعد أن تكون في موضع ما في منطقة أريدو.

2 - حول النصوص والمراجع الأصلية أنظر: Ancient Near Eastern texts ص ١٠٦-١٠٩.

3 - إيركلا، اسم ايريشكيكال أيضاً، ملكة العالم السفلي، على ما مر بنا.



منها»، طلبت من بوابها أن يفتح لها الباب وإلاّ فإنها «تحطم الباب» والمزلاج وتجعل الموتى يقومون فيأكلون مثل الأحياء، وتجعل الموتى أكثر عدداً من الأحياء، فرجا البواب من عشتار أن تتمهل عليه فتنفذ تهديدها حتى يذهب إلى سيدة العالم السفليّ، إيريشكيكال، لإعلامها بالأمر. فلما سمعت هذه بخبر عشتار وتهديدها، تغيّر لونها، وعلت الصفرة وجهها، واسودّت شفتاها، وقالت: ما الذي حثّ قلبها على أن تجيء إليّ؟ ما الذي وجّه فكرها إلى هذا الأمر: عليّ أن أشرب الماء مع الأنوناكي، وعليّ أن آكل الطين بدل الخبز وأشرب الماء العكر بدل الجعة. وعليّ أن أندب الرجال الذين تركوا وراءهم زوجاتهم. عليّ أن أندب العذارى اللواتي أُخذن من أحضان عشاقهن قسراً. وعليّ أن أبكي الطفل الغض الذي اختُطف قبل أوانه»[1].

فأمرت البوابّ أن يرجع فيفتح الباب إلى عشتار ويعاملها «بموجب القانون القديم»[2]. ففتح البواب الباب ورحَّب بها وبمقدمها. وعندما دخلت الباب الأول نزع عنها تاجها، فلما احتجّت على ذلك قال لها إن هذا يتم بموجب «قانون سيدة العالم السُفلي» وفي الباب الثاني عرّاها من أقراطها، وفي الباب الثالث نزع عنها قلائدها، وفي الباب الرابع أخذ منها حلية صدرها، وفي الباب الخامس جرّدها عن زنارها وحزامها، وفي الباب السادس أخذ منها أساورها وخلاخلها، وفي الباب السابع عرّاها من ملابسها.

وعندما اقتربت عشتار من إيريشكيكال غضبت هذه من حضورها، وأرادت عشتار أن تهجم عليها، إلا أن إيريشكيكال أمرت وزيرها «نمتار» بأن يأخذ عشتار

---

1 - معنى هذا أن «إيريشكيكال» خشيت من أن تكون عشتار قد جاءت لتخلّص الموتى من العالم السفلي. ولو قدّر للموتى أن يخرجوا من ذلك العالم إلى عالم الأحياء لانقطع تقديم القرابين إلى العالم السفلي وأهله، فيتحتّم عندئذ على إيريشكيكال وأتباعها أن يأكلوا الطين بدلاً من الخبز ويشربوا الماء العكر بدل البيرة. واذن فيكون هذا سبباً لملكة العالم السفلي أن تندب الموتى الذين خرجوا من عالمها وحُرِمت بسبب ذلك مما يقدّم له من قرابين، ولذلك فقد عزمت إيريشكيكال على أن تمنع حدوث مثل هذا الأمر.

2 - المقصود بذلك أن يعاملها كما يعامل الداخلون إلى هذا العالم.



ويسجنها في قصرها. وأمرته بأن يُطلق عليها ستين نوعاً من الأمراض لتصيب سائر أعضائها وجوارحها.

وقد كان لنزول عشتار إلى العالم السّفلي وغيابها عن الأرض أثره العظيم في الأحياء، فإنها لمّا كانت هي إلهة الحبّ فإن في غيابها بطلت جميع عمليات التناسل والأخصاب، «فقد صار الرجل يضطجع وحده في حجرته، والمرأة أخذت تنام وحدها على جانبها». وهنا بدأت الآلهة تتدخل في الأمر. فإن وزير الآلهة «باسبسوكال» قد أحزنه الأمر، فلبس ثياب الحداد وأطال شعره، وقصد إلى الإله القمر «سين» وبكى أمامه وأمام الإله آيا، وأخبرهما بما حلّ في الأرض وانقطاع الخلق عن التناسل. فتصور آيا صورة مخلوق في قلبه وخلقه واسمه «أصو شو نامر»[1] وهو خصيّ وأمره أن يذهب إلى العالم الذي « لا رجعة منه» وستفتح له أبوابه السبعة وسترحّب به «إيريشكيكال». وأوصاه بأن يطلب منها بعد أن تهدأ ويطيب قلبها أن «تحلف بأسماء الآلهة العظيمة» وعند ذاك عليه أن يوجّه همّه إلى زق من الماء سيجده عندها[2] وأن يطلبه منها ليشرب منه الماء[3]. وعند ذلك استشاطت «إيريشكيكال» غيظاً، وهدّدت الرسول بأن تحلّ عليه اللعنة وتجعل مصيره لن يُنسى إلى الأبد، إذ ستجعله مشرداً صعلوكاً. ولكن مع غضبها فإنها لم تستطع عصيان أمر الآلهة بإرجاع عشتار إلى الحياة. فلذلك أمرت وزيرها «نمتار» بأن يحضر عشتار أمام هيئة قضاة

---

1 - ومعنى اسمه «طلوعه بهي»

2 - جاء اسم «الزق» بهيئة «خالزقو».

3 - يبدو أن الآلهة قد قصدت من إرسال ذلك المخلوق إلى العالم السُفلي، أن يسحر إيريشكيكال بجماله ويجعلها أولاً تحلف بأسماء الآلهة لتمنحه كل ما يطلب قبل أن يطلب منها الزق، فإذا أجابته إلى ذلك سألها منحه زق الماء المذكور الذي يحتوي على «ماء الحياة». فإذا ما حصل عليه رشّ من مائه على عشتار. وبما أن ملكة العالم السُفلي قد أقسمت بأسماء الآلهة على إجابة طلب الرسول، فإنها اضطرّت على إجابة الرسول بتخليص عشتار ولكن خلاصها لم يتم برشّ الماء عليها فقط ، انما بعمل وزير ملكة لعالم السُفلي «نمتار».

العالم السُفلي «الأنوناكي» وأن يرش عليها ماء الحياة ويخرجها من حضرتها. ففعل هذا ما أمر به. إلاّ أن الرواية الأشورية تشير إلى أن إخراج عشتار من العالم السُفلي لم يتمّ إلاّ بعد أن دفعت عشتار فدية. فأخرجها الوزير من أبواب العالم السُفلي إذا لم تدفع فدية إطلاق سراحها. ولكن الظاهر من سياق القصة أنها قد أدّت تلك الفدية، وعقب ذلك أن أطلق سراح الإله تموز[1] زوج عشتار وحبيب صباها.

بعد أن ألبسوه أزهى الثياب، وضمخوه بالطيب ومسحوه بالزيت. ففرحت عشتار لصعود أخيها أيضاً [2] . وتنتهي الرواية برغبة عشتار في أن يخرج الأموات أيضاً ليشاركوها في أفراحها بصعودها مع حبيبها تموز.

نص الرواية السومرية: نزول إينانا إلى العالم السفلي.

من «السماء العظيمة» قصدت إلى «العالم السفلي».

الآلهة من «السماء العظيمة» قصدت إلى «العالم السُفلي».

إينانا من «السماء العظيمة» قصدت إلى «العالم السفلي».[1]

---

1 - كان القدماء يعتقدون في تموز، بصفته يمثّل حياة الخضار والربيع التي تموت في حرّ الصيف المحرق وتعود إلى الحياة مرة ثانية بورود الربيع، إنه يهبط إلى العالم الأسفل مع موت الخضار ثم يقوم بمجيء الربيع ويرجع إلى الحياة. وهو في هذه القصة نجده وقد أُطلق سراحه مع عشتار فيصعد إلى العالم العلويّ. والمعروف عن تموز أنه زوج عشتار في زمن صباها وأن عشتار فرضت أن يُتاح على تموز كل عام . أنظر : ملحمة كلكامش الرقيم السادس، السطران ٤٦- ٤٧. وقارن سفر حزقيا: ١٤: ٨. وانتشرت عبادة تموز مع عبادة عشتار إلى كثير من الأقطار خارج العراق، وبقيت الشعائر الدينية التي تُقام لندب تموز والنواح عليه إلى أزمان متأخرة في بعض أجزاء الشرق الأدنى ومن ذلك مدينة حرّان إلى أيام الإسلام (أنظر فهرست ابن النديم).

2 - ويُدعى تموز في هذه القصة، أخا عشتار كما أنه زوجها أيضاً.



سيّدتي هجرت السماء، هجرت الأرض، والى العالم السُفلي هبطت،

إينانا هجرت السماء، هجرت الأرض، والى العالم السُفلي هبطت،

نبذت الربوبية، نبذت السيادة، والى العالم السفلي هبطت،

في أرك تركت «أي أنا»، والى العالم السُفليّ هبطت[٢].

وفي باد تيبرا تخلّت عن «أي مش كلاما»، والى العالم السُفلي هبطت.

وفي زبالم[٣] هجرت «كيكونا»، والى العالم السُفلي هبطت.

وفي أدب تركت «أي شرا»، والى العالم السُفلي هبطت.

وفي نفر تخلّت عن «براتش كرا»، والى العالم السُفلي هبطت.

وفي كيش تركت «خرساك كلاما»، والى العالم السُفلي هبطت.

وفي أكد تركت «أي ألمش»، والى العالم السُفلي هبطت.[٤]

لقد تحصّنت بالأوامر الإلهية السبعة[٥]،

---

1 - يُلاحظ في أسلوب الشعر السومري التكرار في أبياته وما ذلك إلاّ بقصد الإيضاح والتخصيص حيث ينتقل بالتكرار تدريجياً إلى إضافة أشياء جديدة إلى الأبيات السالفة على ما يُلاحظ القارئ في هذه الأسطورة وفي الأساطير الأخرى التي سبق لنا نشرها.

2 - «أي أنا» هو المعبد الرئيسي فرّ في الوركاء الذي عُبدت فيه عشتار إلى جانب آنو وقد أسفرت تنقيبات البعثة الألمانية عن نتائج مهمة.

3 - ظهر حديثاً من تحريات مديرية الآثار العامة أن هذه المدينة القديمة المهمة يمثلها الآن التل المعروف باسم بزيخ الواقع في شمال قضاء الرفاعي وقد جاء اسم المدينة مختوماً على عدد من الأجر الذي وجدته مديرية الآثار في بزيخ بعلامات مسمارية كانت تقرأ سابقاً بامس خلاب. ولنا عن هذه المدينة بحث أوفى يجده القارئ في موضوع آخر عن سومر.

4 - تذكر الأسطورة من السطر السابع إلى هذا الموضع جملة مدن مهمة مختلفة مع أسماء معابدها هجرتها الإلهة إينانا عندما نزلت إلى العالم السفليّ.

5 - في النص السومري الأصلي وردت كلمة «مي» وهي تعني شعائر دينية وأمر إلهيّ.



وجمعت الأوامر الإلهية ووضعتها في يدها،

ووضعت على رأسها الـ«شوكرا» تاج السهل،

وأخذت معها شعر ناصيتها المستعار،

ومسكت بيدها عصا القياس وخيطاً من اللازورد،

وعقدت حول جيدها خرزاً من اللازورد وعلّقت على صدرها أحجاراً متلألئة.

وأحاطت معصمها بسوار من ذهب،

وربطت حول صدرها مشداً من ..

وارتدت حلّة الحكم وحلة السيادة واكتحلت بكحل.

إينانا مشت نحو العالم السُفليّ،

ومشى إلى جانبها رسولها «نينشوبور».

وقالت إينانا الطاهرة لنينشوبور:

«أنت يا معيني الصادق،

يا رسولي للكلمات النافعة،

المبلغ للكلمات الصادقة.

إنني الآن هابطة إلى العالم السُفليّ،

وحين أصل إلى العالم السُفليّ.

إملأ السماء بشكاتك من أجلي

وفي معبد الآلهة إبكِ من أجلي

وفي بيت الآلهة فتّش جهاته من أجلي

إلطم على عينيك من أجلي، واضرب فمك من أجلي.

والبس من أجلي رداء صعلوك:



والى إيكور[1]، بيت إنليل، إليه وحده وجِّه خطواتك».

وعند دخولك «إيكور» بيت إنليل، إبكِ أمام إنليل وتضرّع:

«يا أبتِ إنليل لا تدع ابنتك يُحكم عليها بالموت في العالم السُفليّ،

لا تدع معدنك الطيّب يعطيه تراب العالم السُفليّ

لا تدع لازوردك النفيس يكسر حجراً للحجار

ولا تدع خشبك البقس يقطع ليصير خشباً للنجار

لا تدع العذراء إينانا يحكم عليها بالموت في العالم السُفليّ.

فإن لم يقف إنليل بجانبك في هذا الأمر، إذهب إلى أور.

وفي أور عند دخولك بيت البلاد (أي سومر) في أكيشنوكال[2]، بيت ننّا، إبكِ أمام ننّا وتضرّع:

«يا ابتِ ننّا، لا تدع ابنتك يُحكم عليها بالموت في العالم السُفليّ،

لا تدع معدنك الطيّب يغطيه تراب العالم السفليّ،

لا تدع لازوردك النفيس يكسر حجراً للحجار،

ولا تدع خشبك البقس يُقطع ليصير خشباً للنجار،

لا تدع العذراء إينانا يُحكم عليها بالموت في العالم السُفلي.

فإن لم يقف ننّا بجانبك في هذا الأمر، إذهب إلى أريدو.

وفي أريدو عند دخولك بيت إنكي، إبكِ أمام إنكي وتضرّع:

«يا أبتِ إنكي، لا تدع ابنتك يُحكم عليها بالموت في العالم السُفليّ،

لا تدع معدنك الطيّب يغطّيه تراب العالم السّفليّ،

لا تدع لازوردك النفيس يكسر حجراً للحجار،

---

1 - إيكور: اسم معبد الإله إنليل في نفر. أور.

2 - أكيشنوكال: اسم معبد الإله القمر في أور.



ولا تدع خشبك البقس يُقطع ليصير خشباً للنجار،
لا تدع العذراء إينانا يُحكم عليها بالموت في العالم السفلي».
وابتِ إنكي، رب الحكمة
الذي يعرف طعام الحياة، الذي يعرف ماء الحياة،
سيعيدني حتماً إلى الحياة.
ثم مشت إينانا نحو العالم السفلي،
وقالت إلى رسولها نينشوبور:
«إذهب يا نينشوبور،
واحفظ الكلمة التي أوصيتك بها».
ولما وصلت إينانا إلى قصر العالم السُفليّ اللازوردي،
فعلت شرّاً عند باب العالم السُفليّ
وتكلّمت كلاماً سيئاً في قصر العالم السُفليّ:
«إفتح البيت أيها الحاجب، إفتح البيت،
إفتح البيت يا نيتي، إفتح البيت فإني أريد أن أدخل وحدي».
نيتي كبير الحجّاب في العالم السُفليّ أجاب إينانا الطاهرة:
«أرجوكِ، من تكونين؟»
«أنا إينانا، من موضع مشرق الشمس».
إن كنتِ إينانا من موضع مشرق الشمس
فلم جئتِ إلى الأرض التي لا رجعة منها[١]
وفي الطريق الذي لا رجعة لمن سلكه، كيف قادك قلبك؟»

1- كنّى السومريون والبابليون علام الرواح والعالم السُفلي بـ«الأرض التي لا رجعة منها» وهي بالسومرية «كي نوكي» وبالأكديّة «أرصت لاتاري».

فأجابته إينانا الطاهرة:

«جئت من أجل أختيَ الكبرى إيريشكيكال،

لأن زوجها كوكالنا قد قُتل،

وسأحضر جنازته».

نيتي كبير الحجّاب في العالم السفليّ،

أجاب إينانا الطاهرة:

«مكانك يا إينانا، واسمحي لي بأن أكلّم ملكتي.

إلى ملكتي إيريشكيكال دعيني أتكلّم...

دعيني أتكلّم».

نيتي كبير الحجاب في العالم السُفليّ،

دخل بيت ملكته إيريشكيكال، وقال لها:

«يا ملكتي (في الباب عذراء مثل إلهة)

في أي – أنا ...

لقد تحصّنت بالأوامر الإلهية السبعة،

وجمعت الأوامر الإلهية، ووضعتها في يدها،

ووضعت على رأسها الــ«شوكرا» تاج السهل،

وأخذت معها شعر ناصيتها المستعار،

ومسكت بيدها عصا القياس، وخيطاً من اللازورد،

وعقدت حول جيدها خرزاً من اللازورد

وعلّقت على صدرها أحجاراً متلألئة

وأحاطت معصمها بسوار من ذهب،

وربطت حول صدرها مشداً من...



واكتحلت بالكحل،

وارتدت حلّة الحكم وحلّة السيادة».

عندئذ، إيريشكيكال...

أجابت نيتي كبير حجّابها:

«هلمّ يا نيتي يا كبير حجّاب العالم السُفليّ،

ولا تهمل الكلمة التيّ آمرك بها،

إفتح أقفال أبواب العالم السُفليّ السبعة،

واتبع رسوم الباب «كنـــزير» وجه العالم السبعة،

وعند دخولها (أي إينانا)

......................».

نيتي كبير الحجّاب في العالم السفليّ.

أطاع كلمة ملكته.

وفتح أقفال أبواب العالم السفليّ السبعة.

واتبع رسوم الباب «كنـــزير» وجه العالم السفليّ»

وقال إلى إينانا الطاهرة:

«هلمّي أدخلي يا إينانا».

وعند دخولها الباب الأول،

نزع الـــ«شوكرا»، تابع السهل عن راسها.

«ما هذا الذي تفعل؟»

«يا إينانا، اسكتي، فإن أحكام العالم السُفليّ محكمة.

يا إينانا لا تعترضي على رسوم العالم السُفليّ».

وعند دخولها الباب الثاني،



أخذ منها عصا القياس وخيط اللازورد.

ما هذا الذي تفعل؟

«يا إينانا اسكتي. فإن أحكام العالم السّفليّ مُحكمة؟

يا إينانا لا تعترضي على رسوم العالم السُفليّ».

وعند دخولها الباب الثالث،

رُفِعت من حول جيدها خرز اللازورد.

«ما هذا الذي تفعل؟»

«يا إينانا لا تعترضي على رسوم العالم السُفليّ».

وعند دخولها الباب الرابع،

نُزعت من على صدرها أحجار... المتلألئة.

«ما هذا الذي تفعل؟»

«يا إينانا اسكتي، فإن أحكام العالم السفلي مُحكمة،

يا إينانا لا تعترضي على رسوم العالم السُفليّ».

وعند دخولها الباب الخامس،

نُزع من معصمها السوار الذهب.

«ما هذا الذي تفعل؟»

«يا إينانا اسكتي، فإن أحكام العالم السفلي مُحكمة.

يا إينانا لا تعترضي على رسوم العالم السُفليّ».

وعند دخولها الباب السادس

نُزع المشد عن صدرها...

«ما هذا الذي تفعل؟»

«يا إينانا اسكتي، فإن أحكام العالم السُفليّ مُحكمة



يا إينانا لا تعترضي على رسوم العالم السُفليّ»

وعند دخولها الباب السابع،

نُزعت عنها حلة الحكم وحلّة السيادة.

«ما هذا الذي تفعل؟»

«يا إينانا اسكتي، فإن أحكام العالم السُفلي مُحكمة،

يا إينانا لا تعترضي على رسوم العالم السفلي».

استوت إيريشكيكال الطاهرة على عرشها،

والأنوناكي، القضاة السبعة، لفظوا حكمهم أمامها،

فصوّبوا عيونهم عليها، عيون الموت،

وعند كلمتهم، الكلمة التي تعذّب الروح و...

تحوّلت المرأة العليلة إلى جثة هامدة،

وعُلّقت الجثّة فوق عمود.

وبعد مضي ثلاثة أيام وثلاثة ليال.

رسولها نينشوبور،

ورسولها للكلمات النافعة

المُبلّغ للكلمات الصادقة

ملأ السماء بشكاته من أجلها،

بكى من أجلها في معبد الآلهة،

وفتّش من أجلها جهات بيت الآلهة،

لطم على عينيه من أجلها، وضرب على فمه من أجلها،

ولبس من أجلها ثوب صعلوك.

والى إيكور، بيت إنليل، إليه وحده وجه خطواته.



وعند دخوله إيكور، بيت إنليل،

أمام إنليل بكى وتضرّع:

«يا أبتِ إنليل، لا تدع ابنتك يُحكم عليها بالموت في العالم السُفليّ،

لا تدع معدنك الطيّب يغطيه تراب العالم السفليّ

لا تدع لازوردك النفيس يكسر حجراً للحَجّار،

لا تدع خشبك البقس يُقطع خشباً للنجّار

فلا تدع العذراء إينانا يُحكم عليها بالموت في العالم السُفليّ».

فأجاب الأب إنليل، نينشوبور:

«إن ابنتي هي التي أرادت ذلك

في السماء العُليا وفي الأرض السُفلى

لقد وصلت إلى موضع أحكام العالم السُفليّ».

لم يقف الأب ننا بجانبه في هذا الأمر.

فذهب إلى أريدو

وفي أريدو عند دخوله بيت إنكي:

بكى أمام إنكي وتضرّع

«يا أبتِ إنكي، لا تدع ابنتك يُحكم عليها بالموت في العالم السُفليّ،

لا تدع معدنك الطيّب يغطيه تراب العالم السفليّ

لا تدع لازوردك النفيس يكسر حجراً للحجّار،

لا تدع خشبك البقس يُقطع خشباً للنجّار

فلا تدع العذراء إينانا يُحكم عليها بالموت في العالم السُفليّ».

فأجاب الأب إنليل، نينشوبور:

«ماذا حدث لابنتي! إنني مضطرب،



ماذا حدث لإينانا! إنني مضطرب،

ماذا حدث لبغي السماء المقدّسة! إنني مضطرب».

أخذ تراباً من ظفر إصبعه وخلق «كوركرو»

وأخذ تراباً من ظفر إصبعه الأحمر وخلق «كلاترو»

إلى «كوركرو» أعطى طعام الحياة،

والى «كلاترو» أعطى ماء الحياة.

وقال الأب إنكي لــ«كلاترو وكوكرو»:

«**(تسعة عشر بيتاً من الرقيم الطيني مشوّهة فلا يمكن قراءها)**»[1]

وعلى الجثة المعلّقة في العمود صوِّبا الــ«يلخو» ولا «ميلمّو»

وانثرا عليها ستّين مرة من طعام الحياة وستين مرة من ماء الحياة،

حقاً يا إينانا ستقوم».

(الرقيم الطيني هنا مخروم وقد ضاعت منه نحو عشرين بيتاً)

وعلى الجثّة المعلّقة فوق عمود...

أجابت إيريشكيكال الطاهرة الكلاترو والكوكرو:

«الجثّة...»

على الجثة المعلّقة فوق عمود صوبا البخلو والميلمّو[2]

نثرا ستين مرّة طعام الحياة وستين مرة ماء الحياة،

لقد قامت إينانا

---

1 - تحتوي هذه الأبيات على عدد من الوصايا التي وجّهها الإله إنكي إلى «كلاترو وكوركرو» بصدد ما ينبغي فعله لإنقاذ إينانا وتخليصها من العالم السفلي أي عالم الأرواح.

2 - مصطلحان معناهما غير معروف بوجه التأكيد ولكن يُفهم منهما أنهما شيئان معنويان إلهيان لهما قدرة الإحياء.

وصعدت إينانا من العالم السُفليّ،

وانهزم الأنوناكي.

فمن من سكان العالم السفليّ سيبقى في موضعه!

ولما صعدت إينانا من العالم السُفلي

تقدّمها الموتى مسرعين.

لقد صعدت إينانا من العالم السُفلي.

الشياطين الكبار مثل...

مشوا بجانبها.

فمن لم يكن ... رسولاً، مسك عصا بيده

ومن لم يكن ... مبلغاً، حمل سلاحاً في جنبه.

أولئك الذين رافقوها

أولئك الذين رافقوا إينانا،

(كانوا خلائق) لا يعرفون طعاماً ولا يعرفون ماء.

فلا يأكلون طحيناً مرشوشاً

ولا يشربون ماء مسكوباً

الذين يسلبون الزوجة من جنب الرجل

الذين يسلبون الطفل من ... مرضعته

إينانا صعدت من العالم السُفلي، وعند صعود إينانا من العالم السُفلي

رمى رسولها نينشوبور نفسه على قدميها،

وجلس في التراب ولبس ثوب الحداد.

وقالت الشياطين لإينانا الطاهرة:

«يا إينانا انتظري أمام مدينتك، ودعينا نميته».



فأجابت إينانا الطاهرة للشياطين:

«إنه رسولي للكلمات النافعة،

ومُبلّغ كلماتي الصادقة،

الذي عمل بوصاياي

و لم يُهمل أوامري

ملأ السماء بشكاته من أجلي،

وأعول في مجلس الآلهة من أجلي،

وبحث في بيت الآلهة من أجلي،

لطم على عينيه من أجلي، وضرب على فمه من أجلي،

ولبس رداء صعلوك من أجلي،

وذهب إلى إيكور، بيت إنليل،

وفي أور، إلى بيت ننّا،

وفي أريدو، إلى بيت إنكي،

فأعادني إلى الحياة»[1].

«فلنصحبها إلى أوما، إلى سيك كورشكا، فلنصحبها»[2]

في أوما، في سيك كورشكا،

رمى شارا بنفسه عند قدميها،

وجلس في التراب ولبس ثوب الحداد.

وقالت الشياطين لإينانا الطاهرة:

«يا إينانا، انتظري أمام مدينتك، ودعينا نميته».

---

1 - من المحتمل أن إينانا بعد حديثها هذا طلبت من الشياطين ألا يمسّوا رسولها بأذى، وهو ما يُشير إليه بيت غير واضح الكلمات في إحدى النُسَخ.

2 - في هذا البيت على ما يظهر يتحدّث الشياطين بعضهم إلى بعض.



فأجابت إينانا الطاهرة، الشياطين:

(قد ضاعت من الرقيم ثلاثة أبيات)[١]

«فلنصحبها إلأى بادتبيرا، إلى إيموش كلامّا، فلنصحبها».

في بادتبيرا من إيموش كلاما

رمى، لاتراك «بنفسه عند قدميها،

وجلس في التراب، ولبس ثوب الحداد.

وقالت الشياطين لإينانا الطاهرة:

«يا إينانا، انتظري أمام مدينتك، ودعينا نميته».

فأجابت إينانا الطاهرة، الشياطين:

(ما زالت بقية الأسطورة مجهولة لدينا).

نص الرواية السامية: وجه الرقيم

إلى الأرض التي لا رجعة منها، إلى مملكة أرشكيكال[٢]

عشتار، ابنة سين[٣]، عزمت على الذهاب،

أجل، إن ابنة سين، عزمت إلى الذهاب

إلى البيت المظلم، مقام إيركلا[٤]

إلى البيت الذي لا يغادره من دخله

إلى الطريق الذي لا يغادره من دخله

---

1 - من المحتمل أن البيتين الأولين يحتويان على ثناء ومديح لإينانا. ولعلّ في البيت الثالث طلبت إينانا عدم إيذائه.

2 - أرشكيكال، ملكة العالم السفلي، وقد سمى قدماء العراقيين الأرض السفلى أو عالم الرواح بالأرض التي لا رجعة منها. وهي باللغة البابلية «أرصت لاتاري» وبالسومرية «كي توكي».

3 - سين: اسم الإله القمر، ويسمى ننا أيضاً.

4 - إيركلا اسم آخر للإلهة أرشكيكال ملكة العالم السفلي.



إلى الطريق الذي لا رجعة منه،

إلى البيت الذي حرم ساكنوه من النور

حيث التراب أكلهم والطين طعامهم

حيث لا يرون نوراً وفي الظلام يعيشون[1]

حيث يكتسون كالطيور، بالأجنحة عوضاً عن الألبسة.

حين يغطي الغبار الباب والمزلاج.

وحين وصلت عشتار باب الأرض التي لا رجعة منها،

قالت هذه الكلمات إلى البواب:

«أيها البواب افتح بابك،

افتح الباب لكي أدخل!

فإن أنت لم تفتح الباب لأدخل منه

حطمت الباب وكسرت المزلاج.

فسأحطم عمود الباب، وسأقلع الأبواب

سأقيم الموتى ليأكلوا الأحياء،

وسيزداد عدد الموتى على الأحياء».

فتح البواب فاه ليتكلم

وقال لعشتار الممجدة:

---

1 - فكرة تصور أرواح الموتى هيئة طيور وجدت في أزمنة مختلفة وعند اقوام متعددة. فقد مثل المصريون القدماء روح الميت أو نفسه هيئة طائر، ومثل اليونان الروح أو النفس البشرية هيئة طائر لطيف أيضاً وجسموه وسموه «سايكا»، ومنه اشتقت كلمة النفس عند اليونان ومنها كلمة سايكولودي الدالة على علم النفس. وتصور عرب الجاهلية روح القتيل الذي لم يؤخذ بثأره أنها تخرج على هيئة طائر سموه (الهامة) إلى آخر ما هو معروف، ونجد الفكرة نفسها في بعض الأد[illegible] السماوية المهمة.

«مكانك، يا سيدتي، لا تحطمي الباب

سأذهب لأنبئ الملكة أرشكيكال باسمك».

دخل البواب وقال أرشكيكال:

«أنظري، إن أختك عشتار تنتظر في الباب

تلك التي تقيم الولائم العظيمة

والتي تثير ماء العمق أمام آيا الملك...»

فلما سمعت أرشكيكال ذلك،

شحب وجهها واصفر مثل شجرة الأثل المقطوعة،

وازرقت شفتاها مثل القصبة المرضوضة:

«ما الذي حث قلبها إلي؟ وما الذي ساق نفسها

على المجيء إلى هنا

أعليّ أن اشرب الماء مع الأنوناكي؟

وهل ينبغي أن آكل الطين خبزاً وأشرب الماء العكر جعة؟

أعليّ أن أندب الرجال الذين تركوا أزواجهم؟

أعليّ أن أندب النساء اللواتي خطفن من أحضان أحبائهن؟

أو هل عليّ أن ابكي الطفل الغض الذي قضى قبل أوانه؟

إذهب أيها البواب، إفتح لها الباب،

وعاملها بموجب الرسوم المأثورة القديمة».

فأسرع البواب ليفتح لها الباب،

«أدخلي يا سيدتي، ولتفرح بك كوثي[1]

---

1 - اسم العالم السفلي، أما اسم المدينة الأكدية فهو كوتو، ولا يستبعد أن هناك علاقة لغوية بين «كوت» العربية وهذه الكلمة.

وليفرح بوجودك قصر الأرض التي لا رجعة منها»

فلما أدخلها من الباب الأول،

نزع عن رأسها التاج العظيم

«لماذا نزعت أيها البواب التاج العظيم عن رأسي؟»

«أدخلي يا سيدتي، فهذه هي قواعد سيدة العالم السفلي».

ولما أدخلها من الباب الثاني

نزع الأقراط من أذنيها وأخذها.

«لماذا أخذت أيها البواب الأقراط من أذني؟»

«أدخلي يا سيدتي، فهذه هي قواعد سيدة العالم السفلي»

ولما أدخلها من الباب الثالث

«لماذا نزعت أيها البواب القلائد عن جيدي؟»

«أدخلي يا سيدتي فهذه قواعد سيدة العالم السفلي».

ولما أدخلها من الباب الرابع،

نزع وأخذ الحلى التي على صدرها

«لماذا أخذت أيها البواب الحلي من صدري؟»

«أدخلي يا سيدتي، فهذه هي قواعد سيدة العالم السفلي»

ولما أدخلها الباب الخامس

«لماذا أخذت أيها البواب حزام أحجار الولادة من ردفي؟»

نزع وأخذ حزم أحجار الولادة من ردفيها

«أدخلي يا سيدتي، فهذه هي قواعد سيدة العالم السفلي».

ولما أدخلها الباب السادس

نزع وأخذ الأساور والخلاخل من معصميها ورجليها.



«لماذا أخذت أيها البواب الأساور والخلاخل من معصمي ورجلي؟»

«أدخلي يا سيدتي، فهذه قواعد سيدة العالم السفلي».

ولما أدخلها الباب السابع

نزع الأحزمة والمشابك من بدنها وأخذها.

«لماذا أخذت أيها البواب الأحزمة والمشابك من بدني؟»

«أدخلي يا سيدتي، فهذه قواعد سيدة العالم السفلي».

وحالما نزلت عشتار إلى الأرض التي لا رجعة منها،

رأتها أرشكيكال وتملكها الغضب لحضورها،

فانقضت عليها عشتار مهتاجة،

فتحت أرشكيكال فاها لتتكلم،

ووجهت هذه الكلمات إلى نمتار وزيرها:

«إذهب يا نمتار واحبسها في قصري!

بلية العيون على عينيها،

وبلية الجوانب على جانبيها،

وبلية الأقدام على قدميها،

وبلية الرأس على راسها،

أطلق البلايا على كل عضو فيها، على جميع جسدها!»

بعد أن نزلت السيّدة عشتار إلى الأرض التي لا رجعة منها،

لم يثبّ الثور على البقرة، و لم يلقح الحمار الأتان،

وفي الحيّ لم يلقح الرجل والمرأة

فالرجل اضطجع في مخدعه منفرداً والمرأة اضطجعت على جنبها،

.... اضطجع ....



(بقية الرقيم مخرومة)

امتقع محيا يابسوكال، وزير الآلهة العظام،

واكفهرّ وجهه.

فارتدى ثوب الحداد وأطلق شعر رأسه.

وذهب يابسوكال إلى حضرة أبيه سين باكياً

وانهمرت دموعه أمام آيا الملك:

«لقد هبطت عشتار إلى العالم السُفليّ، و لم تصعد

منذ أن هبطت عشتار إلى الأرض التيّ لا رجعة منها،

لم يثب الثور على البقرة ولا لقح الحمار الآتان

وفي الحيّ لم يتصل الرجل بالمرأة

فنام الرجل في مخدعه منفرداً

واضطجعت المرأة على جنبها»

أما آيا فقد تصوّر في قلبه المحطم صورة

فخلق خصياً هو أسوشونامر، (وقال له):

«يا اسوشونامر، إذهب إلى باب الأرض التي لا رجعة منها،

وستُفتح لك الأبواب السبعة في الأرض التي لا رجعة منها على مصراعيها،

وستفرح بك أرشكيكال وينشرح قلبها لحضورك

فحين يهدأ قلبها وتتملّكها السعادة

دعها تنطق بقسم الآلهة العِظام

ثم ارفع رأسك والتفت إلى زق الحياة (وقل لها):

«أيتها السيّدة! أتوسَّل إليكِ أن تأمري بإعطائي زق الحياة،

عسى أن أشرب من ذلك الماس».



وحالما سمعت أرشكيكال ذلك،

ضربت على فخذها، وعضّت إصبعها،

وقالت:

«ولو أنك سألت شيئاً ما كان ينبغي سؤله

فهلمّ يا اسوشونامر فسألعنك لعنة شديدة!

ليكن تراب محاريث المدينة طعامك

ومياه المدينة القذرة شرابك

وظِلّ الحائط مثواك،

وقارعة الطريق مسكنك

وليبصق المخبولون والعطشى في وجهك!»

وفتحت أرشكيكال فاها لتتكلّم

وقالت هذه الكلمات لنمتار وزيرها:

«قمْ يا نمتار واقرع باب إيكال كنا[1]

وزوّق عتباته بحجر المرجان

وادعِ الأنوناكي وأجلسهم على عروش من ذهب

ورشّ عشتار بماء الحياة وخذها من حضرتها».

ولما اجتاز بها الباب الأول

أعاد إليها أحزمة ومشابك بدنها،

ولما اجتاز بها الباب الثاني

أعاد إليها أساورها وخلاخلها

ولما عبر بها الباب الثالث

---

1 - إيكال كنا، وهو بيت العدالة، ومعناه قصر العدل أو هيكل العدل.



أعاد إليها حزام أحجار الولادة

ولما اجتاز بها الباب الرابع

أعاد إليها حلى صدرها،

ولما عبر بها الباب الخامس

أعاد إليها قلائد جيدها،

ولما عبر بها الباب السادس

أرجع إليها أقراط أذنيها،

ولما اجتاز بها الباب السابع

أعاد إليها تاج رأسها العظيم.

«وإن هي لم تعطك ثمن فديتها، أرجعها إلى هنا»[١]

أما تموز حبيب صباها

فاغسله بالماء الصافي، وطيّبه بالزيت الحلو،

وألبسه حلّة حمراء، ودعه يزمّر بمزمار من اللازورد

ولتشرح الجواري قلبه...»

ولما ..... بليلي[٢] .... جاء جواهرها،

وملأ حضنها «بأحجار العين»[٣]

وحين سمعت صوت أخيها، نظمت بليلي جواهرها على ...

فملأت مخدعها بأحجار العيون

1 - يبدو من سياق الكلام أن أوامر أرشكيكال الجديدة هنا خارجة عن الصدد، كما أن ذكر تموز في هذا الموضع يدعو إلى الاستغراب، لأن المعروف أن تموز لم ينـــزل إلى العالم السفلي وفي هذه القطعة من التلميحات ما يمكن عدّه غامضاً حتى يُتاح الاطلاع على مادة جديدة تفسّر هذه القضية.

2 - الظاهر أن عشتار هي المقصودة من هذه التسمية.

3 - فسّرها كاملو طه بـ... بالخرز.



«يا أخي الوحيد، لا تؤذني!

ويوم يستقبلني تموز

ويرحّب بي المزمار اللازورد وخاتم العقيق

ويرحّب بي الرجال الباكون والنساء الباكيات

عسى أن يقوم الموتى ويشمّوا البخور».



نصوص بابلية أخرى في التكوين

إلى جانب ملحمة التكوين الأساسية، قدّمت لنا الأسطورة البابلية نصوصاً أخرى تدور حول نفس الموضوع، إلا أن معظم هذه النصوص ناقص، بسبب الحالة التي وصلتنا عليها الألواح الفخارية التي احتوت عليها. إضافة إلى أن النصوص نفسها لا ترقى إلى مستوى الاينوما إيليش من الناحية الجمالية.

نصّ سيبار

تمّ العثور على هذا النص في خرائب مدينة سيبار، ويعود تاريخه إلى الدولة البابلية الجديدة في القرن السادس ق.م. ويعتبر هذا النص من أهمّ تلك النصوص المتفرّقة التي تقدّم لنا تنويعات مختلفة لحكاية الخلق والتكوين. وقد كُتب النص ليكون مقدّمة لتعويذة سحرية بقصد تطهير المعبد. فقد اعتقد الفكر الأسطوري العراقي القديم أن العودة لذكر تفاصيل الخلق وبدايات الأشياء، من شأنها دوماً إعطاء التعويذة، وذلك باستحضارها الزمن الغض، عندما كانت قوة الخلق تتخلّل الوجود البكر.

يجري النصّ على النحو التالي:

قبل أن يوجد للالهة بيت مقدّس في مكان مقدّس

قبل أن يُخلق القصب، ويظهر للوجود الشجر

قبل أن يُصنع الآجر وتُبتكر قوالبه

لم يكن هناك مدينة ولا بشر

قبل أن تظهر للوجود «نيبور» وتُبنى «إيكور»

قبل أن تظهر «أوروك» ويُبنى «إيانا»



لم يكن للآبسو وجود[١] وأريدو لم تُبنَ بعد

ولم يكن قد بُني بعد مسكن الآلهة

في تلك الأزمان، لم يكن سوى البحر...

ثم ظهرت «أريدو» وبُني (معبد) الإيزاكيلا

الإيزاكيلا الذي وصلت أساسته إلى الآبسو

وظهر الآلهة، الأنوناكي سواسية

فدعوها بالمدينة المقدسة، مسكنهم، وقرّة عينهم

ثم صنع مردوخ مغرفة من قصب وضعها على وجه الماء

وعجن طيناً وسكبه مستعملاً المغرفة.

فلكي يخلّد الآلهة ويهدأوا في مساكنهم

خلق لهم الإنسان.

إلى جانبهم خلق لهم بذور البشر

ثم خلق حيوانات «سوموقان»[٢]

وخلق الدجلة والفرات، وحدّ مجراهما

وأعلن اسميهما

خلق الأعشاب وطحالب الأهوار والقصب والخشب

خلق مراعي السهول الخضراء

والأرض والمستنقع وعيدان القصب

البقرة والعجل والشاة وقطعان الزرائب

خلق البساتين والغابات

---

1 - المقصود هنا بيت الإله أيا

2 - سوموقان، إله الماشية



القطعان الوحشية والقطعان ذات الصوف

إلى هنا، ويتشوّه اللوح الآجري. وعندما يبدأ النص بالوضوح نجد أن الأسطورة قد انتهت وأننا قد صرنا في قلب التعويذة السحرية التي كان النص مقدّمة لها.

آدم وحواء

يحكي هذا النص قصة خلق الكائنات الحيّة. وقد وُجد محفوراً على لوح شبه تالف في أنقاض مكتبة أشور بانيبال في نينوى. وقد أثارت السطور القليلة المتبقية منه اهتماماً كبيراً لإشارتها إلى خلق الموضع الذي يبدأ فيه بإلقاء ضوء على الحكاية الخالدة.

عندما خلق الآلهة في مجمعهم كلّ الأشياء

كوّنوا السماء وشكّلوا الأرض

وأخرجوا للوجود الكائنات الحيّة

خلقوا قطعاً السهول. ووحوش الفلاة ومخلوقات المدينة

بعد [....] إلى المخلوقات الحيّة [...]

وعيّنوا نصيبهم من قطعان سوموقان ومن مخلوقات المدينة

[...] كلّ المخلوقات، كلّ الخلق [...]

[..........................]

قام أيا بخلق زوجين شابّين

وأعلا من شأنهما فوق جميع المخلوقات.

هناك تفسيران ممكنان لتعبير «مخلوقات المدينة». التفسير الأول إن مخلوقات المدينة هم البشر، وإن في النص تقديماً وتأخيراً على عادة الأسلوب الأسطوريّ في التعبير، وعلى ما جرت عليه التوراة من ذكر روايتين متداخلتين عن خلق الإنـ[illegible] الأولى تشير إلى خلق البشر دفعة واحدة، والثانية تأتي على ذكر الزوجين الأول

وهي تلي الأولى في الترتيب، ولكني أميل للقول بأن المقصود بمخلوقات المدينة هم الآلهة، لأن المدن قد بُنيت في الأصل ليسكنها الآلهة كما هو شأن بابل.

في الطين حيث يتّحد الإنسان بالإله

الخالق في هذا النص هو الإلهة المومة «مامي»، أو كما تُدعى أيضاً «ننماخ» أو «ننخرساج» أو «ننتو». وهي الأم الكبرى، وهي أيضاً الأرض والتربة الخصبة. يعادلها عند الكنعانيين «عشيرة» وعند الإغريق «جيا» وفي كريت «رحيا» وفي آسيا الصغرى «سيبيل». فكل الثقافات القديمة عبدت آلهة أنثى كبيرة، هي الأرض- الأم التي كانت مركزاً للحياة الروحية. ورغم صعود الآلهة الذكور، ودفعهم الأم الكبرى إلى الوراء في الثقافات الأبوية، إلا أن قوة وتأثير هذه الآلهة بقي قائماً في أعتى أشكال المجتمعات الذكورية[1]. وفي بلاد الرافدين، تقاسمت وظائف الأم الكبرى الموروثة عن العصور السالفة، إلهتان هما ننتو (مامي، ننماخ، ننخرساج) وعشتار. فبقيت ننتو الأم- الأرض وصارت عشتار الحب وروح الخصوبة الكونية.

يشكل النص الذي بين أيدينا[2] مقدّمة لتعويذة سحرية تُتلى لتسهيل ولادة الحوامل وتخفيف آلامهن. وكما هو الأمر فإن التعويذة تبدأ بتلاوة جوانب من حكاية التكوين لاستمداد القوّة والفعاليّة:

(الجزء الأعلى من اللوح مكسور)

أنتِ عون الآلهة، مامي، أيتها الحكيمة
أنتِ الرحم الأم
يا خالقة الجنس البشريّ[3]
أخلقي الإنسان فيحمل العبء

---

1 - Erich Neumann, The Great Mother, Princeton, Newyork 1963.
2 - E.A. Speiser, Akkadian Myths and Epics (Ancient Near Eastern Texts Edited) Princeton. Newjersey 1969.
3 - ...



اخلقيه، يحمل العبء [...]

ويأخذ عن الآلهة عناء العمل.

فتحت ننتو فمها

وقالت للآلهة الكبار

لن يكون لي أن أنجز ذلك وحدي

ولكن بمعونة أنكي سوف يخلق الإنسان

الذي سوف يخشى الآلهة ويعبدها[1]

فليعطيني أنكي طيناً أعجنه.

فتح أنكي فمه

قائلاً للالهة الكبيرة

في الأول والسابع والخامس عشر من الشهر

سأجهز مكاناً طهوراً

وسيذبح (هناك) أحد الآلهة

وعندها فليتعمّد بقيّة الآلهة

وبلحمه ودمائه

ستقوم ننتو بعجن الطين

إله وإنسان معاً

سيتّحدان في الطين أبداً

---

1 - السطر مترجم عن هيديل لا عن سبيسر.

أدم وحواء بدون طين

يقدّم لنا هذا النص حكاية أخرى عن خلق الزوجين الأولين. وقد وُجد النص محفوراً على لوح يعود للقرن الثامن قبل الميلاد. عُثر عليه في خرائب مدينة آشـــور. ووفق هذا النص، فإن دماء الآلهة تُستعمل في خلق الإنسان بدون طين.

عندما شكّلت الأرض وأخرجت

عندما حدّدت مصائر الأرض والسماء

عندا استقرت شطآن دجلة والفرات

عندها. آنو وإنليل وأيا

الآلهة الكبار

وبقية الآلهة المبجلين

جلسوا جميعهم في مجمعهم المقدس

واستعادوا ما قاموا به من أعمال الخلق:

أما وقد حددنا مصائر السماء والأرض

وجرت القنوات في مجاريها، وتوضعت الخنادق

واستقرّت شطآن دجلة والفرات

ماذا بقي علينا أن نفعل

ماذا نستطيع بعد، أن نخلق

يا مجمع الآلهة، أيتها الأنوناكي

ماذا بقي علينا أن نفعل؟

ماذا نستطيع، بعد، أن نخلق؟

فأجاب الحضور من الآلهة المبجلين

الأنوناكي، الذين يحدّدون المصائر والأقدار



بقسميهما، توجهوا بالإجابة إلى إنليل:

في «أوزوموا» عماد السماء والأرض

لنذبح بعض آلهة اللاجما [1]

ومن دمائهم فلنخلق الإنسان

على مرّ الأزمان.

سيقوم على صيانة خنادق الحدود

ونضع في يده السلّة والمعول

فيبني للآلهة العظام

هياكل مقدسة تليق بهم.

سيميز الحقول بعضها عن بعض

على مرّ الأزمان

ويقوم على صيانة خنادق الحدود

ويحفر الخنادق الثابتة

ويعمل على صيانة أحجار الحدود

سيسقي الأرض بأقاليمها الأربعة

ويخرج من جوفها الخيرات الوافرة

(خمسة أسطر مشوهة)

فيجعل حقول الأنوناكي تنتج غلالاً وفيرة

سيحتفل بأعياد الآلهة

ويستخرج الماء العذب

---

1 آلهة اللاجما هم آلهة الحرف وهم من صغار الآلهة



«أوليجار» و«الجار»[1]

سيكون اسماهما

وسيربيان الثيران والخرفان والأسماك والطيور

ويزيدان في عطاء الأرض

«أنول» و«نينول»[2]

نطق فمهما المقدّس

وأرورو[3] المقدّسة سيدة الآلهة وذات السلطان

رسمت للبشر أقداراً رائعة.

السوس ووجع الأسنان

وهذا النص أيضاً مقدمة لتعويذة مخصصة لشفاء ألم الأسنان. يحكي النص شطراً من حكاية التكوين، وبدايات الأشياء، ويعود لأصول وجع الأسنان وكيف ظهر.

بعد أن خلق أنو السماء

وبعد أن خلقت السماء الأرض

وبعد أن خلقت الأرض الأنهار

والأنهار خلقت القنوات

والقنوات خلقت المستنقعات

والمستنقعات خلقت السوس

مضى السوس باكياً إلى «شمش»[4]

---

1 - آدم وحواء البابليين.

2 - من آلهة الزراعة.

3 - ننتوننماخ الإلهة الأم.

4 - إله الشمس.



وذرف الدموع في حضرة أيا.

- ماذا تعطيني لطعامي؟

- ماذا تعطيني لشرابي؟

سأعطيك شجر التين الناضج

أو أعطيك المشمش

بماذا يفيدني شجر التين

بما يفيدني المشمش

دعني اصعد واتخذ لي مسكناً

بين الأسنان وعظام الفك

حيث أمتص دماء الأسنان

وأنخر فيها

عند جذور وعظام الفك

«أدخل الإبرة وأمسك بالسوس»[١]

لأنك نطقت بهذا أيها السوس

فليسحقك أيا بجبروت

(وعزم) يديه

«تعويذة ضد وجع الأسنان»

«**الطريقة**: أحضر بيرة وزيتاً وامزجهما معاً

واتل التعويذة ثلاث مرات وضع المزيج على الأسنان».

---

1 - إله الشمس



نصّان باللغة اليونانية

قبل اكتشاف الحضارة البابلية بأجيال طويلة عرف العالم شيئاً عن أسطورة الخلق البابلية عن طريق نصين كُتبا باللغة اليونانية. النصّ الأول، لآخر فلاسفة الأفلاطونية الحديثة وهو «داماسكيوس» وتعني الدمشقي، المولود في دمشق حوالي ٤٨٠ ب.م وقد تحدّث هذا الفيلسوف عن بعض الأساطير البابليّة في كتابه الرئيسي: صعوبات وحلول المبادئ الأولى. يقول داماسكيوس في روايته عن التكوين البابليّ:

«لا يقول البابليون بمبدأ واحد للكون، بل بمبدأين. الأول تاوت، والثاني أباسون. فتاوت هي زوجة أباسون وكانت تدعى بأم الآلهة. وقد ولد لهذين الإلهين مولود واحد هو موميز، الذي نعتقد انه يمثّل العالم العقلي. وعنهم نشأ جيل ثان: داشي وداشوش. وعن هذين نشأ جيل ثالث: كيساري وأرسوس. وهذان ولد لهما ثلاثة وهم: آنوس وإيلينوس وأوس. ومن أوس وداوكي ولد بيل الذي يقولون أنه من صَنَعَ الكون».

إن التشابه لمدهش حقاً بين هذه الرواية وبين الإينوما إيليش، حتى لكأنها مقطع مقتبس عنها مباشرة. فتاوت هي تعامة، واباسون هو آبسو، وموموز هو ممو، وداشي وداشوش هما لخمو ولخامو، وكيساري وأرسوس هما أنشار وكيشار، وآنوس هو آنو، وإيلينوس هو إنليل ، وأوس هو أيا وداوكي هي زوجته دومكينا. أما بيل فهو الاسم التبادلي لمردوخ والذي دُعي به دوماً.

النص اليوناني الثاني هو نص بيروسوس، نسبة لكاتبه بيروسوس كاهن مردوخ في بابل. وقد عاش هذا الكاتب في فترة متأخرة من تاريخ بابل، بعد فتح الإسكندر، وخلال النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد. قام بيروسوس بكتابة تاريخ مملكة بابل استناداً إلى الوثائق المكتوبة التي وصلت إليه من العصور القديمة، ونشر كتابه باللغة اليونانية عام ٢٧٥ ق.م وقد ضاعت أعمال هذا الكاتب بما فيها تاريخ بابل. إلا أن مقتبسات عن ذلك الكتاب ظهرت في أعمال الكاتب اليكسندر بوليستر، الذي عاش في القرن الأول ق.م تجري رواية بيروسوس على الشكل التالي:

«في البدء، لم يكن سوى الظلام والماء. ثم ظهرت إلى الوجود مخلوقات عجيبة التكوين: رجال ذوو أجنحة،جناحان وأحياناً أربعة، لهم وجهان بدل الواحد. وآخرون ذوو أجسام بشرية ورأسين، راس امرأة ورأس رجل، وكانت أعضاؤهم الجنسية مؤنثة ومذكرة معاً. وآخرون لهم سيقان وقرون الماعز، أو حوافر وذيل الحصان. وبالمقابل كان هناك ثيران ذوو رؤوس بشرية وكلاب لهم ذيول السمك، وخيول لهم رؤوس الكلاب... وهكذا... مخلوقات كثيرة قد استعارت من بعضها خصائص وأشكالاً. وهذه المخلوقات كلها قد صوّرت على جدران معبد بيل. وفوق أولئك جميعاً امرأة اسمها أوموركا، وفي اللغة الكلدانية تامتي- أي البحر. إلا أن هذا الاسم في القيمة العددية[1] يعادل القمر. ثم جاء مردوخ – بيل، فصارع المرأة وشطرها شطرين، جاعلاً من شطرها الواحد أرضاً ومن شطرها الآخر سماء. وقضى على جميع المخلوقات العجيبة، وأحلّ النظام في الكون. ولكن الأرض كانت خربة ومهجورة، فأمر مردوخ بقطع راس أحد الآلهة، ومزج دمه بتراب الأرض، ومن ذلك المزيج صنع الإنسان ليملأ الأرض. ثم صنع الحيوانات بأجناسها. وبعد ذلك خلق النجوم والشمس والقمر والكواكب السيارة الخمس».

رغم اختلاف هذه النصوص عن بعضها واختلافها عن الإينوما إيليش في ترتيب عمليات الخلق، إلا أن عناصرها جميعاً واحدة: الماء البدئي، الحالة السكونية الأزلية، ظهور القوى العقليّة الفعالة المتمثلة بالإله أو الالهة الشابة، صراع كوني حاسم، إحلال النظام الشامل، خلق السماء والأرض، خلق الكواكب والنجوم، خلق الإنسان والحيوان والحياة النباتية. كما تتفق معظم هذه النصوص على خلق الإنسان من طين وعلى خلق زوجين بدائيين، عنهما تسلسل الجنس البشريّ. هذا وتعود كل هذه العناصر للظهور في الرواية التوراتية مما سيجري بحثه في التكوين التوراتي. وتذكرنا جملة: ولكن الأرض كانت خربة وخالية، الواردة في نص بيروسوس بما ورد في سفر التكوين، العهد القديم و«كانت الأرض خربة وخالية... إلخ»

---

1 – يقول الفيثاغوريون بوجود قيمة عددية لكل اسم.



وبعيداً عن الأساطير في المنطقة، نجد كثيراً من أساطير الشعوب، حتى البدائية منها، تقول بتسلسل البشرية عن زوجين أولين. فتقول أسطورة إفريقية[1] أن الإله نزامي قد خلق الإنسان الأول وأسماه سيكوم. ولما رأى أن هذا الإنسان وحيد في العالم، أمره أن يصنع لنفسه امرأة من غصن شجرة وأسماها مبونوى. وتقول أسطورة إفريقية أنه في البدء لم يكن هناك سوى رجل وامرأة، يعيش كل منهما دون أن يعرف بوجود الآخر، إلى أن التقيا صدفة عند أحد الينابيع، فتشاجرا وتصارعا، ومن خلال ذلك اكتشفا الفعل الجنسيّ ومباهجه فتصالحا وأنجبا خمسين فتى وفتاة. وتقول أسطورة فارسية أن الذكر والأنثى انبثقا عن شجرة وكانا متّحدين في جسد واحد، ثم جاء إليهما الإله أهورا مزدا وفصل كلّ منهما عن صاحبه وأرسلهما إلى الأرض. وتروي الأسطورة المكسيكية أن الخالق لما فكر بصنع الإنسان فكّر في المادة المناسبة لذلك فاختار الطين، ولكن هذه المادة أثبتت عدم صلاحيتها لأنها ذابت في الماء عندما ذهب الزوجين الأولين للاستحمام. ثم صنعهما من خشب ولكن المحاولة الثانية لم تكن ناجحة أيضاً، ثم استقر على المعدن الذي أثبت نجاحه فاستوى المخلوقات كاملين وأنجبا الجنس البشري.

---

[1] Philip Freud, Myths of Creation , W.H. Allen, London 1964.



إضافة للاحتكاك الطويل مع الثقافات «البيث نهرينية» المجاورة، فإن السبي البابلي قد قدّم لليهود فرصة للاطلاع على آداب وديانة وأساطير ثقافة أرض الرافدين. وعندما عادوا إلى أورشليم، وقاموا بتدوين نصوص التوراة المتفرقة في كتاب جامع شامل، دخلت خبراتهم أيام السبي، بشكل تلقائي وطبيعي، فيما دونوه من نصوص. وكانت الإينوما إيليش درة الأدب والفكر البابلي، عميقة التأثير فيهم. ولا يقتصر تأثير الإينوما إيليش على أفكار العبرانيين في مسائل الخلق والتكوين، بل يتعدّاها إلى جوانب أساسيّة وهامّة في فكرهم الديني. من ذلك مثلاً، تأثرهم الكبير بفكرة شمولية الإله مردوخ التي أبرزتها الإينوما إيليش من خلال شرحها لمضمون أسمائه الخمسين، فظهر مردوخ، رغم وجود بقية الآلهة، إلهاً أوحداً مطلقاً. إلا أننا سنقتصر في هذا المجال على دراسة التأثر الخاص بموضوعات التكوين. فنقارن النقاط الأساسية لكلا الأسطورتين واحدة واحدة.

١- طبيعة المبدأ الأول

المبدأ الأول في كلا النصّين هو المياه. وانطلاقاً من هذه المياه البدئية تتم كل عمليات الخلق. وهي أزليّة غير مخلوقة. في النص البابلي هي جسد آلهة ثلاثة، آبسو وتيامات وممو. وفي النص التوراتي نجدها إلى جانب الإله دون أن يوضح لنا النص أيهما أقدم.

٢- الظلام البدئي

يأتي النصان على ذكر الظلام البدئي، غير أن الإينوما إيليش لا تذكره بوضوح، بل يأتي ذكره صراحة في نص بيريسوس الذي يقول إنه في البدء، لم يكن هناك سوى الظلام والماء.



٣- الضوء قبل النجوم والأجرام السماوية المشعّة

يقول النصان بوجود الضوء واختلاف الليل والنهار، قبل خلق الأجرام السماوية فالإينوما إيليش تتحدث عن وجود الأيام والليالي منذ عهد آبسو، وغضبه على أبنائه، عندما كان لا يستطيع النوم ليلاً ولا الراحة نهاراً. كما أن مردوخ نفسه كان يشعّ بالنور. وفي الفصل الأول من سفر التكوين يخلق الرب النور ويميّز الليل من النهار قبل أن يخلق الأجرام المنيرة والنجوم والكواكب.

٤- خلق السماء

يتفق النصان على أن السماء أتت نتيجة فصل المياه الأولى إلى قسمين. ففي النص البابليّ يشطر مردوخ تيامات شطرين ويرفع أحدهما سماء وفي النص التوراتي: وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد، وكان ذلك. ودعا الرب الجلد سماء».

٥- خلق الأرض

قام مردوخ بقياس أبعاد الآبسو وأقام لنفسه نظيراً له، هائلاً دعاه عيشارا أي الأرض. ولقد صنع ذلك بنصف تيامات الآخر. كذلك الأمر في سفر التكوين التوراتيّ. فبعد أن يرفع الرب نصف المياه الأولى إلى الأعلى، تتجمع المياه السُفلى إلى جانب مشكلة البحار، وتظهر الأرض منبثقة من تحتها: «وقال الرب لتتجمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد، ولتظهر اليابسة، ودعا الرب اليابسة أرضاً، ومجتمع المياه دعاه بحراً».

٦- خلق الأجرام المنيرة

«بعد أن شكّل مردوخ السماء والأرض، التفت إلى خلق الأجرام المضيئة، وقسّم الوقت. فرسم خط السمت، وحدود السنة وجزّأها إلى أشهر وأيام.



القمر بالسطوع وأوكله بالليل، جعله حلية وزينة ومنظماً لشهور السنة، وخلق الشمس محدودة لأيام الأرض. وفي سفر التكوين، بعد أن ينتهي الرب من تشكيل السماء والأرض «وقال الرب لتكن أنوار في جلد السماء لتنير على الأرض، وكان كذلك. فعمل الرب النورين العظيمين، النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل، والنجوم، وجعلها في جلد السماء لتنير على الأرض».

٧- خلق الحيوان والنبات

لا تحتوي ملحمة التكوين البابلية في أجزائها المقروءة شيئاً عن خلق الحيوان والنبات، ويعتقد أن الأجزاء المفقودة من اللوح الخامس تتحدّث عن مثل هذا الخلق. أما النص التوراتي فيتحدث عن خلق الحيوانات في اليوم الخامس أما نبات الأرض فلم يظهر إلا بظهور الإنسان.

٨- خلق الإنسان

تتفق الروايتان على أن خلق الإنسان هو آخر عمل في سلسلة الخلق التي قام بها الإله. كما تتفقان على الأهمية البالغة لهذا العمل. ففي بداية اللوح السادس نجد مردوخ وقد حدّثته نفسه بخلق أشياء مبدعة. وقد وصف هذا العمل في مكان آخر من اللوح بأنه العمل الذي يسمو على الإفهام. أما أهمّية خلق الإنسان في نص التوراة، فتظهر في كونه قد خلق على صورة الإله، وأعطي السيطرة على الأرض، وسخرت له حيواناتها ونباتاتها.

وفي نصوص بابلية أخرى تتعلّق بالتكوين، وجرى ذكرها سابقاً، تتحدث الأسطورة عن خلق الإنسان انطلاقاً من زوجين أولين، وكذلك الأمر في الرواية التوراتية. وقد تم صنع الإنسان الأول في الأسطورة، أما من دم الإله وحده، أو من دم الإله ممزوجاً بالطين، ثم تعلّق عليه صورة الآلهة فيأتي على شبهها. وفي الرواية التوراتية يُصنع الإنسان من طين على صورة الإله.



هدفت الآلهة البابلية من خلق الإنسان، إلى تحميله عبء العمل الـــذي كـــان مفروضاً على الآلهة. ورغم أن هذا الهدف لا يظهر واضحاً في النص التوراتي، إلا أن النتيجة النهائية الأخيرة تتطابق مع غايات الأسطورة البابلية، عندما يطرد آدم من الجنة ويفرض عليه العمل كعقوبة: «وقال للمرأة: تكثيراً أُكثِّر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً والى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك، وقال لآدم: لأنك سمعت قول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكـــل منـــها، ملعونـــة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكـــل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً، حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منـــها، لأنك تراب والى تراب تعود»[١].

أطلقت الرواية التوراتية على الإنسان الأول اسم آدم والواقع أن هذه الكلمـــة أوغاريتية فينيقيّة وتعني: البشر أو الإنسان[٢]. وقد وردت هـــذه الكلمـــة في عـــدة نصوص أوغاريتية ومنها ملحمة كرت، عندما يظهر الإله إيل للملك كرت في الحلم:

وبينما هو يبكي وقع في غفوة

بينما هو يذرف الدموع غلبه النعاس

نعم لقد غلب كرت النعاس

وغاب في سبات عميق

ولكنه ما لبث أن أجفل

إذ ظهر له في الحلم «إيل»

في رؤاه ظهر أبو آدم.

وكاختصار لما سبق نضع تسلسل الخلق في كلا النصين جنباً إلى جنب:

1 - العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح الثالث : ١٦- ١٨.

H. Gordon, Ugarit, Norton Library, Newyork 1967, p 102.



الإينوما إيليش	سفر التكوين
١- العماء الأول تيامات المـــاء المـــالح. وزوجها الماء الحلو. يحيط بهما ظلام	١- الظلام يغلّـــف الميـــاه الأولى وروح الرب يرفرف فوق المياه.
٢- النور يشعّ ويتولّد من الآلهة	٢- خلق النور
٣- خلق السماء	٣- خلق السماء
٤- خلق الأرض	٤- خلق الأرض
٥- خلق الأجرام السماوية	٥- خلق الأجرام السماوية
٦- خلق الإنسان	٦- خلق الإنسان
٧- مردوخ ينتهي من الخلـــق والآلهـــة تحتفل به	٧- يهوه يستريح

تفسيرات حول تشابه النصين

التفسير الأول: النص البابلي قد اعتمد على النص التـــوراتي. وهـــذا بعيـــد الاحتمال لأسبقيّة الإينوما إيليش على أيّة نصوص مدوّنة للتوراة. فتـــاريخ تـــدوين الملحمة البابلية يعود إلى تاريخ قديم، حدّده دارسوها بحوالي ١٨٠٠ ق.م.، أي قبـــل ولادة موسى بأربعة أو خمسة قرون. ولا شك أن اصولها ترجع إلى مصادر موغلة في القدم. أما التوراة العبرانية فقد دوّنت أقدم أسفارها وهي أسفار موسى الخمسة بعد العودة من الأسر البابليّ في القرن الرابع أو الثالث ق.م. ولم يقرّ النص النهائي للتوراة إلا في القرن الأول ق.م. وقد علّقت مصادر دينية مسؤولة على هذا التشابه في بعض المناسبات بقولها إن موسى قد استعمل وثائق مخطوطة وتقاليد شفويّة سابقة، ونقـــل عنها ما يوافق الغاية التي استهدفها بإلهام الروح القدس.

التفسير الثاني: النص التوراتي قد اعتمد النص البابلي. وهناك الكثير من المبررات التاريخية التي تدعم هذا الرأي. فاللغة البابلية قد شاعت في المنطقة وانتشرت غرباً حتى الساحل السوري، وشمالاً حتى آسيا الصغرى وذلك منذ مطلع الألف الثاني ق.م. فقد تمّ العثور في خرائب عاصمة الحثّيين على نصوص أدبية بابلية مكتوبة باللغتين الحثّية والبابلية، منها أجزاء ألواح تحتوي على مقاطع من ملحمة كلكامش. كما تمّ العثور في خرائب تل العمارنة في مصر، على مراسلات بين ملوك فينيقيا وملوك مصر باللغة البابلية، مما يدل على أن اللغة البابلية قد غدت، في زمن ما، حوالي منتصف الألف الثاني، لغة الدبلوماسية في المنطقة. كما عثر في تل العمارنة أيضاً على نصوص من الأساطير البابلية، كأسطورة آدابا، وأسطورة ملكة العالم الأسفل، وقد كتبت بلغة بابلية وبطريقة أقرب للتمارين المدرسية، ويغلب الظن أنها كانت تستعمل لتدريس اللغة.

وهكذا نرى أن العبرانيين كانوا معرّضين للاطلاع على الأدب البابليّ في أماكن مختلفة وأزمنة مختلفة. ولكن أفضل مكان وأنسب زمان لمثل هذا الاطلاع، كان إبان الأسر البابلي خلال القرن السادس ق.م. ومن ناحية أخرى إذا أردنا أن نعتبر إبراهيم، الجدّ الأول، شخصية تاريخية، وهذا ما لم تثبت عليه بيِّنة حتى الآن، فإننا نستطيع متابعة التأثر إلى تاريخ أبعد، إلى أوائل الألف الثاني، عندما هاجر إبراهيم من أرض الرافدين، حاملاً معه تقاليد دينية بابليّة.

التفسير الثالث: كلا النصين قد اعتمدا نصاً اقدم، وتقاليد دينية أعرق، وربما نتج الفكران، البابليّ والعبرانيّ، من ديانة توحيدية قديمة، وهي الديانة التي تسلسلت من نوح إلى إبراهيم. وهذا التفسير ربما قامت عليه بيِّنة في المستقبل.



مقارنة بين النص التوراتي والنصوص السومرية والبابلية

في رواية الطوفان

سنأتي الآن إلى إجراء المقارنة بين النص التوراتي والنصوص السومرية والبابلية السابقة عليه، وذلك بتتبع العناصر الرئيسية في رواية الطوفان.

١- إله الطوفان

في سفر التكوين، يقوم إله اليهود يهوه بإرسال الطوفان. ولكن مجمع الالهة السومري والأكادي من قبله هو الذي يقرر الطوفان. وهذا القرار ليس إجماعياً بدليل أن إلهة الولادة «ننتو» في النص السومري تنوح على أولادها البشر. وإنكي الحكيم يقرر بينه وبين نفسه مدّ يد المعونة للناس وانقاذ الحياة عن طريق زيوسودرا التقيّ الأثير لديه. كذلك الأمر بالنسبة للنص البابلي فعشتار ندمت على انصياعها لقرار البعض في مجمع الآلهة، وآيا قام بكشف سرّ القرار الإلهي لاوتنابشتيم، ثم إننا بطريقة غير مباشرة نعرف في آخر النص، أن إنليل هو المسؤول الرئيسي عن الطوفان، شأنه في ذلك شأن يهوه، ويبدو أنه هو الذي اقترحه وحمل الآلهة للموافقة عليه، ومن ثم قام بإدارته حتى النهاية وتبدو مسؤولية الطوفان واقعة بكليتها على إنليل من كلام آيا: « كيف دونما تفكّر جلبت هذا الطوفان» ومن كلام عشتار: «تقدّموا جميعاً وقرّبوا الذبيحة. إلاّ إنليل وحده لن يقترب لأنه سبّب الطوفان دونما تروّ. واسلم شعبي للدمار».

٢- أسباب الطوفان

تؤكد التوراة صراحة على الأسباب الأخلاقية وراء قرار دمار الإنسان. فالأرض قد فسدت وامتلأت بالعنف والشرّ. أما النصّ البابليّ فيعطي تلميحاً بالأسباب الأخلاقية، حيث نجد «أيا» في آخر النص يخاطب إنليل قائلاً: «

المذنب ذنبه والآثم إثمه... أمهله كي لا يفنى ولا تمهله كي لا يفسد». وهذا يـدل بوضوح على أن غرض إنليل الأساسي من الطوفان كان القضاء على الشرور والآثام فدمّر الجميع دون تمييز بين الصالح والطالح.

وعلى العكس من هذين النصين فإن ملحمة اتراحيس تطـرح سـبباً غريبـاً للطوفان يذكرنا بالسبب الأساسي للصراع بين الآلهة في أسطورة التكوين. فإنليـل يشعر بالانزعاج من صخب البشر وضوضائهم فيقرر إفناءهم بعد أن أعيته الحيل في التقليل من عددهم. ولكنه بعمله هذا يناقض العلّة الرئيسية لخلق البشر، ألا وهي حمل عبء الكدح عن الآلهة. فهل كان يخطط لخلق جديد يعقب الطوفان. كمـا فعـل زيوس في الأسطورة اليونانية هذا ما لا تستطيع الأسطورة، بنصها الـذي وصـلنا، الإجابة عليه.

٣- بطل الطوفان

«زيوسودرا» كان بطل الطوفان السومري. والكلمة تعني «الذي وضع يـده على العمر المديد»، وذلك اعتماداً على ما أعطته له الآلهة من حياة سرمدية عقـب الطوفان. أما اسم «أوتنابشتيم» بطل القصة البابليّة فـيعني «الـذي رأى الحيـاة»، والاسم مشتق هنا أيضاً من طبيعة المكافأة التي نالها لإنقاذه الحياة علـى الأرض. وفي ملحمة أتراحيس فإن الاسم يعني «الواسع الحكمة». أما سفر التكوين فلم يعنِ بإيجاد علاقة ما بين اسم «نوح» وبين التجربة التي مرّ بها البطل. فقد فسرت كلمة نـوح أحياناً بأنها تعني الراحة. إلاّ أن الحياة المديدة التي عاشها نـوح تـضعه إلى جانـب زيوسودرا الذي وضع يده على العمر المديد، وأوتنابشتيم الذي رأى الحياة، فلقـد عاش نوح تسعمائة سنة.

عاش أوتنابشتيم في «شوروباك» وهي من اقدم المدن في جنوبي الرافدين وقـد ورد ذكرها بين المدن الخمس التي ظهرت للوجود عقب خلق الكون السومري. أما زيوسودرا فإن نقص النص يمنع من معرفة المدينة التي عاش فيها. و لم تخصص التوراة مدينة بذاتها عاش فيها نوح.

كانت نجاة زيوسودرا راجعة لكونه رجلاً تقياً صالحاً. وكذلك الأمـــر فيمـــا يتعلّق بأكسوتروس ونوح. ومن سياق النص البابليّ نفهم أيضاً أن أوتنابشتيم كـــان كذلك.

٤- الاعلام عن الطوفان

تتفق جميع النصوص على أن الاعلام عن الطوفان قد جاء من جهـــة إلهيـــة. وتختلف في كيفية إيصال الخبر. فزيوسودرا رأى حلماً لم ير شبيهاً له قـــط. فأخـــذ يتضرع للآلهة عسى أن تظهر له معناه، ثم إنه سمع صوتاً يأمره أن يقف خلف حائط ليتلقى من خلاله رسالة الإله الذي أنبأه القرار. كذلك أوتنابشتيم الذي رأى حلمـــاً يخاطبه فيه «أيا» من وراء جدار كوخه القصب، ويكشف له فيه سر الآلهة. ويؤكد نص بيريسوس كذلك على الحلم كواسطة للاتصال.

أما التوراة فنجد الإله يتصل بنوح مباشرة دونما ستار أو حجاب ودون الحاجة لوساطة الحلم. وفي شخص يهوه تتّحد شخصيتا «أيا» و«إنليل» فيهوه الذي أمـــر بالطوفان وهو الذي أبلغ نوح واختاره للنجاة. بينما يقوم بهـــذه المهمـــة في بقيّـــة الأساطير إلهان منفصلان أحدهما يرسل الطوفان والثاني يولى إعلام من يختارهم للنجاة دون علم الأول.

٥- السفينة

كما تباينت أسماء بطل الطوفان تباينت كذلك تسميات السفينة التي بناهـــا. فالقصة السومرية أشارت للسفينة بأنها «ماجور» أي السفينة العملاقة ونص نيبـــور استعمل كلمة مشابهة. أما نص كلكامش فسمّاها «إيليبو» التي تعني مجرد ســـفينة أو مركب، ولكنها يصفها في أماكن متفرقة على أنها «الهيكل العظيم». بينما لا يستعمل سفر التكوين سوى كلمة واحدة «يتبا» التي تعني بالعبرية الصندوق أو التابوت.

تحتوي سفينة أوتنابشتيم على سبعة طوابق وتنقسم عمودياً إلى تسعة أقـ[illegible]
وأثناء بنائها لا نعرف ما اذا قد جعل لها نوافذ وفتحات وأبواب، ولكننا نقـ[illegible]

انتهاء الطوفان أن أوتنابشتيم قد فتح نافذة فسقط النور منها على وجهه. أما سفينة نوح فتحتوي على ثلاثة طوابق وتتألف من عدد غير محدد من الأقسام. ولها باب في جانبها وفتحة للنور تحت السقف مباشرة تدور حول السفينة من كل الجوانب. وبينما ينفرد أوتنابشتيم باستعمال الزيت عندما قام بنفع مصدات المياه بوزنة واحدة وخزن الوزنتين الباقيتين، فإنه يتفق مع نوح على استعمال القار الذي طلا به السفينة. ولكنهما يعودان للاختلاف بشأن الشكل الخارجي والأبعاد.

وعلى كل فإن أبطال الطوفان يؤمرون كل بدوره ببناء سفينة عظيمة تحمل بذور الحياة وتتدخل الشخصية الإلهية كثيراً أو قليلاً بتحديد شروط بنائها... ويبدو أن أوتنابشتيم كان أكثرهم حرية في ذلك.

٦- ركاب السفينة

بعد أن فرغ من عمله، قام أوتنابشتيم بنقل كل ما يملكه من ذهب وفضة إلى السفينة. كما نقل إليها أهله وأقاربه وجميع أهل الحرف. ودفع إليها طرائد البرية ووحوشها، واقام عليها ملاحاً أسلمه قيادتها. ويأتي عمل أوتنابشتيم في حمل اصحاب الحرب مشابهاً في مغزاه لعمل أكسوتروس في طمر الألواح الحاوية على سجلات لبداية كل شيء وتطوّره. فالبطلان يحاولان حفظ حضارة الإنسان وثقافته من الضياع ونقلها للأجيال التالية التي تعقب الطوفان، حتى لا تجد نفسها مضطرة للبدء من جديد. ويبدو من سياق النص أن أوتنابشتيم قد حمل معه طيوراً لأنه قام بإطلاق بعضها على سبيل الاستطلاع. كما قام بحمل المؤن والذخائر.

ونستدل من المقاطع الباقية من النص السومري، أن زيوسودرا قد حمل معه بعض الحيوانات، بدليل أنه قام بتقديم ذبائح الشكر للآلهة من الثيران والخرفان. وكذلك فعل أتراحيس الذي حمل إلى السفينة طرائد البرية ووحوشها وما استطاع من آكلي الأعشاب، ونقل إليها أهله وأقاربه وأصحاب الحرف وجرى أكسوتروس على نفس المنوال فنقل زوجته وأولاده واصدقاءه المقرّبين وخزّن فيها الطعام والشراب وحمل فيها مخلوقات حيّة مجنحة وذوات أربع.

تتفق التوراة مع قصص أرض الرافدين من حيث نقل الأشـــخاص والطعـــام والحيوان. إلا أن العدد الهائل للأفراد يتقلّص إلى ثمانية فقط، هم نوح وزوجته وأولاده الثلاثة وزوجات أولاده. أما الحيوانات المحمولة والأطعمة حسب أوامر الرب فكانت: «من كل حيّ من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل الصندوق لتحيا معك ذكـــراً وأنثى تكون. من الطير بأصنافها ومن البهائم بأصنافها ومن جميع دبابـــات الأرض بأصنافها يدخل إليك اثنين من كل لتحيا. وأنت فخذ لك من كل طعـــام يؤكـــل فيكون لك ولهم مأكلاً» ويتبع ذلك تفصيل بالحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة.

أما كيف سيعمل بطل الطوفان على جميع كل هـــذه الحيوانـــات فيبـــدو أن الشخصية الإلهية هي التي تكلّفت بدفعها إليه ليحملها إلى السفينة، كما يبـــدو مـــن ملحمة أتراحيسس ومن سفر التكوين. ففي ملحمة أتراحيسس نرى ايا يقول لعبده «طرائد البريّة ووحوشها وما استطعت من آكلي الأعشاب سأدفع بها إليك» كذلك في سفر التكوين نجد أن الحيوانات تأتي إلى نوح دونما جهد منه لجمعها وحـــصرها» و«تدخل الصندوق لتحيا معك »، «يدخل إليك اثنين من كل لتحيا».

٧- يوم ابتداء الطوفان

«في السنة الستمائة من عمر نوح، من الشهر الثاني في اليوم السابع عشر منه. في ذلك اليوم تفجرت عيون الغمر وتفتحت كوى السماء». ومن المعروف أن السنة العبريّة الزراعية تبدأ في الخريف في أواخر تشرين الأول. فيكون الشهر الثاني والحالة هذه، هو كانون الأول بداية موسم الأمطار في وادي الرافدين.

أما قصة بيريسوس فتجعل الطوفان يبدأ في اليوم الخامس من شهر آذار. بينما تصمت بقية النصوص عن ذكر أي موعد معيّن لبدء الطوفان.

٨- علل الطوفان

تسبب الطوفان في النص البابلي عن العاصفة والأمطار والمياه السفلية «فحدد» إله الرعود والبروق والصواعق والأمطار قد انطلق يسبقه مساعداه. ونرجـــال

فوهات العالم الأسفل فانطلقت مياه الأعماق الحبيسة. وننورتا إله السدود والريّ فتح سدوده وقنواته ففاضت دونما ضابط. وفي التوراة كذلك، تسبب الطوفان عن الأمطار الغزيرة وانبثاق المياه السفلية. أما النص السومريّ فيؤكّد على الأمطار كعنصر أساسيّ.

وقد قام الجيولوجي النمساويّ E. Suess في نهاية القرن التاسع عشر بمحاولة إيجاد تفسير علمي لرواية الطوفان، فقال إن الطوفان ربما تسبب أساساً في عاملين، أولهما موجات عملاقة من البحر سببها اضطراب زلزالي في إقليم الخليج العربي، أو إلى الجنوب منه. وثانيهما إعصار عنيف نشأ في خليج البنغال، ثم عبر الهند متجهاً شمالاً نحو الخليج العربيّ. وقد صادف ذلك كله في موسم الفيضان السنوي في حوض دجلة والفرات. وتشققت الأرض بتأثير الزلزال واندفعت منها المياه.

وهكذا فإن الطوفان قد نشأ بتأثير مياه البحر الطاغية بصورة رئيسية. أما المياه السفلية ومياه الفيضان فلم تكن إلا عناصر مساعدة.

ولا نريد هنا أن نناقش هذه النظرية أو غيرها. بل نقول إن علل الطوفان كانت متشابهة في النصين البابلي والتوراتي. وذلك بصرف النظر عن تأكيد كل نص على عناصر معينة دول أخرى.

٩- مدّة الطوفان

أعطت التوراة فواصل زمنية محدّدة بين الحوادث المؤلفة للقصة. فلقد دام الطوفان أربعين يوماً. ثم ابتدأت المياه بالتناقص بعد مائة خمسين يوماً ... إلخ وبجمع الأزمنة بعضها إلى بعض نستنتج أن المدة الفاصلة بين بدء الطوفان وخروج نوح من السفينة قد امتدت قرابة السنة الكاملة. أما النص البابليّ فلم يأتِ على تفصيل للفواصل الزمنية، بل اكتفى بالقول إن الطوفان استمر سبعة أيام وسبعة ليال. وكذلك الأمر في الأسطورة السومرية، حيث استمر الطوفان ستة أيام وست ليال. لذلك لا نستطيع استنتاج مدة معيّنة لدوام الطوفان البابلي، ولكنه قطعاً قد دام مدة أقصر بكثير من طوفان نوح.

١٠- أين استقرت السفينة

استقرّت سفينة أوتنابشتيم على جبل «نصير» أي جبل الخلاص. وقد ورد اسم هذا الجبل في حوليات الملك آشور بانيبال التي حدّدت موقعه في جنوب نهر الزاب الأدنى، وهو أحد روافد الدجلة.

أما سفينة نوح فقد استقرّت على جبل آراراط. وآراراط في الواقع ليس اسماً لجبل بل هو اسم يُطلق على بلاد أرمينيا. ويبدو أن السفينة قد رست على أعلى قمة في بلاد آراراط. ومن هنا جاءت التسمية، وقد وردت كلمة آراراط في مواضع أخرى من التوراة للدلالة على قطر وبلاد لا على جبل. من ذلك مثلاً ما ورد في سفر أشعيا ٣٧: ٣٨ «وفيما هو ساجد في بيت نصروك إلهه، قتله (أدرملك) ، و(شر آصر) ابناه بالسيف وهربا إلى أرض آراراط. وملك أسرحدون ابنه مكانه». وما ورد في سفر إرميا الإصحاح الحادي والخمسون:٢٧ : «انصبوا الراية في الأرض وانفخوا في البوق في الأمم قدّسوا عليها الأمم ونادوا عليها ممالك آراراط ومنى وأشنكار».

١١- إطلاق الطيور

في اليوم السابع لبدء الطوفان، أطلق أوتنابشتيم حمامة لاستطلاع المحيط. وما لبثت أن عادت إليه لأنها لم تجد مستقراً لقدميها. وبعد فاصل زمنيّ غير محدّد أطلق سنونو فطار ثم عاد أيضاً. فانتظر فترة أخرى، ثم أطلق غراباً فطار و لم يعد. فاستدل من ذلك أن الأرض قد أصبحت صالحة للهبوط فحرر سكان السفينة وأطلقهم للجهات الأربع. أما نوح فقد بدأ بالغراب. وقد أظهر بهذا التصرف حكمة أكثر من زميله أوتنابشتيم. ذلك أن الغراب يهوى المرتفعات دون السفوح والسهول. لذلك فإن غيابه لا يدل على انحسار الماء عن جميع الأرض. ثم إنه أرسل الحمامة ذلك الطائر الذي لا يطير إلاّ في السهول والمنخفضات. فحامت الحمامة ثم عادت، فانتظر سبعة أيام أطلق بعدها الحمامة الثانية فطارت وعادت في المساء، وفي منقارها غصن زيتون طري. ويبدو أنها وجدت مكاناً تهبط فيه وطعاماً إلا أن الوضع بشكل عام لم يكن



مشجعاً على قضاء الليل خارج السفينة. فانتظر سبعة أيام أخر، وأطلق الحمامة الثالثة فطارت و لم تعد. ممّا دل نهائياً على أن السهول قد غدت جافة كما المرتفعات.

وهكذا تتفق الروايتان في إرسال الطيور ولكنها تختلف في نوعيتها وعـــددها. فبينما يرسل أوتنابشتيم حمامة وسنونو وغراباً، يقوم نوح بإرسال غــراب وثــلاث حمامات. ونستطيع أن نلمح تشابهاً من حيث المغزى بين عودة حمامــة نــوح وفي منقارها غصن زيتون، وعودة طيور أكسوتروس وعلى مخالبها آثار من طين.

١٢- مغادرة السفينة

انتظر نوح فترة أطول قبل الخروج من السفينة. وكانت هذه الفترة كافية لنمو النباتات من جديد لإعالة جيلٍ ما بعد الطوفان من الناس والحيوان، أما خروج باقي أبطال الطوفان فقد كان سريعاً لأن دوام الطوفان لم يكن بالطول الكــافي لــدمار الطبيعة دماراً تاماً كما هو الأمر في الطوفان التوراتيّ. وقد جاء خروج نوح بناء على أمر من الإله كما كان الحال لدى دخوله. أما أوتنابشتيم والآخرون فقد خرجوا بناء على تقديرهم الخاص.

١٣ - تقديم الذبيحة والعهد الإلهي

يرفع كلّ أبطال الطوفان الشكر للآلهة على نجــاتهم، ويقــدّمون الأضــاحي والقرابين. فزيوسودرا خرّ ساجداً أمام أوتو ونحر ثوراً ذبيحة من غنم. وأكسوتروس سجد على الأرض وبنى مذبحاً وقدّم قرباناً للآلهة. وأوتنابشتيم أطلق الركاب للجهات الأربع وقدّم أضحية. ونوح بنى مذبحاً للرب، وأخذ من جميع البهائم الطاهرة، ومــن جميع الطير الطاهرة، فأصعد محرقات على المذبح. وهنا يتطابق حرفياً النص البابليّ مع التوراة، فبعد حرق الأضاحي نقرأ في نص أوتنابشتيم «تتنشق الآلهة الرائحة الذكية» ونقرأ في التوراة «فتنسّم الرب رائحة الرضى».

يتقبل الرب تقدمة نوح ويندم على فعلته، ويقطع على نفسه عهداً أبدياً بــألاّ يدمّر الأرض ثانية بطوفان مماثل: «وقال الرب لا أعيد لعــن الأرض... ولا

أهلك كلّ حي كما صنعت... وأقيم عهدي معكم... تلك قوسي جعلتها في الغمام فتكون علامة عهد بيني وبين الأرض». وفي نص أوتنابشتيم ينسى الآلهة غضبهم على البشر عندما يشمّون رائحة الأضحية، ويتجمعون على صاحبها وقد سـرّوا بنجـاة الحياة على الأرض. ولا توجد هنا إشارة مباشرة لعهد ما مع الإنسان. إلا أن كـلام عشتار يوحي لنا بشيء قريب جداً من العهد الإلهي، ومن إشارته التي كانت عنـد يهوه قوس قزح، كلما رآه يتذكّر عهده مع البشر. فعندما وصلت عـشتار رفعـت عقدها الكريم الذي صنعه آنو وفق رغبتها وقالت: «أيها الآلهة الحاضرون. كما أنني لا أنسى عقد اللازورد الذين يزين عنقي. فإنني لن أنسى هذه الأيام قط سـأذكرها دوماً» إن رفع عشتار لعقدها يقترب كثيراً في مضمونه من قوس قزح الذي يعطيـه يهوه إشارة وعهد.

أما عن الندم فتعبر عنه عشتار عندما تقول: «تقدّموا جميعاً وقرّبوا من الذبيحة إلاّ إنليل وحده لن يقترب لأنه سبب الطوفان دونما تردّد أسلم شعبي للطوفان» كما يعبّر عنه أيا عندما يخاطب إنليل: «كيف ... آه كيف دونما تفكّـر جلبـت هـذا الطوفان» وبالنهاية فإن إنليل نفسه يعبّر عن ندمه عندما يهـدأ غـضبه. فيـصعد أوتنابشتيم وزوجه ويمنحهما بركاته الإلهية وخلوداً لنفسيهما، ويسكنهما في القاصي البعيد عند قمم الأنهار. وينال أبطال الطوفان الآخرون جزاءاً مماثلاً. فيمنح زيوسودرا حياة أبدية في أرض دلمون وأكسوتروس ينال نفس النعمة. أما نوح فينـال أيـضاً بركات إلهية من يهوه ولكن هذه البركات لا تصل حدّ إسباغ نعمة الخلود: «وبارك الرب نوحاً وبنيه وقال لهم انموا وأكثروا واملأوا الأرض».

إلاّ أن نوحاً يتكشّف فيما بعد في التوراة عن إنسان سكّير عربيد. فبعـد أن غرس كرماً، حصد وشرب من خمره فسكر وأخذ يرقص ويتعرّى من ثيابه: «وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً. فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الـوراء وسـترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصروا عورة أبيهما. فلمّا استيقظ نوح مـن



خمره، علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته. وقال مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبداً لهم «التكوين ٩: ٣١- ٣٥».

ويلاحظ هنا أن العبرانيين قد أدخلوا هذا الفصل في القصة لتبرير امتلاكهم لأرض الكنعانيين وطردهم أهلها الذين لعنهم يهوه بسبب رؤية جدهم كنعان لعورة أبيه..

نتيجة

لقد قمنا بسرد ما عُثر عليه حتى الآن من أساطير الطوفان في المنطقة، وأجرينا مقابلة بين هذه النصوص، موجهين النظر أحياناً إلى نقاط اللقاء وتاركين أحياناً أخرى لذهن القارئ أن يعقد المقارنة ويكشف نقاط اللقاء والخلاف والسؤال الأخير الذي يطرح نفسه: هل اعتمد النص التوراتي على النص البابلي أو أي من النصوص الأخرى؟ والجواب الذي أراه بالدراسة الموضوعية للنصوص هو نعم. مع بقاء الاحتمال قائماً في رجوع النصوص جميعاً إلى نص أقدم، أو إلى رواية بقيت في أذهان شعوب المنطقة من ديانة توحيدية سابقة. والواقع أن الهيكل العام للرواية التوراتية ينطبق بكل خطوطه العريضة، وبكثير من تفاصيله على النص البابلي حتى أن بعض التعابير تكاد تنطبق بحرفية مطلقة. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن يهوه إنما يقوم في الرواية التوراتية بجميع الأدوار المتناقضة للآلهة، لزالت إلى حد كبير شقة الخلاف بين الروايتين. فيهوه يقرّر منفرداً إرسال الطوفان، ثم إنه هو الذي يتسبب في علله، من طغيان مياه السيول والأمطار وانبثاق المياه السفلية، وهو الذي ينقذ بعض الأثيريين لديه، وهو الذي يندم ويَعِدْ بألاّ يفعل ذلك ثانية.

أما من ناحية الصياغة الأدبية، فإن النص البابلي يتفوّق بشكل واضح على نص التوراة. يكفي أن نستعيد قراءة وصف أهوال الطوفان، لنرى التصوير الفني البديع والصنعة الأدبية الرفيعة. ويبلغ النص قمّة روعته في النهاية عندما يقترب إنليل من أوتنابشتيم وزوجته في مشهد درامي رائع فيصعدهما إلى السفينة، ويجعلهما يركعان



أمامه فيلمس جبهتاهما مباركاً: ما كنتَ قبل اليوم إلاّ بشراً فانياً ولكنك منذ الآن، ستغدو وزوجتك مثلنا نحن الآلهة، وفي القاصي البعيد ستعيشان عند فم الأنهار.

عقوبة الرجم في القوانين العراقية القديمة

ازدهر الجانب القانوني وتطور في حضارة بلاد الرافدين منذ مراحل مبكرة، نتيجة تطور الفكر بشكل عام، وعُدّ من أهم سمات هذه الحضارة. ويُعدُّ قانون حمورابي نموذجاً رائعاً لها[١]. وبرغم أن المحاولات الأولى في هذا الصدد تضرب في أعماق التاريخ، لا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار التقدم الحضاري الذي تميّز به عصر فجر السلالات الأخير (٢٦٠٠- ٢٣٧٠ ق.م) مع أننا لم نكتشف قوانين مدونة من تلك الفترة، إلا أننا يمكن أن نعتبر الإصلاحات التي جاء بها الأمير أوروانمكينا (الذي كان يُقرأ اسمه سابقاً أوروكاجينا) حاكم مدينة لكش[٢] في القرن الرابع والعشرين ق.م. هي البداية لظهور القوانين[٣].

تولّى الملك اوروانمكينا الحكم في مدينة لكش، وقد انتقل إليه عن طريق الانقلاب العسكري. ودام حكمه حوالي ثمانية أعوام، ما بين (٢٣٦٥- ٢٣٥٧ ق.م)[٤]. وتشير الكتابات المسمارية الخاصة بالملك أوروانمكينا إلى أن الإله ننكرسو قد اختاره لحكم سلالة لكش الأولى (وهو الملك الأخير لهذه السلالة) من بين ٣٦ ألف رجل ليغير ما كان مفروضاً على سكان مدينة لكش من فوضى وفساد

---

1 - الهاشمي، رضا جواد، القانون والأحوال الشخصية، حضارة العراق، ج٢، بغداد ١٩٨٥، ص ٦٣- ٦٤.

2 - كريمر، صموئيل نوح، من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، بغداد والقاهرة ١٩٥٧، ص ١٠٥.

3 - لكش: مدينة سومرية مهمة تقع في القسم الجنوبي من العراق وعلى الجانب الشرقي لنهر دجلة وعلى مسافة ٣٠ كم من الشطرة واسمها الحديث الهباء أو الهبة.

4 - باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٨٦، ص ٣٢١- ٣٥١.



الأوضاع. وهذه الإشارة تؤكد بلا شك أنه قد انتُخب انتخاباً، وأن هذا الانتخاب حصل على موافقة كهنة معبد الإله ننكرسو، الإله الرئيس لمدينة لكش[1].

يُعدُّ اوروانمكينا أقدم مصلح في التاريخ، وتُعدّ إصلاحاته من اقدم الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والإدارية المعروفة حتى الآن، ليس في العراق فحسب، بل في جميع بلدان العالم القديم[2]. وقد تمّ العثور على أربعة نسخ من النصوص المسمارية المعروفة باللغة السومرية[3] تضمّنت وصفاً كاملاً للإصلاحات التي قام بها اوروانمكينا من أجل القضاء على المساوئ التي كان الناس يبدون تذمراً منها، ولا سيما التشريعات الضريبية التي لم يكن هناك مبرر لفرضها[4]. والنص الثالث هو الذي يختص بالعقوبات التي صدرت على بعض الجرائم، ومنها جريمة الزنى، فيذكر النص «إعتادت نساء الأيام السابقة على الزواج بزوجين، ولكن نساء اليوم إذا حاولن هذا، يُرجمن بالأحجار التي كان يُكتب عليها قصدُهن الشرير»[5].

إن عقوبة الرجم التي أصدرها أوروانمكينا تعني بلا شك الموت البطيء للسارق مع التعذيب، وكذلك للمرأة التي تتزوج برجلين، بحسب النص الموجود لدينا. وبما أن هذه حالة فريدة لم تظهر في القوانين العراقية القديمة اللاحقة، كقانون أور- نمو (٢١١٣- ٢٠٩٥ ق.م) وقانون لبت عشتار (١٩٣٤- ١٩٢٤ ق.م) وقانون أشنونا

---

1 - رشيد، فوزي، اوروكاجينا، بغداد، ١٩٩٧، ص ٣٣.

2 - سليمان، عامر، القانون في العراق القديم، الموصل، ١٩٧٩، ص ١٤٢.

3 - قامت البعثة الفرنسية بالكشف عن هذه الإصلاحات من خلال التنقيبات التي أجرتها في أطلال مدينة لكش عام ١٨٧٨ م مدونة في أربع نسخ مختلفة الأشكال، وقام باستنساخها وترجمتها لأول مرة العلامة الفرنسي (فرانسوا نورو دانجان).

4 - فرانكفورت، هنري، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ت: ميخائيل خوري، بيروت ١٩٦٥، ص ٩٦- ٩٧.

5 - كريمر، صموئيل نوح، السومريون، ترجمة فيصل الوائلي، الكويت ١٩٧٣، ص ٤٦٣ وقد ترجم البعض الفقرة الأخيرة من النص «ترجم بالحجارة التي كتب عليها سوء نيتها» ينظر، سليمان، عامر، المصدر السابق، ص ١٤٦..



(١٩٩٢ ق.م) وقانون حمورابي (١٧٩٢- ١٧٥٠ ق.م) والمواد القانونية من العصر البابلي القديم (٢٠٠٦- ١٥٩٥ ق.م) والعصر الآشوري بفتراته الثلاث والقوانين البابلية الحديثة، وكذلك عدم ظهور ما يشابه هذا النص في الفترات السابقة لحكم أوروانمكينا، منذ أن بدأت ممارسة القانون في عصر فجر السلالات (٢٨٠٠ ق.م) على اقل تقدير، مستندين في ذلك إلى الوثائق القانونية التي تتضمن القواعد والأحكام التي كانت سائدة في البلاد، والتي تعكس تطبيق القانون، وتعود إلى مطلع الألف الثالث ق.م. إضافة إلى وجود عرف قانوني في العراق القديم منذ أقدم عهوده، وهو أن القوانين أخذت أهم ما سبق وأضيف إليها ما يجب من تعديلات مع التأكيد على تطبيق بعض القواعد العامة[١].

لقد تناول عدد من الباحثين هذه الفقرة من الإصلاحات بالبحث والتمحيص، محاولين إيجاد السباب والدوافع التي حدت بالمصلح أوروانمكينا إلى إصدار مثل هذه العقوبات الفريدة في فقه القوانين العراقية القديمة في مجتمع متحضّر يتكون من وحدات اجتماعية تضم عوائل تتكون عادة من الزوج والزوجة والأبناء[٢]. وعليه يمكن أن ندرج بعض التفسيرات لهذا الموضوع.

١- أشار بعض الباحثين إلى أن عادة تعدُّد الأزواج للمرأة الواحدة Polyandry كانت متّبعة في بلاد الرافدين حتى حكم الملك أوروانمكينا. فألغاها ووضع عقوبة الرجم على من يثبت زواجها بأكثر من رجل. ولكن المعلومات المتوفرة لنا مما جاء في النصوص المسمارية والعقود القضائية وعقود الزواج التي حصلنا عليها من بعد مدة حكم أوروانمكينا تؤكد أن العائلة في القسم الجنوبي من العراق كانت عائلة أبوية أي أن زعامة البيت كانت بيد الرجل وليس بيد المرأة، وأن الطرف الذي يطلب الزواج هو الرجل وليس المرأة[٣]. فضلاً عن ذلك، فأن عقود الزواج ليس فيها أبداً أي إشارة توحي بأن المرأة كانت

1 - مسكوني، صبيح، تاريخ القانون العراقي القديم، بغداد، ١٩٧١، ص ١٠٥- ١٠٦.

2 - الهاشمي، رضا جواد، نظام العائلة في العهد البابلي القديم، بغداد، ١٩٧٠، ص ٣٣.

3 - عقراوي، ثلما ستيان، مراسيم الزواج في العراق القديم، التراث الشعبي، ٣، ١٩٧٨، ص ١٠

تتزوج بأكثر من رجل واحد، بينما إشارة الملك أوروكاجينا تؤكد أن المـــرأة كانت تمتلك بيدها مبادرة الزواج، بحيث إن العقوبة كانت تقع عليها ولـــيس على الرجل، وكان في إمكانها أيضاً أن تتزوج بأكثر من رجل واحد. من كل ما تقدّم يبدو واضحاً أن هذه العادة كانت منتشرة في القسم الجنـــوبي مـــن العراق في الحقب التي سبقت حكم الملك أوروانمكينا. وفي عهد الملك المذكور، أصبحت هذه العادة هجينة لم يستسغها الناس، ولذلك أقدم الملك على إلغائها، وقد عمل هذا من خلال الإصلاحات التي قام بها[١].

٢- وهناك من الباحثين من يعتقد أن زواج المرأة من رجلين كان من بقايا عـــصر سيطرة الأم Matriarchy ، وهو العصر الذي كان للمرأة فيه سيطرة على بقية أفراد العائلة[٢]. في ذلك المجتمع الأمومي حين اسلم الرجل قياده للمرأة ليؤسس بذلك اقدم أشكال العائلة التي تقوم على قيم الأنوثة ومكانة الأم، وذلـــك أن عاطفة الأم نحو أولادها وعاطفة الأولاد نحو أمهم هـــي العاطفـــة الأصـــلية الوحيدة. وقد مر المجتمع الأمومي عبر تاريخه الطويل بمراحل متعددة انتـــهت بالانقلاب الكبير الذي قام به الرجل، متسلّماً دفة القيادة من المرأة، ومؤسساً المجتمع الأبوي[٣].

٣- بينما يعتقد آخرون أن سبب زواج المرأة برجلين يعود إلى زيادة الضرائب التي وضعها حكام لكش على كل من يطلق زوجته. ولذلك أخذ الرجـــل يتـــرك زوجته بدون طلاق رسمي. فكانت المرأة المهجورة في هذه الحالة تتزوج مـــن رجل آخر فتصبح عُرفاً زوجة لرجلين في آن واحد[٤].

---

1 - رشيد، فوزي، المصدر السابق، ص ٥٤.

2 - Struve, V., The Problem of the Genesis Development and Disintegration of the Slave Societies in the Ancient Orient «Ancient Mesopotamia», Moscow, 1969, p. 18.

3 - السواح، فراس، لغز عشتار، دمشق، ٢٠٠٢، ص ٣٢- ٣٥.

4 - عقراوي، ثلما ستيان، المرأة، دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، بغداد ١٩٧٨، ص



من خلال هذا كله نستطيع أن نقول إنه ليس ثمة نصّ يشير أو يؤكد ممارسة هذه العادة في بلاد الرافدين، وأعني بها (زواج المرأة برجلين). ويبدو أن المصلح (اوروانمكينا) قصد في هذه العقوبة (عقوبة الرجم) تحديد المرأة الزانية أو (البغي)[1] ولكن بتعبير مهذّب غير جارح لواحدة من اقدم المهن في التاريخ، بتعبير يتناسب مع وضعه كملك ومصلح يقوم بنشر العدالة واصدار القوانين المستمدّة من الآلهة ذات الصبغة الدينية والطبيعة المقدسة. لأن الملك مشرّع وقاضٍ باسم الآلهة.

إن اقدم الإشارات إلى البغاء في بلاد الرافدين تنعكس في ما جاء في ملحمة كلكامش على لسان الصياد، وهو يخاطب البغيّ التي جاءت إلى قلب البراري لتقنع انكيدو المتوحش بالذهاب معها إلى مدينة الوركاء المقدسة. فيقول الصيّاد للبغيّ عندما رأى انكيدو (الوحش) مقبلاً على مورد الماء[2]:

«هذا هو (الوحش) أيتها البغيّ، شمخة، فاكشفي عن نهديك

إكشفي عن عورتك لينال من مفاتن جسدك

لا تحجمي، بل راوديه وابعثي فيه الهيام

علّمي الوحش الغرَّ فن (وظيفة) المرأة»

وبذلك عندما شرع المصلح (أوروانمكينا) هذه الفقرة من الإصلاحات، جعل حياة أمثال هؤلاء النساء المتصفة بالبؤس والشقاء. أكثر استقراراً، بعد أن كانت مليئة بالتناقضات والصعوبات.

ولعل هذه الإصلاحات هي التي جعلت زواج البغيّ شيئاً مألوفاً، إذ كان في إمكانها أن تتزوج وتترك حياة البغاء. ومن الأمثلة المهمة على زواج الزانية نص أكدي

---

1 - تُعرف البغي بالسومرية باسم Kar. Kid، والتي تقابلها بالأكدية Harimtu

2 - باقر، طه، ملحمة كلكامش، بغداد، ١٩٨٠، ص ٨٢.



جاءنا من منطقة (رأس شمرا)[1] يروي أن رجلاً اسمه Gildeen في قصر الملكة قد أعتق أمته Ehawa التي كانت بغيّاً في بيت الدعارة، وسكب على رأسها زيتاً أي يتزوّجها[2]. وأعلن الرجل أمام عدد من الشهود أنها أصبحت زوجته، وأصبحت حرة مثله، وأنه دفع لها عشرين شيقلاً من الفضة (يعادل الشيقل الواحد ٨/٤ غم بالأوزان الحالية)[3]. كما إن هذه الإصلاحات هي التي جعلت القانون العراقي القديم يسمح للرجل الذي لم تنجب زوجته ولم تهيئ له أمّة لتلد له الأطفال، أن يطلّق زوجته ويتزوج ثانية، وفي بعض الأحيان، عندما لا يرغب الزوج في طلاق زوجته، ولا يتمكن من شراء أمّة، كان يعاشر زانية ويهتم بها وبالأطفال الذين أنجبتهم منه، ويعتبر هؤلاء الأطفال ورثة شرعيين له. وهذا ما نصّت عليه المادة (٢٧) من شريعة (لبت عشتار) «... إذا لم تلد زوجة أطفالاً من زوجها، ولكن زانية أو سريّة من الشارع ولدت له أطفالاً، عليه (أي على الزوج) أن يجهز الزانية بالحبوب والزيت واللباس (أي يهتم بأعمالها) والأطفال الذين ولدتهم له الزانية سيكونون ورثته (أي أبناءه الشرعيين) ». وتطابق هذه المادة في مضمونها المادة (٤١) من مواد اللوح الأول العائد إلى فترة العصر الآشوري الوسيط. وللمقارنة يمكن الرجوع إلى المادتين (١٧٠- ١٧١) من قانون حمورابي[4].

---

1 - راس شمرا: وهو الاسم الحديث لمدينة (أوغاريت) في سوريا وكانت ميناء وعاصمة مملكة صغيرة في الألف الثاني ق.م. عثر فيها على نصوص مسمارية باللغات السومرية والأكدية والحثيّة والحورية ونصوص أوغاريتية سامية غربية قديمة مدونة بكتابة مسمارية محلية وعلى نحو أبجدي قديم.

2 - كانت عملية الزواج في بلاد الرافدين تتم من قبل كاهن يقوم بطقوس سكب الزيت على راس الزوج والزوجة أمام عدد من الشهود، يعتبر الزواج على أثرها قائماً. ينظر: الهاشمي، رضا جواد، طقوس ومراسيم الخطوبة والزواج في العهد البابلي القديم، التراث الشعبي، ٢/ ١٩٧١) ص ٨٤-٨٥.

3 - عقراوي، ثلما ستيان، المصدر السابق، ص ١٩٤.

4 - رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، بغداد، ١٩٧٩، ص ٧٥.



البعد التاريخي لعقوبة الرجم:

من هذا المنطلق ظهرت عقوبة (الرجم)، وهي عادة قديمة استُخدمت من قبل الأقوام القديمة مثل المقدونيين والفرس[١]، كما استخدمها اليهود مُعتبرين الرجم نوعاً من أنواع العقاب الشديد التي فرضها الناموس (لاويين ٢٠/٣). فقد كان اليهـــود، على ما جاء في التلمود، يقتادون العواهر إلى باب نيكاتور (من رقابهن)، وكان الرجم يتم خارج المدينة (لاويين ٢٤/١٤، والملوك الأول ٢١/١٠ و١٣).

ومن الواضح أن إنزال حكم الموت بالزواني كان مـــن مـــسبّبات الوصـــية السادسة، ولئن ثبت أن سفر الأحبار كان يقضي على جميع الزواني بعقوبـــة القتـــل (٢٠/١٠)، فالرجم كان محصوراً في عقاب الخوائن من الفتيات البـــاكرات (تثنيـــة ٢٢/٢٢- ٢٤)[٢]. وكان الشهود يضعون أيديهم على رأس المجرم (أو المجرمة) إشارة إلى أن الجريمة استقرت عليه، وكانوا يخلعون من ثيابهم ما يعيقهم عن عملية الرجم. وفي حالات الزنى وحالات أخرى كان الشهود يلقون الحجارة الأولى (تثنية ١٣/٩ و١٧/٧).

ويقول التقليد اليهودي إن المجرم كان يُجرَّد من كل ملابسه، إلا مـــا يـــستر عورته، ثم يطرحه أول شاهد إلى الأرض من سقالة ترتفع عن الأرض حوالي (٣م)، أما الشاهد الثاني فكان يرجمه بالحجر الأول على صدره فوق القلب؛ فإذا لم يمـــت، أكمل الواقفون عملية الرجم[٣].

وقد عرف الرجم في الفقه الإسلامي هو قتل الزاني المحصن رمياً بالحجارة أو ما قام مقامها[٤]. ولو رجعنا إلى قانون الحضر على سبيل المقارنة، وإن كان تاريخها يعود

---

1 - قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأستاذة، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٤٠٠.

2 - روبس، دانيال، المصدر السابق، ص ٢٥٨.

3 - قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٤٠٠.

4 - عبد الله صبيح عبد اللطيف، عقوبة جريمة الزنى في حضارة وادي الرافدين والشريعة الإسلامية السمحاء، دراسة تاريخية قانونية مقارنة، بغداد ١٩٩٩، ص ١٣٥.

إلى القرن الأول والثاني ومنتصف الثالث الميلادي، لوجدنا أن عقوبة الرجم التي ورد ذكرها في الكتابة رقم (٢٨١) كانت توقع على السارق حتى بالنسبة إلى الأشياء التافهة: مثل سرقة مواد بناء أو مظلة أو فأس[1].

ولا بد من الاعتقاد أن عادة العقاب بالرجم كانت قد عمّت، في عهد المسيح، على الأزواج الزواني أيضاً وسائر الخطأة[2]. ففي العهد الجديد رُجم اسطفانس (أع ٥٨/٧، ٥٩) وبولس (أع ١٤/١٩) وكذلك حاول اليهود أن يرجموا المسيح (يوحنا ٥٩/٨ و٣١/١٠ و٨/١١).

ومهما يكن من أمر، فكان لانتشار الدين المسيحي أثر كبير في المرأة، غذ منحها الدين الجديد الثقة بالنفس للعمل على تطوير مركزها الاجتماعي ونيل بعض حقوقها الاجتماعية والاقتصادية، اعتماداً على تعاليم الدين الجديد الروحية والخلقية، مما دفعها إلى مواكبة عصرها، متسلّحة بهذه المبادئ السامية. وهذا ما رفع عن عاتقها بعض القيود التي كانت تحد من حيويتها، وتقف عقبة في طريق تقدّمها.

والجدير بالذكر أن الشريعة المسيحية حرّمت إعدام الزوجة ولو كانت في حالة الزنى بل توصي بنبذها لوحدها، حتى تحاسب نفسها وتعي واقعها وتقييمه بحسب مفهومها الروحي لهذه الزلّة التي قامت بها، وتتوب عمّا بدر منها، ويحق للزوج في هذه الحالة أن يهجرها أو يطلّقها إذا استطاع أن يقدم شهوداً لإثبات زلتها وفق الشروط التي تقتضيها بعض الكنائس[3].

---

1 - إبراهيم، جابر خليل، كتابات الحضر، سومر، مجلد ٣٨ (١٩٨٢) ص ١٢١.

2 - روبس، دانيال، المصدر السابق، ص ٢٥٨.

3 - كيال، باسمة، تطوّر المرأة عبر التاريخ، بيروت، ١٩٨١، ص ٤٩- ٥٢.



المصادر:

١- إبراهيم، جابر خليل، كتابات الحضر، سومر، مجلد ٣٨ (١٩٨٢).

٢- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٨٦.

٣- باقر، طه، ملحمة كلكامش، بغداد، ١٩٨٠.

٤- رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، بغداد، ١٩٧٩.

٥- رشيد، فوزي، أوروكاجينا، بغداد، ١٩٩٧.

٦- روبس، دانيال، يسوع في زمانه، نقله إلى العربية الأب حبيب البولسي، لبنان ١٩٦٩.

٧- سليمان، عامر، القانون في العراق القديم، الموصل، ١٩٧٩.

٨- السواح، فراس، لغز عشتار، دمشق، ٢٠٠٢.

٩- فرانكفورت، هنري، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة ميخائيل خوري، بيروت، ١٩٦٥.

١٠- قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة، بيورت، ٢٠٠٠.

١١- كريمر، صموئيل نوح، من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، مراجعة أحمد فكري، بغداد والقاهرة، ١٩٥٧.

١٢- كريمر، صموئيل نوح، السومريون، ترجمة فيصل الوائلي، الكويت، ١٩٧٣.

١٣- عبد الله، صبيح عبد اللطيف، عقوبة جريمة الزنى في حضارة وادي الرافدين القديمة والشريعة الإسلامية السمحاء، دراسة تاريخية قانونية مقارنة، بغداد ١٩٩٩.

١٤- عقراوي، ثلما ستيان، مراسيم الزواج في العراق القديم، التراث الشعبي العدد ٣ (١٩٧٨).

١٥- كيال، باسمة، تطور المرأة عبر التاريخ، بيروت، ١٩٨١.



١٦- مسكوني، صبيح، تاريخ القانون العراقي القديم، بغداد، ١٩٧١.

١٧- الهاشمي، رضا جواد، نظام العائلة في العهد البابلي القديم، بغداد، ١٩٧٠.

١٨- الهاشمي، رضا جواد، طقوس ومراسيم الخطوبة والزواج في العهد البابلي القديم، مجلة التراث الشعبي، العدد ٢ (١٩٧١).

١٩- الهاشمي، رضا جواد، القانون والأحوال الشخصية، حضارة العراق، بغداد ١٩٨٥.

٢٠- حكمت بشير الأسود، الرجم بالحجارة، في مجلة بين النهرين، العدد ١٢٥-١٢٦ (٣٢) ٢٠٠٤، ص ٤١- ٥١.

21- Struve, V., The problem of the Genesis Development and Disintegration of the Slave Societies in the Ancient Orient «Ancient Mesopotamia», Moscow, 1969.

22- CDA: Jemey Black et. Al., A Concise Dictionary of Akkadian, Vol. 5, Wiesbaden, 2000.



صلاة رفع اليد في حضارة بلاد الرافدين

شغلت الديانة مكاناً بارزاً في حياة أقوام بلاد الرافدين. يدل على ذلك وفـــرة المدونات والنصوص الدينية التي خلفتها والتي تعد من أروع أنواع النتاج الأدبي ممـــا وصل إلينا من أدباء العراق القديم[١] والتي تضمنت جملة شعائر دينيـــة كالـــصلوات وتقديم الأضاحي والاحتفال بالأعياد الدينية واستشارة الفأل وطرد الشرور والشياطين من الأجساد والبيوت[٢].

إن القلق وعدم الأمان للأشياء الفانية يستوجب استرضاء الآلهة للحصول على قرار مرضٍ، وكانت النظرة أنه لا شيء دائم الوجود وأن الآلهة لم تكن قابلة للتنبوء، مما جلب معها مفهوماً مثيراً ومناسباً للكون، وعلى المرء أن يُدعى لمراقبة مـــستمرة وطقوس متقنة[٣]. كل هذا دفع بالعراقي القديم أن يكون متديناً بالمعنى العميق لهـــذه الكلمة، تسيّره الخشية من الآلهة والخشية من ارتكاب الخطيئـــة وتوازنـــه العقـــلاني والأخلاقي أمام متطلبات النفس ومتوفرات الطبيعة، وكانت الطقوس الدينية بمثابـــة الدليل الذي يقدمه العراقي القديم على تقواه أمام الآلهة والكهنة وأمام نفسه قبل ذلك كله[٤]. وهذا هو الذي دفعه إلى الصلاة وتقديم الذبائح، لأن الصلاة كانت الجهـــد والعمل الثاني في العبادة العراقية القديمة بعد (خشية الآلهة)، وكان الغرض من الصلاة

1 - باقر، طه، مقدمة في أدب العراق القديم، بغداد، ١٩٧٦، ص ٢٠٠.

2 - الأحمد سامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، بغداد، ١٩٨٨، ص ٤٦.

3- Cohen, M.E., Balag-Compositions, Sumerian Lamentation Liturgies of the Second and First Millenium. B.C, (SANE), 12(1974), p. 29.

4 - الماجدي، خزعل، متون سومر، بيروت، ١٩٩٨، ص ٣١١.

هو التقرب من الآلهة بغية مغفرة الخطايا والذنوب التي ارتكبت ... وقد جاء في أحد النصوص القديمة ما يؤيّد هذه النظرة[١]:

يوماً بعد يوم أكرم إلهك

بالذبيحة والصلاة وفوح البخور

لتكن العفة زينتك أمام إلهك

تقرب إليه كل صباح بالضراعة والنجوى

وتعفير الجبين أمامه، فيبيح لك كنوزه

وتفيض غلالك بفضل إلهك

أنعِم التأمل في لوحتك، تعلم

أن الخشية تورث الرضى، والذبيحة تطيل الحياة

وأن الصلاة منجاة من الخطيئة.

لقد كانت هناك طرق عديدة يجد الإنسان فيها نفسه مرتبطاً بطاعة مطلقة تجاه (الإله) وبوفاء غير مشكوك فيه مع القوة الخارجية التي تحكم الكون وتقرر الخلاص الإنساني من خلال احتياج الإنسان إلى الطمأنينة التي لم تكن مطلقة في الحياة[٢]، من خلال إطلاق صرخات الرحمة أو تعديد مطول للخطايا وإحداث أنين بواسطة المزمار وأغاني شعبية في موضوع الصلوات لإنعاش قلوب الآلهة. هذه الصلاة التي لعبت دوراً عميقاً في الحياة اليومية للفرد[٣] من خلال تحويل الشعور الديني الملهم من الآلهة إلى كلمات، أو بكلمة أخرى هو إسماع الآلهة بالشعور الطيب الذي يكنّه العباد لتبقى

---

1 - دولابورت، ل، بلاد ما بين النهرين، حضارة بابل وآشور، تعريب مارون الخوري، بيروت ١٩٧١، ص ١٨٧.

2 - Jacobson, Th., Toward the Image of Tammuz and other Essays on Mesopotamian History and Culture, Harverd Univ. 1970, p. 13.

3 - بوتيرو، جان، الديانة عند البابليين، ترجمة: وليد الجادر، بغداد ١٩٧٠، ص ١٤٧- ١٥٢.

راضية، وهذا هو المنتظر من هؤلاء «ويشبه ذلك ما يصنعه الضعفاء للأقوياء في علامنا»... فإن تقديم الصلوات للآلهة يعني طلب رحمتها ورفع شأنها ومباركتها وكذلك تعظيمها وخدمتها، ويعني أيضاً التحسّر والتأوّه والبكاء والنحيب أمامها، وذلك توسلاً إليها مثل «الخضوع للكبار على الأرض»، فيقدم الشخص نفسه إليها ويركع أمامها، يتوسل ويمسك أطراف المعطف ويقبل أقدامها ويرفع اليدين نحوها، وتكون راحة اليدين مفتوحتين[١].

طقوس الصلاة في بلاد الرافدين

تعتبر الصلاة أحد أهم الطقوس الدينية التي يجب على المتعبد تأديتها أمام الإله في المعبد المخصص له. وتُستهل الصلوات عادة بتحية فيها تنهال مجموعة من الصفات على الإله يتم اختيارها للتأكيد على السمات الإلهية التي تستجيب لحاجات مقدم الطلب، كما أن هيكل الصلاة يتسم بشكاوي واحتجاجات مع طلب المساعدة من السماء مع ذكر فضائل الإله السابقة وأهلية وبراءة التائب مع وعود بالغناء والمديح إذا أجيبت صلاة التائب كأنها صيغة مغلفة تطلب إجابة سريعة على رسائل اعتيادية أو صيغة جديدة للطلب من الإله لكي يرق قلبه[٢].

وليس هناك ما يثبت أن الصلاة في العراق القديم كانت تمارس بشكل يومي منتظم وفي أوقات معينة. ويبدو ان الصلاة القديمة لم تكن ثابتة النص بل كانت نوعاً من النصوص الدينية الابتهالية «مضمونها التضرع والتوسل إلى الإله» والمرفوعة لإله محدد. وكان الإنسان يرددها متى ما كان في المعبد أو أمام تمثال إلهه في البيت أو القصر أو في أي مكان آخر. وكانت الصلاة تؤدَّى إما بصحبة كاهن أو منفردة يؤدّيها العابد وحده أمام تمثال إلهه. وهناك صور لكهنة سومريين يضعون ايديهم أو

1 - المصدر السابق، ص ١٤٦- ١٤٧.

2 - Hallow, W.W., Lamentations and Prayers in Sumer and Akkad, In., Civilization of the Ancient Near East, by, Jaek, M. [illegible]sson, vol III, New York, 1995, p. 1876- 1877.

أكفهم فوق بعضها عند أداء الصلاة خشوعاً وتقديساً[1] وقد وضّحت بعض المنحوتات الفنية في بلاد الرافدين هيئة البروك التي كان المرء يلتجئ إليها أثناء تأدية طقوس العبادة أمام إله المدينة وهو الإله (شمش) إله الشمس في الفترة الآشورية القديمة ١٣٥٠- ١٠٠٠ ق.م. [2]

كما وصلت إلينا نماذج من أوضاع المصلين وهم راكعون أمام تماثيل الآلهة كما كانوا يقومون بإحراق البخور وسكب السوائل المقدسة وكانت لهم أدعية لكلٍ من الآلهة[3].

وقد ارتبطت الصلوات في ديانة بلاد الرافدين بشعائر طقوسية لازمتها دوماً، وخصت هذه الشعائر الطقوسية بكل اتقان في مقطع عند نهاية الصلاة حيث تخاطب الشخص الذي يقوم بعملية الصلاة أو تخاطب رجل الدين الذي يقوم بأمور خدمية من حركات وإشارات والاهتمام بما يقدم من قرابين بحسب الزمان والمكان[4].

كان الوضوء وغسل أليدي طقساً لازماً وواجباً ليس للقيام بالصلاة فحسب، بل لممارسة أي رتبة دينية مع ترديد الكثير من التراتيل الدينية التي كانوا يتلونها في معابدهم أو الصلوات التي يرفعونها بصورة منفردة بصحبة الكاهن[5].

1- الماجدي، خزعل، المصدر السابق، ص ٣١١- ٣١٣.

2 - Frankfort, H., The Art and Architecture of the Ancient Orient, London, 1969, p.132.

ويبدو أنه كان لوضع البروك أهمية دينية استمرت حتى الفترة السابقة للإسلام، ومنها اشتقت كلمة التبرك بالإله من خلال البروك إليه أو السجود أمامه لإيصال المتعبد دعواه لاى الآلهة. ينظر: علي، خالد إسماعيل، الفعل في ىرامية (الحَضَر) الحضر، مجلة المجمع العلمي العراقي، الهيئة السريانية، مجلد ١٢، بغداد ١٩٨٨، ص ٤٦- ٤٧.

3 - الأحمد، سامي سعيد، المصدر السابق، ص ٤٦- ٤٧.

4 - اوبنهايم، ليو، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد ١٩٨١ ، ص ٢١٩.

5 - الأحمد، سامي سعيد، المصدر السابق، ص ٤٦- ٤٧.

وقد جاءنا برنامج طقوس الاحتفال بعيد رأس السنة (الأكيتو) التي تستغرق أحد عشر يوماً، تبدأ من الأول من نيسان، وهي بداية السنة في التقويم البابلي الذي يعتمد التقويم القمري[١]. فخلال الأيام الأربعة الأولى من بدء الاحتفال تُجرى الطقوس التي تشتمل على التطهير، تهيؤاً لما سيحدث في معبد (ايساكيلا) معبد الإله مردوخ في بابل بدءاً باليوم الثاني[٢] حيث ينهض الكاهن الأكبر لمعبد (ايساكيلا) قبل شروق الشمس بساعتين وبعد أن يغتسل بماء النهر يدخل إلى المعبد وحده ويؤدي الصلاة أمام تمثال الإله مردوخ والآلهة الأخرى، وبعد ذلك يتوافد الكهنة الآخرون للقيام بمهماتهم الدينية اليومية[٣] وقد جاء في هذه الصلوات النص الآتي:

الإله الذي لا نظير لعظمته

الذي يُسقط الأقوياء بنظرة منه

سيد الملوك نور البشرية اذلي يقدّر القدار

كل السموات الواسعة هي مقر إقامتك

بوحيك تستقر النبوءة

وبيدك قصمت كل القواىء

وبنظرة منك تغمرهم الرحمة

أنتمن ينيرهم، وهم يلهجون بعظمتك[٤]

أما طقوس اليوم الخامس الذي يسمى بيوم التكفير، إذ ينهض كبير الكهنة منذ الصباح الباكر وقبل الشروق، ويتطهر بماء دجلة والفرات وعلى الأرجح أن هذا الماء

1 - الراوي، شيبان ثابت، الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي الحديث، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠١، ص ٨٢.

2 - Sachesm A., Akkadian Rituals, ANET, 1969, p. 331.

3 - Frankfort, H., Kingship and the Gods, Chicago, 1955, p. 318.

4 - Saches, A., op. Cit., p. 331- 332.

يحفظ في المعبد، ثم يقدم الصلوات أمام الإله مردوخ وهو يرتدي جلباباً من الكتـــان، ومن هذه الصلاة:

إلهي... الذي لا إله غيره

إلهي، إلهي ملك البلدان

لا يوجد من يهب إلا إلهي

إله السماء والأرض، الذي يقرر المصائر

نور الشمس للعالم، إلهي كن في سلام[1]

وبعد أن يتم الكاهن صلواته تفتح أبواب المعبد ويدخل بقية الكهنة ويقومـــون بالطقوس المعتادة. وبعد شروق الشمس بساعتين يقدم الفطور الصباحي للإله مردوخ وزوجته، ثم تُجرى طقوس التطهير للمعبد برشّات من ماء دجلة والفرات أولاً الذي يحتفظ به في آنية داخل المعبد، وبعدها تقرع الطبول وتوقد المباخر وينار المعبد ويجري مسح أبواب الحرم المقدس بزين السدر[2].

ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: كيف كان الناس يصلّون في بـــلاد الرافدين، هل كانت صلاهم بشكل مسموع أم هي عبارة عن همهمة (تمتمـــة)، أم السكوت المطبق خصوصاً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار مسألة (التأمل) عندما يكـــون الإنسان وحيداً. هذه المسألة كانت موجودة في كل الثقافات وفي كل العصور، كما يجب التأكيد هنا أن الصلاة الشخصية كانت عكس الصلاة العامة أو المشتركة الـــتي كانت تتلى بصوت عالٍ[3].

أظهرت لنا النصوص المسمارية عدداً من الكلمات ذات العلاقة بفعل «الصلاة والتقرب من الآلهة» أو الملوك أو الموظفين الكبار في بعض الأحيان...

---

1 - Saches, A., op. Cit., p. 332- 333.

2 - الراوي، شيبان ثابت، المصدر السابق، ص ٨٥- ٨٧.

3 - Grayson, A.K., Murmuring in Mesopotamia, In, Wisdom, Gods and Literature, Edited by, A.R., George and I.L., Finkel, Eisenbraun, 2000, p. 301- 306.

فكلمة enenu و maharu البابليتان اللتان وردتا في النصوص البابلية القديمة تعنيان (يصلي) وكانتا تطلقان على الصلاة التي يؤديها المتعبد أمام الآلهة طلباً للرحمة(١) وعندما يستغيث المرء بالآلهة طالباً النجاة، يقوم بتأدية الصلاة من أجل أن تمنحه السلامة، ترد اللفظة الأكدية ut nenu(٢) وكذلك كلمة su-ne-sa التي تعني (تشكى) أو (بكى) وكلمة IR التي تعني يبكي أو نواح(٣)، كما وجدت ألفاظ أكدية منها Karabu التي تعني وضع لشخص يقوم بأداء الصلاة(٤)، وفي وضع المتعبد يؤدّي الصلاة تطلق عليه لفظة أكدية mut nenu(٥).

وفي النصوص البابلية القديمة ترد لفظة ba'alu الأكدية التي تعني (صلاة) التي يؤديها المتعبد خشوعاً وتضرعاً أمام الآلهة(٦). أما الأدعية التي تصاحب الصلاة والتي تعني صلاة طلب الاستجابة أو دعاء فكان يطلق عليها turistu(٧).

ويبدو واضحاً من خلال معاني الكلمات المار ذكرها أن المصلي كان يعبّر عن صلاته بصوت عال، لأن كل الكلمات تعطي معنى يفيد ذلك ((يقرأ، يفكر، يصلي، يبكي، ينوح...)) ولا يوجد تعبير خاص في اللغة لمعنى ((التمتمة والهمهمة)) أو التكلم بصوت خفيض، وللمدلول الخاص فإن كلمة eresu هي كلمة أكدية اعتيادية تعني ((يسال بصوت عالٍ أو مسموع)) واستعملت كذلك في طلب الالتماس مثل الصلاة إلى الآلهة(٨).

---

1 - CAD, E.p. 162 - A
2 - AHW, Band, 15, p. 1444.
3 - CAD, M/I p. 50-51. CDA, p. 344.
4 - CAD, K, p. 192 A.
5 - AHW, Band 8, p 688.
6 - CAD, B., vol. 2 p. 2 A.
7 - AHW, Band, 14, p. 1331.
8 - [illegible]ayson, A.K., op.cit., p. 306- 307.

صلاة رفع اليد SU.IL.LA

ويعني المصطلح السومري ((شو. الا SU.IL.LA)) صلاة رفع اليد ويقابلـــها بالأكدية Suillakku[١]، وهي عبارة عن صلاة كانت تتلى من خلال طقوس المعبد المختلفة... الغرض منها مخاطبة الآلهة من أجل تهدئة غضبها ((نيابة عن المدينة والمعبد والطائفة)) خاصة عندما يتعرض معبد الإله إلى الهدم والتحطيم عندها تسعى هــذه الآلهة إلى الانتقام[٢].

وتعتبر صلاة رفع اليد SU.IL.LA طرازاً أدبياً خاصاً، وهو أحد تصانيف أدب العبادة المعروف باسم ((أمي سال Eme.Sal))[٣] والتي استخدمت في العبادة العامة

---

1 - CDA, p. 381.

2 - Black, J.A., Eme. Sal cult Song and Prayer (Ao) vol. IX, 1991, p

3 - أمي سال Eme. SAL وهي لهجة سومرية يرادفها بالأكدية emesallu.

ينظر: Labut, R., MDA, p. 55 وهي لغة النساء (لسان النسوة) وهي عبارة عن أناشيد دينية كتبت في العصر البابلي القديم وهذه الأناشيد تعد الضرب الأدبي السومري الوحيد الذي استمر في الوجود، وقد وصلت منه نماذج من الشعر الآشوري الحديث وما بعده، وكانت هذه اللغة أو اللهجة تستعمل في النصوص الأدبية عندما يأتي الكلام على لسان امرأة من الآهة أو البشر.

ينظر: علي، فاضل عبد الواحد، من ألواح سومر إلى التوراة، بغداد، ١٩٨٩، ص ٤٠- ٤١.

سليمان، عامر، اللغة الأكدية، الموصل، ١٩٩١، ص ١.

وكانت هذه اللغة أو اللهجة يتلوها الكاهنات المغنيات والعدادات (النائحات) وبدأ بإنشادها كاهن الـــ(كالا Gala) بدأ من العصر البابلي القديم في أيام محددة من الشهر كصلاة المساء الثابتة لتجنب غضب الإله.

أنظر: Leick, G., A Dictionary of Ancient Near East Mythology, London, 1997, p. 59.



مع نصوص (بالاك Balag)[١] و(ايريشما ersemma)[٢]، والتي كونت سلسلة تعرف باسم (كالاتو Kalatu)[٣] أو مجموعة مغنين (كالو Kalu)[٤]، ولكنها تختلف عنهما بكون (شو . الا) لم تنتظم في تصانيف طقسية طويلة... وقد نظمت في مكتبة آشور بانيبال في نينوى على شكل قائمة ضمن ترتيب مثبت[٥]. وهي تاريخياً تعود إلى العصر السومري، ولكن النصوص تعود إلى إبداع ما بعد العصر البابلي القديم (٢٠٠٤- ١٥٩٤ ق.م.) وقد جاءتنا خمسة نماذج من صلاة (شو. الا Su.Il.La) ثلاثة من العصر الأشوري الحديث من نينوى وكلخو (نمرود) وآشور واثنان من العصر البابلي الحديث من بابل وواحدة غير معلومة، وهنا نورد أحد النصوص ذات العلاقة بصلاة رفع اليد (شو.الا. SU.IL.LA)ز

سيدي عندما تدخل المعبد، لعل معبدك يقول إليك، اهداء

سيدي القوي مردوخ، عندما تدخل المعبد (لعل) معبدك يكرر ذلك

---

1 - بالاك Balag وهو نوع من مراثي الحزن الشعائرية التي كان كاهن الـ(كالو Kalu) يقوم بإنشادها بمرافقة آلة موسيقية تعرف باسم (بالاك Balag) وبرادفها بالأكادية Balaggu أو Balungu ينظر : Black, J.A., cit, p 28

2 - ايرشيما ersemma وهي صيغة أكدية مأخوذة عن السومرية ER.SE.MA وتعني مرثية حزن أو شعر (غناء) ديني أو تعبدي. ينظر: Labat, R., MDA., p.239, No. 579.

3 - كالو Galu: طبقة خاصة من الكهنة اشتهروا في مجال الترتيل واختصوا بالبكاء والنحيب وغناء الرثاء والعزاء في حالات الموت والدمار والكوارث كما وكانت مهمتهم تتركز في تهدئة غضب الآلهة بأناشيدهم فكانوا ينشدون مع مختلف آلات النقر كالدفوف والسنطور والمزامير، ويبدو أنه كان لهم طقوس خاصة وكانوا يستخدمون في أناشيدهم لهجة خاصة. ينظر: لابات، رينيه، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ترجمة: الأب البير أبونا ووليد الجادر، بغداد، ١٩٨٨، ص ٨٠.

4 - Cooper, J.S., A Sumerian SU.IL.LA From Nimrud with a Prayer For Sin-Sar-Iskun Irad, vol, XXXII, 1970, p.51- 54.

5 - Black, J. A., Sumerian Balag Composition, (BO) XLIV, 1987, . 32.

لعل آن العظيم، أبو الآلهة، يقول لك، كم يطول هدوؤك[١]

وقد جاءنا نص من مكتبة أشور بانيبال في نينوى يتضمن صلاة ترافق التقدمة المعمولة في اليوم الثالث عشر من الشهر والخاص بعيد إله القمر[٢]. هذه الصلاة تعود إلى النموذج الشائع للصلوات الذي يستعمل في طقوس رفع اليد SU.IL.LA حــين يصلي المتضرع للحصول على مغفرة الخطايا وللعيش بخير وسعادة[٣].

يا سين، يا ننار، المبجل

سين المتجدد دوماً اذلي يصنع الضياء

بك يعطى كل نور مشع للناس

متألقٌ هو مشعلك مثل «لمعان» النار

ضياؤك الباهر يملأ الأرض الواسعة

وبالكبرياء يتنافس البشر في رؤيتك

لا أحد يستطيع أن يتصور تفوقك، نورك مثل نور الشمس

الآلهة العظام راكعون أمامك

وقرار البلاد يعود إليك

يا سين المتلألئ إنهم يسألونك وتعكي الكلام للآلهة

في المصيبة التي ينبئ عنها خسوف القمر الذي حدث في اليوم الفلاني والشهر الفلاني

---

1 - Ibid.

2 - الإله سين: كان السومريون يعبدون الإله القمر باسم (سوين) أو (ننا) و(ننار) أما الأكديون فكانوا يعبدونه باسم (سين) وهو اسم يعني بلغتهم المضيء أو المشع. ينظر:

Black, J.A., Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, England, 1998, p.135.

3- Stephen, F.J., Sumero- Akkadian Hymns and Prayer (ANET), 9, p. 368.

في المصيبة التي تخبر عنها العلامات والفؤول الرديئة وغير المؤاتية

في اليوم الثالث عشر هو عيدك، يوم البهجة لألوهيتك

يا سين الذي لا يضاهى في القوة والذي لا أحد يعرف مشورته

سكبت لك تقدمة ليلية نقية، سكبت لك الحصة الفاخرة

أنا راكع، ها أنذا أشتاق إليك

انزل عليَّ رغبات الخير والسعادة والعدالة

لعل إلهي وإلهتي اللذين غضبا علي منذ وقت طويل

ليتصالحا معي بثقة ونزاهة ليكون طريقي سالكاً وسبيلي بهيجاً

بعد أن أرسل (زاكور) إله الأحلام

حل خطاياي خلال الليل وجعل ذنوبي مغفورة

لعلني أسمع خلال الليل مغفرة خطاياي

لتجعل ذنبي يُسكب خارجاً

إذ ذاك سألهج بمدائحك إلى الأبد

الصلاة الفردية

إن صلاة رفع اليد إلى الفم يشهد عليها لغوياً وفنياً، أنه نشاط صلواتي ذا نمط خاص يرتبط بالتعويذة أو الرقية لرفع اليد INIM.SU.IL.LA.KAM والتي تتعلق بالأحزان الفردية حيث تشكل رسائل اتصال مع السماء أو مع الجانب الإلهي، وهذه الأقسام الخاصة بالشكوى مسبوقة بتحية أو ابتهال إلى إله معين ومقدمة عن النائب، ومن ثم يتبع ذلك توسلات المصلي من خلال أداء معين يذكر فيه خصاله وطلبه الخاص، وتنتهي بالتشديد على عرفانه الذي يُعبَّر عنه بطريقة مادية من خلال إزجاء المديح والثناء للإله، استباقاً لتحقيقه دعوات المصلي[1]. وكنموذج لهذه الصلاة نورد

---

[1] ...llow, W.W., op. Cit., p. 1873- 1878.



نص (صلاة الصالح المعذب إلى الإله نابو) حيث يوصف النص الألم لأي معذب صالح والذي يعتبر ما ناله كعقاب إلهي ولكن في الوقت نفسه يعتبر نفسه بريئاً، ومن الشواهد الداخلية والمتوازيات يمكن أن نقترح أنه وضع لملك آشوري وقد اقترح الباحث (دياكونوف) أن الملك المعني ربما يكون أسرحدون (٦٨٠- ٦٦٩ ق.م.)[1]

آه نابو لتجنبني الخطيئة، آه ابن بيل لتجنّبني الإثم

اللوم لأبوي وأخوتي، الذين أهملوا وتجاهلوا (...)

أنا اشتقت إلى (إيزيدا)، الأرض الشامخة، هذا المعبد...

أنا اشتقت في طفولتي للجلوس في بيت الرقيم

أنا... التقدمات للمعبد العزيز، لنابو، أنا أفكر باستمرار في أشيائه الجميلة نار (ايزيدا) تحرق قلبي

أنا حصلت على الثروة بوقت مبكر، أنجزت هدفي (لكن) الشيخوخة قيدتني إلى سريري قبل وقتي

أنا انتهيت من خلال الألم، كأني لم أشعر بألوهيتك،

أنا بكيت (لأني) لم أشعر بجمال حياتي

أصبحت أصغر من الصغير، أوطأ من الواطئ، امتدت يداي حتى إلى المعوز

أنا صليت للعبد والعبدة، من أساوي في الميزان،

ركضت إلى العدو (السحرة) شطفت المياه قوتي

أنا بُترت من مدينتي، أعداء سلالتي الحاكمة أحاطوا بي

الحزن الدائم والمرض جلب الوهن لي

أنا ابكي باستمرار لآلهتي البعيدة رافعاً يدي في خضوع

أنا لم أرَ... الموت يتملص مني مثل الكتروم ثمين

1- Livingestone, A., Court Poetry and Literary Miscellanea, SAA) vol. III, Helsinki, 1989, p. 30-32.

أنا صعدت مراراً إلى السطح من أجل أن أسقط (نفسي) إلى الأسفل

لكن حياتي ثمينة، أرجعتني إلى الخلف...

أنا أعطيت الشجاعة لنفسي، لكن أي شجاعة أنا حصلت عليها لأعطيها

أنا عرفت لكن أي عقل عندي لكي أعزم وأقرر

آه نابو، أين هو غفرانك، آه ابن بيل أين هي توجيهاتك، أين هو نسيمك اللطيف ذو الأريج (الذي) يذهب فوق الأشخاص الضعفاء...

سيدي عندما كنت في صباي كان هناك ظلمة، شمس أشرقت فوق البلد لكن لأجلي (...)

الأمطار الغزيرة على الشعب، لكن علي... الأمطار (سم) ومرارة

حياتي انتهت، أين أستطيع أن أذهب، أنا وصلت إلى بوابة الموت،

نابو لماذا تركتني

ألم يتخلّ عني سيدي، حيث هناك كثيرون يرغبون في مرضي، ألم تتخلَّ عني

أنا شخص في حالة ضعيفة، من يخيفك، ألم تدعني أحضر إلى شمش

أنا واحد (من الذين) يحرسون الحقيقة، ألم تحطم الحقيقة التي أنا حرستها

لعل الشخص الوحيد الذي استدعي إليك، سيدي، لا تموت

امسك يد المعدم الذي يتضرع إلى ألوهيتك

أنقذ حياة الشخص الضعيف، حيث ضيّق الحاقدون الخناق عليّ،

فوق قدرة المرء، النساء الحقودات غسلن مثل الماء سحرهن

في نفسك لعل الشخص من يكون مثل حي ميت

لعل حياته المنتهية ترجع ثانية[1]

---

bid.



التعليق على النص

في هذا النص الأدبي نقف أمام تأملات فردية للعدالة الإلهية على هيئة مناجاة للنفس لرجل صالح متعبد حلت به النكبات والكوارث، عبد صالح تقي كان يعبد الآلهة ويقدم لها القرابين، ولكنه مع ذلك يتعرض للويلات والنكبات ويقع تحت وطأة المصائب والشقاء. لقد كان القدر قاسياً عليه على الرغم من إيمانه بالعدالة الإلهية، إنها مأساة الإنسان الفاضل ومقاساة الألم... عندها يبدأ، هذا الإنسان بالاحتجاج والثورة على ظلم الدنيا بوجه عام.

يبدأ الصالح المعذَّب مناجاته للإله نابو (إله الكتابة والحكمة) لكي يساعده على تجنّب الخطيئة، لكي لا يقع في الإثم، مبتدئاً الحديث عن ذكرياته واشتياقه إلى المعبد حينما كان يقدم التقدمات للإله نابو مستعرضاً طفولته وهو جالس في بيت الرقيم (المدرسة). كل هذا قاده إلى الحصول على الثروة في وقت مبكر لكنه فجأة يجد نفسه شيخاً طاعناً في السن، أنهكه المرض وقيده إلى الرقاد في السرير. كان ألمه شديداً ومعاناته أشد، جعلاه يفقد الرغبة في الحياة حتى وصل إلى مرحلة اليأس لأنه لم يعد يشعر بفعل الإله نحوه. إنه في ضياع تام، لم يعد يشعر بما يحيطه من مباهج الحياة، فقد الإحساس بالجمال، تنتابه الخواطر فيهرع إلى البكاء، لعله يجد نفسه من خلال ذلك.

إن جميع القيم الأخلاقية تظهر مشوشة فكيف نثق بالعدالة الإلهية، وماذا ينفع احترام التعاليم الدينية والرضوخ للتقاليد الاجتماعية، إنه حوار بين رجل وإلهه يعبر عن الحزن والمعاناة والتعامل مع هاجس الذنب، لقد تغيرت نظرة هذا الإنسان إلى الدنيا، فلم يعد يرضى بأن تكون مسيرة العالم اعتباطياً، وطفق يطالب بقاعدة خلقية ثابتة له. و لم يعد يعتبر الشر والمرض هجمات لشياطين ومردة على الإنسان مجرد حوادث طارئة، فالآلهة حين تسمح للشر والمرض بالحدوث، فهي المسؤولة في النهاية، وهكذا وجد الإنسان في قيمه الأخلاقية مقياساً راح يقتبس به أفعال الآلهة، متجرئاً بذلك عليهم، موضحاً التناقض الذي لم يلحظه من قبل. لقد أدرك ألاّ موازاة هناك



بين الإرادة الإلهية والأخلاق الإنسانية، وظهرت لعينه مشكلة حار فيها (لماذا تــترل البلية بالرجل الفاضل؟ لماذا التقيّ معذّب؟)

لم يقف الأمر عند ذلك. بدأ هذا الرجل يمد يده لطلب العون حتى من المعوز والعبد. وقادته الأمور ان يهرع إلى أعدائه (السحرة)، طالباً العون منهم لأنه أصــبح غريباً في بلده محاطاً بالعداء من كل جانب، يعيش بالحزن والمرض والضعف، يبكــي باستمرار ولا منقذ له!

لقد طلب الموت لكن الموت هرب منه، أراد إنهاء حياته بالانتحار لكنه لم يجرؤ على ذلك. خانته شجاعته وتخلّى عنه عقله.

وهنا يتذكر الآلهة البعيدة، فيصلي رافعاً يده نحو السماء بخشوع، يتذكر ثانيــة إلهه نابو فيطلب الغفران، عارضاً أمام الإله الحالة المزرية التي وصل إليها، إنه لم يعــد يشعر بدفء الشمس المشرقة ونورها، حتى الأمطار الساقطة كانت مُــرّة كالــسم بحسب وصفه... إنه حيّ كالميت، فيتساءل التقيّ المعذّب: لماذا كل هذا؟ وهو يعلل ذلك (بأن إلهه تخلّى عنه).

إنها قصة رجل عاش عيشة البر والرفاه، غير أنه غدا مثابة للشكوك في قيمــة الحياة، كان نصيبه هموم الدهر وأحزانه والفقر والمرض... ولكن لا أحد يتمكن من فهم مرامي الآلهة... لكنه في النهاية ينصاع إلى الرحمة الإلهية مــن خــلال الإيمــان والأمل، لأن على الإنسان أن يفهم أن الآلهة لن تتخلى عن الإنسان، فهي بالتالي تمدُّه بالعون والحماية والسعادة في الحياة.

الخاتمة

كان من واجبات المؤمن بعد خشية الآلهة هي الصلاة وتقديم الذبائح بحسب ما يقرّ به العراقيون القدماء، لأن الغرض من الصلاة كان التقرّب من الآلهة بغية مغفــرة الخطايا والذنوب التي ارتُكبت، وقد وضّحت لنا بعض المنحوتات الفنيــة في بــلاد الرافدين أوضاعاً عديدة للصلاة، منها في وضع الركوع أو على هيئة الــبرول

تماثيل الآلهة، ومشاهد أخرى في وضعية الوقوف بخشوع مع وضع الأيدي أو الأكفّ فوق بعضها.

كما أوضحت لنا النصوص المسمارية نوعاً آخر من الصلاة عُرف بـ(صلاة رفع اليد) التي استُخدمت في العبادة العراقية القديمة كأحد وسائل الاتصال مع السماء، أو مع القوة الإلهية من أجل طلب المغفرة بصوت مرتفع، وكذلك من أجل تهدئة غضب الإله، وهي طراز أدبي واسع استُخدم في العبادة العامة مع نصوص أدبية رثائية واسعة من خلال كهنة خاصّين، وقد زودتنا مكتبة أشور بانيبال في نينوى بنماذج من هذا النمط الصلواتي.

المختصرات:

AHW	: (W. Van Saden) Akkadisches Hund Wőrterbuch
ANET	: James. B. Pritchard (ed) Ancient Near Eastern Text Relating to the Old Testament, 3rd Edition, New Jersey, 1969.
AO	: Aula Orientalis.
BO	: Bibliotheca Orientalis.
CAD	: Chcago Assyrian Dictionary.
CDA	: Jermey Black et. Al, A Concise Dictionary of Akkadian, vol. 5, Wiesbaden, 2000.
MDA	: Manuel d'Epigraphie Akkadienne.
SAA	: State Archives of Assyrian (Helsinki).
SANE	: Sources of the Ancient Near East.

راجع البحث الذي نشره الأستاذ حكمت بشير الأسود في مجلة بين النهرين العدد ٢٧- ٢٨ (٣٢) ٢٠٠٤ ص ٢٢٢- ٢٣٨.

أساطير بابل

وتطور المعتقدات الدينية في الشرق الأدنى

بدأت الحضارة في العالم حول الأنهر، وأقدمها حضارة ما بين النهرين أو (ميزوبوتاميا) أو بلاد بابل أو بلاد الرافدين أو العراق.

بقيت أساطير بابل مجهولة لزمن طويل ما خلا بعض المقطوعات من كتاب برعوشا (بيروسوس) الكلداني البابلي، الذي كتب باليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد، وقد حفظ أوسابيوس القيصري المؤرخ الكنسي هذه المقطوعات بهدف المقارنة بين المسيحية من جهة والوثنية من جهة أخرى، والبرهنة على صحة المسيحية وبطلان الوثنية.

أما اليوم، وبفضل عشرات الألوف من الألواح الطينية المدونة بالمسمارية والمكتشفة في بابل وآشور، فقد زادت معلوماتنا عن هذه الميثولوجيا منذ قرن ونيف فقط. هذه الألواح تشكل وثائق أصلية لم تدخل إليها يد التعديل بل النقص والتلف، وبفك رموز اللغة المسمارية وقراءة النصوص المكتوبة تبين أنها تختلف كثيراً عما جاء به برعوشا. كما تختلف بتفاصيلها حسب المنطقة التي اكتشفت فيها. في الشمال أم الجنوب، في الوسط أم في أشور، وحسب زمنها، أهي تعود إلى الألف الثالث ام الثاني أم الأول قبل الميلاد، ومع كل اكتشاف جديد نرى كم كان المؤرخون يجهلون آلاف السنين في معتقداته ومؤسساته وفنونه، بينما كان في تطور مستمر حضارياً حتى ألف سنة خلت عندما خيمت عليه العصور المظلمة.

بالنسبة لبلاد بابل كان العالم كله سهلاً واسعاً يخصبه نهران عظيمان هما دجلة الذي دعاه السومريون «أدجنا» والساميون سمّوه أدجلات أو حداقل أو دقلات (طوله ١٩٠٠ كم) والفرات الذي دعاه الساميون فراتو والسومريون بورانوتو (طوله ٣٥٨٠ كم) ويحدّ هذا السهل جبال عالية في ثلاث سلاسل هي زاغروس وطوروس



ولبنان، وهذه السلاسل الثلاث تحمل قبة السماء كغطاء، والكل يطفو على محيط غير محدود من الاتساع والعمق.

كيف خُلِقَ هذا العالم ومن خَلَقَه؟

لقد طرح هذا السؤال في سومر منذ ما ينيف عن خمسة آلاف سنة. وكانت بلاد ما بين النهرين آنذاك غير موحدة بل كانت تعيش نظام الدولة المدينة، وهذه المدن كانت مستقلة كل منها عن الأخرى إلا في فترات مختلفة، ثم كانت إحداهن تهيمن على باقي المدن مثل كيش ولكش وأور وأوروك وأريدو ولارسا وإيسن وسيبار... إلخ في سومر، ورغم أن هذه المدن تكلمت لغة واحدة واستعملت كتابة واحدة إلا أنها حافظت على تقاليد خاصة ومعتقدات خاصة بها. فهذه شفيعها الشمس «أوتو» وتلك القمر «نانا» أو الزهرة «إنانا» ... إلخ كما أن مدينة نيبور (نفر) كانت مركزاً دينياً مشتركاً إذ تركزت فيها عبادة «إنليل» أو «الأب إنليل»، «الجبل العظيم».

وأما بابل فلم تكن سوى مدينة صغيرة بين عديد من المدن حتى اتخذها حمورابي عاصمة لامبراطوريته الواسعة نحو (١٨٠٠ ق.م) وما أن ارتفعت «باب الله» بابل بين المدن حتى ارتفع إلهها مردوخ إلى المقام الأول بين الآلهة، وأخذ يمتص ويحتكر صفات الآلهة الأخرى حتى أصبح هو الخالق بدل آلاف الآلهة السومرية وأصبح رئيساً لمجمع الآلهة وساحق قوى الشر الذي يرى كل شيء ويسمع كل شيء، ظهرت بذلك مرحلة جديدة بين تعدد الآلهة أو البوليثية Politheism والتوحيد أو المونوتية Monotheism وهي الهينوتية Henotheism. إن الهينوتية لا تنكر الآلهة وتعددها لكنها تختار إلهاً سيداً من بينها هو الإله الرئيسي والبقية ثانويون في مراتبهم ومهامهم السماوية والأرضية. وقد دام المعتقد الهينوتي ممثلاً في مردوخ البابلي وأشور الآشوري ويهوه العبراني حتى بلغ الإنسان طور التوحيد مع النبي عاموس نحو ٧٥٠ ق.م.

لقد عبد سكان بلاد الرافدين قوى الطبيعة مؤنسنة في آلهة عديدة، كل قوة تمثل إحدى الإرادات السماوية. هذه القوى والأحداث الطبيعية كانوا يرونها ضرورية لبقائهم وبقاء قطعانهم وزرعهم وتربتهم ومياههم. وكي يشعر الإنسان بوجو

لتلك القوى أوجد الصور المقدسة والمعابد والطقوس والدراما الدينية، ومثلوا الآلهة بصور مركبة خيالية ثم أعطوها أشكالاً بشرية.

ومن الأشكال الخيالية الممثلة للآلهة، آلهة الغيوم الممطرة «أمدوغود» Imdogud التي مثلوها طائراً اسوداً ضخماً له رأس أسد يزأر وصوته الرعد، يطير بأجنحة ممدودة هائلة الحجم في الجو. كما كان «ننغرسو» Ningirsu ، إله الحرب يمثل طيراً له رأس أسد، يزمجر كالمياه ويندفع نحو البلد المعادي وكأنه العاصفة. ومثل «أوتو» UTU إله الشمس بقرص الشمس، ثم اصبح له شكل إنسان يشع من جسده الضياء. وباو BAU إلهة الكلاب والشفاء كانت تتميز برأس كلب. ولم تعط الآلهة الهيئة البشرية بوجه عام حتى بدأ عصر السلالات الحاكمة وأصبحت الآلهة تقف وراء الأحداث الطبيعية دون أن تكون فيها أو منها أو بشكلها وأعطيت ألقاباً شبيهة بألقاب الحكام والملوك. فكلمة «إن» En تعني «رب أو سيد» أي القوة الموجهة والموحدة للحدث الطبيعي مثل «إنليل» السيد الهواء أي محدثه. ودخلت «إن» هذه في أسماء عدة آلهة منها: إنليل، أنكي، أناماش، أنفارا، أندوكو... إلخ

كلمة لوجال Lugal تعني الرجل العظيم أي ملك وخاصة القائد في الحرب. وقد دخلت في عدة أسماء مثل لوجال بندا، لوجال غيرا، لوجال كيشا، ولوجال زاغيري. ثم صار الآلهة ملاّكاً لأرض واسعة واقطاعات تعود لمعابدها، يديرها كهنوت وعوام كأوقاف الدينية في عصرنا الحاضر. وكحكام للمدن أصبحت الآلهة مسؤولة عن مصالحها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كما كان للآلهة المهتمين بالسياسة والمجتمع «ديموقراطيتهم البدائية» يجتمعون في نيبور برئاسة آنو وإنليل لينتقوا الأمراء والملوك ويقرروا مصائر المدن والحكام ومن سيسقط ومن سيرتفع. هكذا بعد أن كانت الآلهة قوى طبيعية أصبحت قوى تاريخية، ووزعت مهامها الاجتماعية. فربة الولادة نينتو Nintu أعطاها أنكي مهمة زيادة التناسل، ودموزي Dumuzi (تموز) القوة الغريبة في الأغنام التي تصنع الحليب وتضعه في الأثداء أصبح الإله الراعي مهمته العناية بالقطعان والسهر على الحضائر.



وآخر شكل في الديانة البابلية كانت الآلهة القومية متمثلة في مردوخ البـــابلي وأشور الآشوري يرأسان مجمع الآلهة في كل منهما، ويمثلان النـــزاع على الـــسلطة بين مملكتي بابل وأشور بقيادة الملكية المطلقة. لقد بقيت الآلهة القديمـــة و لم يتغيّـــر البانثيون، إنما انحصرت الزعامة في مردوخ أو في أشور وأصبحت باقي الآلهة أدوات في يد الإله الأكبر.

إنليل هو مردوخ القائد في المجالس

نبو هو مردوخ إله الحسابات

سين هو مردوخ ينير الليل

شمش هو مردوخ يقيم العدل

هدد هو مردوخ إله العواصف والأمطار

وبحصر الزعامة وحدت الصفة السياسية للدين وصار الإلـــه مـــسؤولاً عـــن السياسة الخارجية والحرب والقضايا الداخلية والأخلاق والعادات والتقاليـــد. وقـــد أوجد مفهوم الإله الحاكم نوعاً من الورع والخضوع والاتكالية «لا تهتم بمـــشاكل القوة والسلطة، أوكِل أمرك إلى نبو ومردوخ واجعلهما يفتكان بأعـــدائك» هـــذه كانت نصيحة نبوبلاصر لخلفائه. وحتى في الصلوات نرى التائب يزحف مترحماً أمام الآلهة طالباً غفران الخطايا التي ارتكبها دون علمه. وأخيراً أعتقد الناس أن لكل إنسان «إلهه الراعي» أو الملاك الحارس القادر على طرد الشياطين وقوى الشر. فإذا مـــرض إنسان فهذا يعني أنه قد أخطأ نحو الآلهة يدافع عنه إلهه الشخصي أو إلهه الراعي ليمنع عنه شيطان المرض. لذا ألفت المزامير والتسابيح لاستعادة رضى الآلهة ومن هذا الأدب نما الاهتمام بمشكلة الأتقياء الذين تأتيهم المصائب دون سبب ظاهر. فـــلا يجـــدون السبب إلا في قلة فهم الإنسان لإرادة الخالق لأن الإنسان لا يمكنه أن يرى ما تـــراه الآلهة الخالدة، ولا أن يفهم مقاصدها، كما أنه «لم يولد طفل لأم بلا خطيئة»

هذا النوع من الأدب الديني الذي نجده في سفر أيوب من العهد القديم حيث يصاب الإنسان الصالح بالكوارث بفقدان رزقه ثم أولاده ثم يصاب بجسده فيذ...

المرض دون أن يدري ما السبب فيدور حوار فلسفي بينه وبين أصدقائه ويحافظ على وفائه لخالقه وتمجيده لاسمه قائلاً: «الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً». وأخيراً يرضى الله عنه بعد محنته ويتحنن عليه ويرد له الخير والصحة. هذا الأدب يمثل فلسفة عميقة أقلقت عقول البشر لكن قصة وفلسفة سفر أيوب قد سبقهما نصان قديمان أحدهما سومري والآخر بابلي يمثلان نفس الحكمة...

الإنسان وإلهه «لولو نماه دنجيره»

هذه القصيدة وجدها بعثة جامعة بنسلفانيا في مدينة نيبور ١٦٠ كم جنوب بغداد وتتألف من ١٣٩ سطراً مدونة على ستة ألواح، أربعة منها في متحف الجامعة في بنسلفانيا واثنين في متحف الشرق القديم في استانبول وقد جمع ما أمكن من الألواح الستة.

إن أهمية القصة السومرية تكمن في كونها أول محاولة مدونة للإنسان في معالجة موضوع العذاب والخضوع الذي اشتهر في الأدب الديني في العالم كمثل سفر أيوب، رغم أنها دوّنت قبل سفر أيوب بألف عام. ويرى الشاعر السومري أن ليس للضحية المعذب مهما تراءى له أنه لا يستحق ما حلّ به، سوى سبيل واحد لائق يسلكه وهو أن يمجد ربه دوماً ويتابع البكاء والتضرع والاستغفار منه حتى يستجيب له. وذلك الإله هو الإله الشخصي الذي يرعاه ويحميه ويشفع له في مجلس الآلهة.

يعرض الشاعر قصة رجل لم يذكر اسمه، كان غنياً موسراً حكيماً وصالحاً ينعم بصفاء العيش مع الأصدقاء وذوي القربى. ثم أحدقت به المصائب والأسقام فلم يجدف أو يعترض على الله بل توجه إليه بذلة وخضوع وناح وذرف الدموع وتضرّع فسرّ إلهه لذلك وشمله برحمته واستجاب لصلواته، فخلصه من بليته وأحال عذابه إلى فرح وسرور. وبعد أن يحثّ الشاعر الإنسان على التزام تمجيد ربه وابتغاء رضاه بالتضرع والتوبة يقدم قصة الرجل المجهول ثم التماسه المغفرة:

«إنني رجل عارف مدرك، لكن الذي يحترمني لا يفلح



لقد تحولت كلمتي الصادقة كذبا

لقد اكتنفني الرجل المخادع بــ«الريح الجنوبية» وأنا مكره أن أخدمه

والذي لم يوقرني قد أخزاني أمامك...

لقد غَمَرْتَني بالعذاب المستديم المتجدد،

أدخل البيت وأنا مثقل بالأحزان،

وأخرج إلى الشوارع وأنا معذب القلب،

لقد غضب عليَّ راعيَ الصالح الصنديد ونظر إليّ نظرة العداء...

لقد ساق عليَّ راعيَ قِوى الشر أنا الذي لست عدوه

وصاحبي لا يقول لي كلمة صدق

وصديقي يقول عن صدقي أنه كذب وزور،

لقد تآمر عليّ الرجل المخادع

وأنت يا إلهي لا تحبط مسعاه...

أنا الحكيم لم أقيد مع الأحداث الجهلة؟

أنا المدرك لم أحسب مع الجهال؟

الطعام وفير في كل مكان ولكن طعامي الجوع

في يوم «القسمة» كان نصيبي العذاب والألم

يا إلهي أريد أن أقف بين يديك

أريد أن أكلمك ... وكلمتي أنين وحسرة

أريد أن أعرض عليك أمري وأندب مرارة سبيلي

أريد أن أندب اضطراب نفسي

على أمي التي ولدتني أن لا تكف عن الرثاء لي أمامك

لتكف أختي عن الترنم وترديد الأغنية السعيدة

ولتبكِ وتَنُحْ بمصائبي بين يديك

لتصرخ زوجتي بالرثاء لعذابي



وليندب المغني الماهر نصيبي التعس
يا إلهي يشرق النهار نيّرا على البلاد لكن نهاري مظلم
الدموع والنواح والجزع والغمّ ملازمة لي
يحدق بي العذاب كمن لم يقدر له سوى الدموع
الحظ السيئ يمسك بي ويسلبني حتى نفس الحياة
والمرض الخبيث يعم جسدي...
يا إلهي، يا من أنت أبي الذي ولدني أرفع وجهي...
كالبقرة البريئة يعطف (اصغ) لأنيني.
إلى متى ستهملني وتتركني بدون حمايتك
إلى متى ستتركني بدون هدايتك؟
لقد قال «الحكماء الصناديد» كلمة حق وصدق
لم يولد لأم طفل بلا خطيئة
والطفل البريء لم يوجد قط منذ القدم
إن ذلك الشاب قد استرضى نواحه قلب إلهه
وتقبّلَ منه إلهه كلماته الصادقة الطاهرة
إن الكلمات التي اعترف بها الرجل في صلاته
قد أفرحت... لحم إلهه فسحب يده من كلمة الشر
لقد طرد شيطان المرض الذي نشر عليه جناحيه
والمرض الذي ضربه به قد أزاله وبدده
وبدل مصير السوء الذي قدر عليه بموجب حكمه
وبدل عذاب الرجل فرحاً وحبوراً
وأقام إلى جانبه الملاك الحارس ليحميه ويحرسه
زوده... بملائكة سيماؤهم خيره...»



وقد روى نفس القصة شاعر بابلي بعنوان: «لود لول بيل نمقي» (سأمجد رب الحكمة) حيث ينتهي الرجل الثري المصاب بأن يشفق عليه مردوخ وينقذه من آلامه.

سأمجد رب الحكمة (لود لول بيل نمقي)

نظرت خلفي فإذا الصعاب تطاردني،

وكان ما من قربان قدمت لإلهي،

أو لم يسمع باسم إلهتي عند الطعام،

وكأني لم أخرّ على وجهي راكعاً

وكأن سجودي لم يكن للعيان واضحاً

أو كامرئ خرس لسانه وسدّ فوه عن الترجي والصلاة

وابطل الأعياد وأهمل التضحيات

كذلك الذي لم يناج ربه حتى وهو يلتهم طعامه

تاركاً ربته دون أن يقدم لوحاً لها.

مقسماً بإلهه المقدس بكل خفة وبساطة

هكذا ظهرت أنا

ولكنني لا أفكر إلا بالتوسل والصلاة

لقد كانت الصلاة إحساسي والقربان واجبي بالحياة

كان يوم تقديس الإله رغبتي القلبية

وعرس ربتي لي ربح وغنى وحمية

كانت الصلاة من أجل الملك... لي فرحة

والعزف على الأوتار ... لي رغبة

إن ما يبدو للإنسان خيراً هو عند الله محتقر

وما يهمل في قلبه هو عند الله خير



من يعلم إرادة الآلهة في السماء

من يفهم خطط الآلهة في العالم السفلي

متى يعلم الناس طرق الآلهة

كيف يستطيعون الإحاطة بتغير إرادتها

فمن عاش بالأمس قد أصبح اليوم ميتاً صريعاً

لقد أظلم فجأة وانسحق سريعاً

في لحظة ما تراه يغني ويلعب

لتجده بعدها في «النو» يولول كالأم الثكلى

وكما تتبدل الضياء والظلمة هكذا تتغير الإرادة

هذه الأشياء تذهلني ومغزاها فوق إدراكي...



تنظيم العبادة في بابل

لقد نظر السومريون والبابليون والأشوريون إلى آلهتهم كما ينظر الخدم إلى أسيادهم الصالحين، بخضوع وخوف، وأيضاً بإعجاب وحب. وواجب الملوك والرعايا إطاعة الأوامر الإلهية وخدمة الآلهة. وبينما كانت إقامة الاحتفالات الدينية والطقوس المعقدة من عمل الكهنة كان من واجب كل إنسان أن يرسل التقدمات إلى الهيكل ويحضر الاحتفالات الدينية ويهتم بشؤون الموتى وأن يصلي ويستغفر وأن يعيش وفق المحللات والمحرمات المتبعة كل حياته، وإلا سقط في الخطيئة، لكن التقدمات والأضاحي وممارسة الطقوس لم تكن كل متطلبات الآلهة من سكان بابل. فمن أراد أن ينال رضى الآلهة عليه أن يعيش حياة صالحة مثل الآباء الصالحين والأبناء البررة والجيران والمواطنين الصالحين وكان صادقاً رحوماً محباً وعادلاً.

تقول حكمة بابلية:

«اعبد إلهك كل يوم» ... لكنها أضافت

«كن رحيماً مع الضعفاء

ولا تهن منكسري القلوب

ليكن رائدك الخير والخدمة كل أيامك

لا تتلفظ بذم، بل قل ما هو حسن

وامتدح الناس، ولا تذكرهم بسوء».

كذلك دعت نصائح خلقية رفيعة:

«لا تسئ إلى خصمك

أحسن إلى من يسئ إليك

عامل عدوك بالعدل

التقوى تولد السعادة



وتقديم القرابين يطيل الحياة

والصلاة تكفر عن الذنوب ...».

من هذا نرى أن الديانة في بابل لم تكن طقوساً مجردة يمثلها البابلي أمام إلهه بل كانت أخلاقاً وقيماً وعلاقات حسنة مع باقي الناس وهذا ما نجده أيضاً في مزامير التسبيح والابتهالات ولكن كيف نظمت العادة الطقسية؟

بنى البابليون المعابد أو بيوت الآلهة وسموها «بيتو» وكانت تختلف من حيث الحجم والمظهر الخارجي، بعضها صغير جداً وبعضها كبير مؤلف من دار واسع محاط بغرف كثيرة، يحوي مذبحاً ومصطبة يوضع عليها تمثال الإله كما بنيت المعابد الكبرى لكبار الألهة. ولم تعد الهياكل بتلك البساطة التي تميزت بها هياكل السومريين المصنوعة من غرف بسيطة بنيت بالطين واللبن والقرميد والقصب وأصبحت هندستها أكثر تعقيداً وفيها أماكن لجمهور المصلين وأماكن خاصة بالكهنة أو كبارهم وربما بدأ مع الساميين ذلك التقليد الديني القائل بأن كبار الآلهة «تتعامل مع عبادها عن طريق الوسطاء من مختلف المراتب الكهنوتية».

وأعظم المعابد كانت «الزيقورات» والزيقورة برج هرمي مدرج بني كمعبد في المدن الرئيسية في ما بين النهرين بين ٢٢٠٠ و ٥٠٠ ق.م. ويعرف منها ٢٥ زيقورة في سومر وبابل وأشور واثنتين في عيلام.

تبنى الزقورة من اللبن والقرميد وتكون قاعدتها مربعة ٥٢ × ٥٢ م، أو مستطيلة ٥٢ × ٣٨، ولم يبق سوى زقورة واحدة بارتفاعها الأصلي. وأكثر الزقورات محافظة على بنائها هي زقورة أورم وأكبر زقورة في شوجازميل في عيلام بارتفاع ٢٤ متراً وقاعدة مربعة ١٠٢ × ١٠٢ م، أشهر الزقورات برج بابل ذو الطبقات السبع والذي بناه نبوخذنصر. لم تكن الزقورة تحوي تماثيل كالمعابد الأخرى على افتراض أن الالهة أو الإله كان يأتي شخصياً إلى بيته المقدس في أعلى الجبل. أي الطابق العلوي في الزقورة.



لقد كان ملوك ما بين النهرين يتفاخرون في كتاباهم بعدد المعابد التي شيدوها أو رمموها حتى قيل إن مدينة بابل وحدها والتي تقدر مساحتها بـ ٥٠٠ فدان وسكانها بنحو ١٠٠ ألف نسمة كان يوجد فيها ١١٧٩ معبداً. أعظم تلك المعابد برج بابل «إي- شمن – ان – كي) أي «معبد أسس السماء والأرض».

هذه الزقورة الضخمة التي وجدت مع مدينة بابل خربها سنحاريب فأعاد بناءها نبوبلاصر وابنه نبوخذنصر، و لم يبق منها الآن سوى الأساسات بعد أن بلغت بطبقاتها السبع نحو ٦٦ متراً وضلع قاعدتها نحو ١٠٠ متر وفي قمتها كان مقام (شاهورو) مردوخ.

بوجه عام كان المعبد يتألف من دار واسع (كيسلماخو) محاط بغرف صغيرة فيها مكتبات ومساكن ومدارس الكهنة ومكاتبهم ومشاغلهم ومخازنهم واسطبلاتهم. وفي الأعياد الكبيرة كانت تستحضر تماثيل الآلهة من معابدها إلى هذا الدار. وأما في الأيام العادية فكان يؤمها الناس كافة بمن فيهم التجار الذين كانوا يعرضون بضاعتهم على الحجاج المؤمنين الآتين للعبادة وتقديم القرابين والنذورات وهذا ما كان يحدث في هيكل أورشليم أيضاً عندما طرد السيد المسيح الباعة والصيارفة من الهيكل قائلاً لهم: «مكتوب بيتي بيت صلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص».

إلى جانب الدار الكبيرة كانت دار صغيرة في وسطها مذبح ثم الهيكل ذاته (اشيرتو) و لم يكن يسمح إلا لمرتبة معينة من الكهنة تدعى «أريب بيتي» بالدخول إليه. وكان المعبد مقسماً بقواطع لثلاث قاعات متتالية آخرها «قدس الأقداس» الذي كان يضم تمثال الإله صاحب الهيكل، وكان التمثال يصنع من الخشب المغطى بطبقة من الذهب ويوضع في مكان خاص في جدار قدس الأقداس وعند قدميه الزهور والمباخر وقرب الجدران مصاطب من القرميد تنتصب عليها تماثيل باقي الآلهة كما كان في الهيكل درجتان للمذبح وطسوت الغسل ومائدة الأطعمة المقدسة، بعض المواد كانت ثمينة مثل خشب الأرز الذي استعمل أعمدة لحمل السقف وخشب الأبواب كان يغطى بصفائح من النحاس أو البرونز وتحرس المداخل تماثيل الأسود



والثيران المجنحة والجن. وفي زوايا البناء تماثيل صغيرة تمثل الملك الذي قام بتشييده أو ترميمه. وكانت هذه التماثيل بمثابة تعاويذ تحميه من شياطين العالم السفلي.

كل يوم على مدار السنة كانت تقام الاحتفالات الدينية فيهتز الأثير بأنغام الموسيقى والتراتيل والصلوات ويصفّ الخبز والكعك والعسل والزبدة والفواكه على مائدة الآلهة، كذلك الماء والنبيذ والبيرة وتسيل دماء الأضاحي على المذابح وتختلط أدخنة اللحوم المشوية بدخان خشب الأرز والسرو والبخور. كل هذه الطقوس قصد منها خدمة الآلهة والتذلل أمامها كالعبد أمام السيد برهبة تمتزج بالحب والاحترام.

لقد تصور البابليون آلهتهم وكأنها تعيش حياة مادية فهي بحاجة لأن تغسل يومياً وتدهن بالزبيب والطيب وتلبس وتأكل ويُؤمِّن هذا الطعام واللباس عن طريق القرابين وهبات الملك وهو رئيس الكهنة. وفوق العبادة اليومية كانت بعض الأيام مقدسة كيوم ظهور القمر ويوم اختفائه وعيد رأس السنة (أكيتو) وقد أحيته بعض المدن في الربيع، في بدء شهر نيسان (نيسانو) وفي الخريف في شهر تشرين (تشرينو أو قوزللو) أي كل ستة أشهر.

مراتب الكهنة

كان الكهنة يقومون بدور الوسيط بين الآلهة والبشر. فهم أكثر علماً من غيرهم كيف يقترب الإنسان من خالقه. ومن أجل الحزانى والمرضى والخطأة التائبين كانوا يقدمون القرابين ويتلون الصلوات والمراثي وينشدون التراتيل والمزامير، ولكون الكهنة يعلمون بالغيب كان الملك والرعايا يسترشدون بتنبؤاتهم عن طوالعهم، وكان الملك يتجنب سوء الطالع بتقدمة بديل بشري عنه، وهناك مثلان جديران بالذكر هنا:

أولهما أن «أدا- امتي» اغتصب المُلك في ايسين (١٨٦٨- ١٨٦١ ق.م.) ولما تنبأ له العرافون بسوء المصير وغضب الآلهة عليه، اختار رجلاً من عامة الشعب وهو البستاني «إنليل- باني» أن يكون بديلاً يجلس على عرش إيسين مئة يوم ثم يقتل بدلاً عنه فيموت «الملك البديل» عوض الملك الحقيقي ولكن لم تنجح حسابات

«أدا – أمي» بل مات في قصره لأنه شرب الشوربة وهي تغلي وأصبح البستاني «إنليل- باني» ملكاً حقيقياً من (١٨٦٠- ١٨٣٧ ق.م.)

وفي أيام أشور بانيبال ملك أشور (٦٦٨- ٦٣١ ق.م.) تنبأ له العرافون بسوء الطالع فكان عليه أن يتهرب من الموت باختيار «ملك بديل» وكأنه يخدع الآلهة بموت البديل، فاختارت عرّافة ما شابا يدعى «دمقي» وزوجوه بإحدى وصيفات القصر وعينوهما ملكاً وملكة لفترة وجيزة ثم قتلوهما، وهكذا «نجا أشور بانيبال» من الموت حسب معتقدات سكان الرافدين وذلك بموت بديل عنه.

في الأصل كانت الصلوات والتراتيل تتلى باللغة السومرية، لكن السلالة البابلية الأولى (السلالة الأمورية التي منها حمورابي) أدخلت اللغة الأكادية السامية إلى المعبد، وفي بعض التقاليد كانت الصلاة «توشوش» في قصبة في الأذن اليمنى لثور ما بالسومرية وفي أذنه اليسرى بالأكادية. وكان الكهنة يقومون بأعداد كبيرة بخدمة المعابد الكبرى ويترعرع أبناؤهم وأحفادهم فيها، ويدرسون في مدرسة المعبد المسماة «بيت مومي» أي بيت المعرفة. وهذه مراتب الكهنة:

١- إنّو : هو رئيس الكهنة.

٢- أوريكال: الحاجب وحارس المعبد وبواباته.

٣- مشماشو: هو الكاهن الذي ينشد التراتيل.

٤- بشيشو: الكاهن الذي يدهن الآلهة بالزيت ويرتب موائدها.

٥- كالو: الكاهن الذي ينشد المراثي ويقوم بالمراسيم الجنائزية.

٦- آشيبو: الكاهن المعوّذ الذي يطرد الشياطين.

٧- بارو: الكاهن الذي يفسر الأحلام وينبئ بالمستقبل والـ«بارو» أو الكاهن المتنبئ يجب أن يكون من اصل شريف ونسب قديم وأن يكون آباؤه وأجداده من الكهان.

وهي أمور لا تشترط في المعوّذ، وعليه معرفة إرادة الآلهة.



والـ«أشيبو» المعوّذ حين يقوم بالتعويذة إنما ينوب عن الإله آيا وابنه مردوخ، لذا يسمى «الأشيبو» نفسه «رجل آيا» و«عبد آيا» و«رسول أيا ومردوخ» وكانت مدينة أريدو الموطن القديم لعبادة «آيا» ولهذا كان يقال إن الأشيبو ولد في المدينة وأنه «مظهر عبادة أريدو» والآشيبو ليس رسول آيا وحسب بل هو متحد معه، وقد حلّ آيا فيه ولهذا يقول في إحدى التعاويذ عن إلهه آيا:

«وضع تعويذته الطاهرة في تعويذتي،

وضع فمه الطاهر في فمي،

وضع لعابه الطاهر في لعابي،

وضع بركته الطاهرة في بركتي».

كما يقول الآشيبو في تعويذة أخرى:

«انظر إليّ يا (آيا) يا ملك المياه العميقة

أنا الآشيبو عبدك

تعال إلى يميني وأسرع إلى شمالي

ضع تعويذتك الطاهرة في تعويذتي

ضع فمك الطاهر في فمي

اجعل كلامي الطاهر طيباً

اجعل كلمة فمي شافية

مر بأن تكون طقوسي طاهرة

كن الشفاء حيثما ذهبت

وليحل الشفاء بمن ألمسه»

وحلول الإله «آيا» في الآشيبو يقابله ارتباط الشيطان بالمريض الذي يعالجه الآشيبو بالتعاويذ فيقول الآشيبو في إحدى التعاويذ مخاطباً الشيطان:

«لا تقترب من الرجل (المريض) ابن إلهه ولا تمل إليه
لا تضع رأسك فوق رأسه،
لا تضع يدك فوق يده،
لا تضع قدمك فوق قدمه،
لا تلمسه بيدك
لا تلفت عنقك نحوه
لا ترفع عينيك إليه
لا تنظر خلفك
لا تتلفظ بشيء عنه
لا تدخل البيت.»

والشيطان لا يكتفي بالتسلط على المريض ولكنه يلازمه طول حياته، ولهذا يقول الآشيبو في ختام إحدى تعاويذه مخاطباً الشيطان:

«أخرج من وسط البيت
لا تقترب من الرجل (المريض) ابن إلهه ولا تمل إليه
لا تجلس معه فوق كرسيه
لا تسترح فوق سريره
لا تصعد معه إلى سطح بيته،
لا تدخل معه إلى بيته...»

وكانت هناك مراتب دنيا من الكهنة بالإضافة إلى المغنين والموسيقيين والفنانين والخدم والعبيد ثم نساء المعبد، وكانت رئيسة الكاهنات تدعى «أنتو» وتكون عادة من العائلة المالكة، يليها الكاهنات «نديتو» ويسمح لهن بالزواج دون إنجاب الأولاد ما دمن داخل المعبد، وكن من الطبقة العليا.



وبعد الكاهنات تأتي المراتب الدنيا من النساء اللواتي وهبن أنفسهن «للبغاء المقدس» و لم يكن هذا بالشيء المشين كما هو في أيامنا.

كل هؤلاء الناس أقاموا في حظيرة المعبد من أراضيه ومن الهبات والتجارة والصيرفة ومن «المذبح». وكانوا يتدخلون في حياة الدولة والأفراد، حتى أنهم في بعض الحالات تسلطوا على الدولة واستغلوها كما حدث في «لكش» مما اضطر «أوركاجينا» إلى الانتفاضة ضدهم واصدار اصلاحاته، وهكذا ومع الزمن حدث تطور هام في الميدان السياسي والاقتصادي، إنه انتقل مركز الثقل من المعبد إلى القصر.



الشياطين

كانت حياة أهل بابل وآشور تكتنفها دائماً مخافة الشياطين وعمـــل آشـــينو وتعاويذه على طردها. فقد اعتقدوا بها وتصوروها مخلوقات عجيبة يمكن أن تتخذ أية صورة وتنفذ في الأجسام وتفضل الأماكن المهجورة والمظلمة والخرائب والمدافن ولها أصوات خاصة وقد صوروها في فنهم بأجسام الأنس ورؤوس الحيوانات أو خلـــيط من أعضاء حيوانية مختلفة جمعت على شكل رهيب. وكان الـــشياطين في الغالـــب أرواحاً شريرة صعدت من جوف الأرض بعضها من أرواح الموتى الأشرار التي تصعد لتنتقم وتهاجم البشر وتضاعف الكوارث ولا عاصم للانسان منها ولو كان صـــالحاً وربما اتصل بأحدها من غير قصد.

لكن الخطيئة كانت أهون سبيل يستطيع به الشيطان الدخول لجسم الإنـــسان ومن الخطايا إهمال الطقوس الدينية والسرقة والقتل وإذا أذنب الإنسان تخلى عنه إلهه الحارس فيصير طريقه مفتوحاً للشياطين تدخل جسمه وتعبّر عن وجودها بالمرض أو الأحلام المفزعة أو الجنون أو العاهات النفسية كسماع الأصوات الغريبة في البيت

وكان شيطان الحمى أهول الشياطين منظراً، فقد كان له رأس اسد واســـنان حمار وأطراف نمر أرقط صوته زئير، يمسك بيديه أفاعي هائلة وكان كلـــب اســـود وخنـــزير يداعبان ثدييه، فكان المريض صاحب إثم و«مسكون» من أحد الشياطين، أما شيطان الرأس الذي يسبب الصداع فيسمى «أشكو» وكان الأشيب أو الكاهن المعوّذ يتولى طرد الشياطين كما مر ويكتب التمائم.

وعلى تميمة بابلية برز الشيطان من ظهره بجناحيه وأطرافه ورأسه وهي تمـــت كلها إلى عالم الحيوان. أما وجهه المروع فيبدو في أعلى وجه التميمة كذلك تـــرى تحت رموز الآلهة «شياطين الحمى السبعة» وفي الوسط يرقد المريض علـــى فراشـــه، يحيط به الكهنة بملابسهم التقليدية وفي أسفل التميمة ترى الشيطان وقد طـــرد مـــن الجسم ولاذ بالفرار وكان قوام التعويذة تلاوة عبارات سحرية مع أداء طقوس معينة



ووصف المريض لكربه وآلامه وأمله في الغفران وكان يرش على المريض «ماء مقدس» وتلقى قطع لحم ليمسك بها الشيطان فيفك قبضته عن جسم المريض.

وفي مداواة لسعة العقرب، كانت تتلى الرقى فوق الجزء المصاب ثم يأخذ المريض من فمه سبع حبات قمح مع بعض الأعشاب ويمضغها معاً ثم يذهب إلى النهر ويغطس فيه سبع مرات وفي المرة السابعة يبصق ما في فمه في الماء.

والتعاويذ نوعان «مثلو» و«شربو» أي الإحراق وذلك لأنه كان يصحب الرقي احراق شيء ما على سبيل السحر، ومن شياطين العالم السفلي «نمتار» أي القدر وزير ارشيكيكال ملكة العالم السفلي ورسولها يسبب الأمراض والأوبئة ويقبض أرواح الناس كعزرائيل. ومن شياطين العالم السفلي أيضاً سبعة رافقوا عشتار عند خروجها من الجحيم وقد وصفتهم القصيدة هكذا:

«إن الذين رافقوا أنانا «عشتار»

كانوا مخلوقات لا يعرفون الطعام ولا يعرفون الماء

فلا يأكلون من الطحين المبسوس

ولا يشربون ماء القرابين

لا يتمتعون في حضن امرأة

ولا يقبلون الأطفال الأصحاء

إنهم يأخذون الزوجة من أحضان زوجها

ويأخذون الرضيع من ثدي أمه

إنهم يأخذون ابن الرجل من فوق ركبتيه

ويسلبون الكنة من بيت أبي زوجها...».



البانثيون السومري

إن مجمع الآلهة السومري موسع جداً يضم ٣٠٠٠- ٤٠٠٠ إلهاً مبتدئاً كالبحر الأول «نمو» أم الخليقة. وأهمهم:

آنو Anu: أبو الآلهة ورئيسهم وابن «نمو» أم الخليقة، ولدته مع مرور الـزمن وتمدد على شكل قوس من قطب إلى قطب فصار السماء وإله السماء. هو رئـيس الثلاثي آنو، وإنليل، وأنكي أي السماء والهواء والأرض. وفي علم الفلك الـسومري أصبح الثلاثة يمتلكون المدارات الثلاثة، رقمه الرمزي ستون (٦٠) الذي أصبح رقماً مقدساً وأساساً للحساب الستيني في قياس الزمن والدائرة. فالساعة سـتون دقيقـة والدقيقة ستون ثانية والدائرة ٣٦٠ درجة «٦٠ × ٦» والدرجة ستون دقيقة ... إلخ حيوانه الرمزي «الثور الضخم» الذي هو رمز كبار الآلهة مثل أبيل وزفس ويملـك «ثور السماء» من هذا الرمز نرى أنه كان في الأصل من آلهة الرعاة وخاصة رعـاة البقر.

لم يوصف آنو بقوة معينة بل أصبح مرادفاً «للسماء» فقط ويعـني «العلـي» مركز عبادته الرئيسي في مدينة أوروك مع ابنته «إنانا» (عشتار الزهرة) لكنه ليس إله مدينة معينة، سميت له قرينة باسم «انتوم» على افتراض أن لكل إله زوجة وهـي في الحقيقة«عشتار آنونيتو» أي «عشتار السماوية» ملكة السماء وكأب للآلهة كـان يترأس الاجتماعات السماوية ويمنح المناصب الكبرى كالملك والإمارة، له الجـلال والسلطة العليا، وقد حلّ مكانه «إنليل» في رئاسة الآلهة فيما بعد.

إنليل Enlil: ابن آنو، وإله الهواء والرياح، ولد من اتحاد آنو وكـي (الأرض) وفصل بينهما. والريح بالنسبة لسكان ما بين النهرين ليست العاصفة العاتية المـدمّرة بل الريح الرطب المحيي الذي يجلب معه الأمطار فيسقي الصحاري والحقول ويزيدها خصباً وخضرة، وفي الصيف يساعد تذرية الحبوب على البيادر. قرينة إنليـل هـي «نينليل» Ninlil آلهة الحبوب وابنتهما آلهة الشعير وابنهما «نانا» (سين) إله القمـر. وإنليل هو إله مدينة نيبور حيث يترأس مع آنو مجامع الآلهـة في بلاطـه المـ

«إيشواوكينا» ولكونه ملك كل البلدان فهو يمنح مع أبيه آنو المناصب العليا كالملك والإمارة كلمته هي الريح التي تنفذ مقررات المجمع الإلهي، فإذا قررت الآلهة تدمير مدينة ما نفخت «كلمة» إنليل كالعاصفة ودمرتها إن «كلمته» تهزّ السماء وتزلزل الأرض.

لقد عُظّم إنليل فنُظمت له التراتيل الدينية ونُسجت حول اسمه الأساطير التي منها «خلق المعول» وأسطورة إنليل ونينليل وكيف خطفها وذهبا إلى العالم السفلي واتحدا وأنجبا «نانا» إله القمر السومري وغيره من الأساطير.

ونعرف من هذه الأساطير والتراتيل أن «إنليل» كان يعدّ إلهاً محسناً رحيماً ويعزى إليه تدبير وخلق أهم العناصر المنتجة في الكون يخرج النهار وجميع البذور والأشجار من الأرض ويحب البشر بعطفه ورحمته ولأنه حمل الخير والبركة إلى البلاد، صنع المحراث والفأس لتكون النماذج الأولى للآلات الزراعية التي ينبغي للإنسان استعمالها، إنه يتحلى بالحنو الأبوي ويعنى بسلامة جميع البشر وخيرهم ولا سيما أهل بلاد سومر. وهذه مقاطع من ترتيلة إلى إنليل مؤلفة من ١٧٠ سطراً :

«إنليل ذو الأمر الواسع المدى الذي كلمته مقدسة،

الرب الذي لا يبدل كلامه، الذي يقدّر المصائر إلى الأبد،

الذي تبصر عيناه المتفرستان جميع الأقاليم،

الذي يتغلغل نوره المتعالي في قلب جميع البلدان،

إنليل الذي يجلس مالئاً المنصة البيضاء الذي يتبوأ المنصة السامية

الذي يحكم إرادات القوة والسيادة والإمارة،

آلهة الأرض تسجد خشية ورهبة،

وتتذلل آلهة السماء أمامه»

«مدينة نيبور ذات مظهر يبعث الخوف والرعب

الضالون والأشرار، الظالمون والنمامون،



المتجبرون والناكثون للعهد، جميعهم لا يقر شرهم في المدينة

والشبكة العظمى، لا يدع الأشرار والظالمون يفلتون من شراكها».

نيبور هي المزار حيث يسكن «الأب» (الجبل الأعظم)

منصة البركة والخير في معبد «ايكور» الذي يعلو،

الطود الشامخ، الموضع المطهر،

أميره (الجبل العظيم) (الأب إنليل).

قد أقام مجلسه على منصة (إيكور) المزار السامي

المعبد الذي لا ترد ولا تبدل نواميسه المقدسة مثل السماء.

شعائره ومناسكه المطهرة مثل الأبرص لا يمكن محوها

إن نواميسه المقدسة كنواميس (العمق) ما من أحد يستطيع إدراكها

وقلب المعبد كالمزار القاصي وسر خفي كسمت السماء

كلماته صلوات

مناسكه ثمينة غالية،

أعياده يجري فيها السمن واللبن وهي غنية بالخير العميم

مخازنه تجلب السعادة والأفراح

(بيت إنليل) إنه جبل الخير العميم..»

«آل ايكور، بيت اللازورد المسكن السامي الذي يبعث الرعب في القلوب

إن رهبته وخشيته لتضاهيان السماء

كل الأسياد والأمراء يأخذون إليه الهدايا والقرابين المقدسة

يقيمون الصلوات هناك ويتلون الدعوات والتضرعات

«أي إنليل... إن الراعي الذي شملته بعين رضاك

ودعوته ورفعت شأنه ومقامه في البلاد



هو الذي يقهر البلاد الأجنبية ويطرحها أرضاً في القتال

فيجلب القرابين من كل مكان والأضاحي

والقرابين من الغنائم الكثيرة

وفي المخزن

وفي الأبهاء المرتفعة يأتي بقرابينه

إنليل الراعي الخليل الدائم الحركة

هو الراعي القائد لكل حي

لقد أوجد إمارته ووضع التاج المقدس على رأسه».

«في السماء هو أميرها الأول وعلى الأرض هو عظيمها وكبيرها،

وبين الأنوناكي هو ربها العظيم

وعندما يُقدّر المصائر وهو في جلاله ورهبته

لا يجرؤ إله على أن ينظر إليه

بل إلى وزيره المبجل إلى صاحبه «نسكو»

يبلّغ أمره ويعلن كلمة قلبه

يكشف عنها ويبلّغها

حيث ينيط به تنفيذ أوامره الشاملة لكل شيء

إنه يأتمنه على جميع الأوامر المقدسة وجميع النواميس المقدسة»



لولا إنليل

لولا إنليل، الجبل العظيم،

لما بنيت المدن، ولا أقيمت المستوطنات،

لما بنيت المرابط ولا أقيمت الحظائر،

لما أقيم ملوك ولا ولد كبار الكهنة،

ولغدا العمال وليس عليهم رئيس ولا مشرف

لولاه ما جلبت الأنهار مياه الفيض والارواء

لولاه ما وضعت الأسماك بيوضها في أدغال القصب

ولما بنت أطيار السماء أعشاشها في الأرض الموحشة

لولاه ما جاءت سحب السماء السائرة بمياهها

ولما نمت النباتات والأعشاب تزهو بها السهول

ولا أقبلت الحبوب الوفيرة في المروج والحقول

ولما أعطت الأشجار في غابة الجبل ثمارها.»



إنليل يعطي الفأس للإنسان

«فصل إنليل الأرض عن السماء

ليجعل المخلوقات الناشئة تنمو

صنع الفأس وكان نهار،

وأودع الفأس والسلة

الحول والقوة ومجد إنليل فأسه

وفرض العمل وقرر المصائر

وبمحضر الأنوناكي الذين أحاطوا به،

وضعها منحة في أيديهم

لقد صلوا وسبحوا إنليل

وأعطوا الفأس إلى البشر ليعملوا بها...»



إنكي ENKI

هو الإله الثالث في ثلاثي آنو، إنليل، أنكي. إله المياه العذبة في العمق والأنهر والبحيرات والمستنقعات. وإله مدينة (أريدو). عرف بحكمته العظيمة فلقب بـ«السيد ذو العين المقدسة» كان رمزه الوعل ثم أعطي شكلاً بشرياً. كان اسمه القديم «أبسو» أي المياه الجوفية، واسم أنكي يعني «سيد الأرض» وبسبب قدرة الماء على التنظيف أصبح «إله الوضوء».

والده إنليل وجدّه آنو وزوجته «دامغالتونا» «زوجة الأمير العظيمة» وهو (آيا) عند الساميين وهي عندهم «دامكينا» أوكل إليه إنليل تعليم الإنسان أساليب الحياة وتنظيم شومر (سومر). فإنليل يضع الخطط العامة وأنكي المدير الحكيم ينفذ التفاصيل، علّم الإنسان الفلاحة والزراعة وبناء أكواخ القصب، وكدن الثيران وزرع الحبوب وبناء الصوامع ورعي الماشية وبناء الحظائر، كما علم الإنسان جبل القرميد وشيّه وبناء المساكن وأوكل آلهة صغاراً لتنظيم ذلك.

وفي قصة الطوفان علم أنكي الملك الصالح «أوتنابشتيم» (زيوسودرا) أن يبني فلكاً وينجو به. و«نعمة الفهم» عند حمورابي تعزى إلى أنكي العظيم. ورغم حكمته سكر أنكي مرة فسرقت منه أنانا مئة تشريع سماوي، كما أخطأ أنكي في قصة أدابا أو «سقوط الإنسان» فأفقد الإنسان الحياة الأبدية.

ومن الأساطير التي حيكت حوله «أسطورة دلمون» وفيها أوجد عدة آلهة منها «آتو» العنكبوت آلهة النسيج. وأسطورة «أنكي ونينماخ» وتحكي عن خلق الإنسان. و«أنكي ينظم سومر» وبما أنه إله المياه والحكمة ومعلم البشر فقد صوروه رجلاً بجسم سمكة، يعلّم الناس في النهار وينزل في البحر ليقضي الليل.

أنكي ينظم سومر

يا «سومر» أيها البلد العظيم بين جميع بلدان العالم

أنت مغمورة بالنور الثابت الراسخ الذي ينشر



من مطلع الشمس إلى مغربها، النواميس الإلهية بين جميع الناس

إن نواميسك المقدسة نواميس سامية لا يمكن إدراكها.

قلبك عميق لا يسبر غوره،

المعرفة الصحيحة التي تأتين بها، .. كالسماء لا يمكن أن تمس

الملك الذي تلده متوّج بالتاج الأبدي

والسيد الذي تنجبه يصنع التاج على رأسه إلى الأبد

سيدك مبجل، وملكك يجلس مع آنو على المنصة السماوية

إن ملكك هو «الجبل العظيم» هو «الأب إنليل»

والأنوناكي الآلهة العظام

اتخذوا مواطنهم في وسطك

وفي أحراشك الكبيرة يأكلون طعامهم.

فيا بيت سومر عسى أن تكثر حظائرك وتتضاعف أبقارك

عسى أن تكون حظائر أغنامك وفيرة وماشيتك لا عدّ لها.

عسى أن ترفع معابدك الثابتة أيديها إلى السماء،

وعسى أن يقدر الأنوناكي المصائر في وسطك.

لقد أتى أنكي إلى (أور) إلى المزار

أنكي (ملك العمق) يقرر مصيرها قائلاً:

«ايتها المدينة الموفورة الزاد العميقة المياه

القائمة كالثور القوي الثابت

أنت منصة خير البلاد، أنت خضراء كالجبل

أنت غابة (الخاشور) ذات الظلال الوارفة

عسى أن تكون حظائر أغنامك وفيرة وماشيتك لا عدّ لها.



عسى أن ترفع معابدك الثابتة أيديها إلى السماء،

وعسى أن يقدر الأنوناكي المصائر في وسطك

لقد أتى أنكى إلى (أور) إلى المزار

أنكي (ملك العمق) يقرر مصيرها قائلاً:

(أيتها المدينة الموفورة الزاد العميقة المياه

القائمة كالثور القوي الثابت

أنت منصة خير البلاد، أنت خضراء كالجبل

أنت غابة (الخاشور) ذات الظلال الوارفة

عسى أن يحسّ توجيه نواميسك المقدسة التي اكتملت

لقد أعلن (الجبل العظيم) "انليل" اسمك المتسامي في السماء والأرض

أيتها المدينة التي قدر مصائرها أنكي

يا أور المزار، عساك أن ترتفعي إلى عنان السماء.

ثم يذهب أنكي إلى "ملوخا" الجبل ويوزع خيراته، ثم يتجه إلى دجلة والفرات فيملأها بالماء العذب ويوكل على شؤونهما الإله "أنبيلولو" ثم يملأ الأنهار بالأسماك ويوكل عليها "ابن كيش" ثم يقصد إلى البحر ويقرر نظامه ويعين عليه الآلهة "سيرارا".

ثم ينادي أنكي الرياح ويوكل على شؤونهما الإله "ايشكور" الذي يمتطي العواصف المرعدة وينظم بعد ذلك أمر المحراث والنير والحقول والمزروعات:

لقد وجه المحراث والنير...

الأمير العظيم أنكي جعل الثور (يفلح)

نادى على الغلال الطاهرة

عسى أن يحسّ توجيه نواميسك المقدسة التي اكتملت

لقد أعلن «الجبل العظيم» إنليل اسمك المتسامي في السماء والأرض



أيتها المدينة التي قدر مصائرها أنكي

يا أور المزار، عساك أن ترتفعي إلى عنان السماء

ثم يذهب أنكي إلى «ملوخا» الجبل ويوزع خيراته، ثم يتجه إلى دجلة والفرات فيملأها بالماء العذب ويوكل على شؤونهما الإله «انبيلولو» ثم يملأ الأنهار بالأسماك ويوكل عليها «ابن كيش» ثم يقصد إلى البحر ويقرر نظامه ويعين عليه الآلهة «سيرارا».

ثم ينادي أنكي الرياح ويوكل على شؤونهما الإله «إيشكور» الذي يمتطي العواصف المرعدة وينظم بعد ذلك أمر المحراث والنير والحقول والمزروعات:

لقد وجه المحراث والنير..

الأمير العظيم أنكي جعل الثور (يفلح)

نادى على الغلال الطاهرة

وفي الحقول الراسخة جعل الحبوب تنمو

هو السيد جوهرة السهل وزينته.

ولفلاح انليل انكيمدو

أوكل أنكي شؤون القنوات ومصارف المياه

لقد نادى السيد على الحقل وجعله ينتج الغلال الوفيرة

جعله أنكي ينبت «الفول الكبير» و«الفول الصغير»

كدس الحبوب وملأ بها الأهراء

أنكي أكثر الاهراء في البلاد

ومع إنليل يزيد الوفرة والخير في الأرض

السيدة ذات الرأس المشعر والوجه الذهبي

السيدة التي هي منبع قوة البلاد

والسند الثابت لذوي الرؤوس السود



«اشنان» قوة كل شيء

أوكل إليها أنكي تدبير تلك الشؤون..»

ثم التفت أنكي إلى الفأس وقالب القرميد وعين «كبتا» لتنظيم شؤونهما ودبر آلة البناء ووضع أسّ المساكن وأوكل شؤونها للإله «مشدما» «بناء إنليل العظيم» وملأ السهول بالأعشاب والنبات والحياة الحيوانية وعين الإله «شوموقان» «ملك الجبل» على شؤونهما. ثم شيد أنكي الحظائر والزرائب وملأها باللبن والزبد وعين على أغنامها الإله الراعي دوموزي (تموز).

ومن قصيدة أنكي وننماخ وخلق الإنسان: أخذ الآلهة يجدون المصاعب في الحصول على قوتهم ولا سيما بعد أن جاءت الآلهات إلى الوجود. كان الآلهة يتذمرون ويشكون، لكن أنكي إله الحكمة والماء لم يكترث لشكواهم بل ظل مضطجعاً في مياه العمق، فدنت منه «نمو» آلهة البحر الأول، وأمّ جميع الآلهة، تذرف الدمع وتخاطبه :

«يا بني قم من فراشك واعمل ما هو حكيم ولائق

اصنع عبيداً للآلهة، عساهم يضاعفون عددهم

تدبر الإله أنكي وقاد جميع الصناع المهرة، وقال:

يا أماه، إن المخلوق الذي نطقت باسمه موجود

فاربطي عليه صورة الآلهة

أعجبني الطين الموجود فوق (مياه العمق)

فاجعلي (الصانعين المهرة) يكثفون الطين

وعليك أنت أن توجدي له الأعضاء والجوارح

وستعمل نينماخ من فوق يدك

وستقوم معك أم الولادة أثناء صنعه

يا أماه، قدري مصيره



وسترابط عليه نينماخ صورة الآلهة

إنه الإنسان...»

وأما أسطورة دلمون والفردوس فهي وصف لكمال البدء وقد أضيفت إلى ملحمة الخليقة.

وفيما يتعلق بصغار الآلهة السومرية فقد توزعوا حسب المناطق الاقتصادية والمدن التي تقع فيها، فإن الصبغة الاقتصادية تطغى على المعتقدات السومرية.

منطقة المستنقعات الجنوبية الشرقية

١- إنكي إله مدينة أريدو ومنه تتحدر آلهة هذه المنطقة.

٢- أسللوحي Asalluhe : إله مدينة قصار قرب أريدو ويعادل مردوخ البابلي. وهو ابن أنكي و«مبلل الناس» سماه الرعاة ايشكور Ishkur والفلاحون نينورتا Ninurta وفي الأناشيد هو أول من لاحظ الشر ولفت نظر أنكي إليه. ومن الغيوم المرعدة يراقب الناس من الأعالي.

٣- دوموزي – أبسو Dumuzi Abzu آلهة مدينة كينيرشا في منطقة لكش. هي القوة الكامنة وراء الخصب والحياة المتجددة في المستنقعات، تحرك الأجنة في الأرحام وتعادل دوموزي الراعي في منطقة الرعاة وابنه أنكي

٤- نانشي (Nanshe) إلهة مدينة نينا (سرغل) جنوب شرقي لكش إلهة السمك وصيد الأسماك ورمزها السمكة. كانت ماهرة في تفسير الأحلام. تهتم بالانصاف والعدل والعدالة الاجتماعية، ابنة أنكي، زوجها «نيندرا» جابي البحر. وقد نظمت تراتيل سومرية تبيّن أن حكماء سومر قد فضلوا ما هو أخلاقي وصالح على الفساد والخروج على مبادئ الأخلاق. وقد خصّوا عدة آلهة بالإشراف على النظام الأخلاقي بكونه وظيفتهم الرئيسة كالإله أوتو (الشمس) والإلهة نانشي على أنها خصصت نفسها لرعاية الصدق والعدل



والرحمة. من هذه التراتيل واحدة قوامها زهاء ٢٥٠ سطراً تحوي أوضح اقوال في السلوك والأخلاق، وهي تصف الآلهة نانشي:

«هي التي تعرف اليتيم وتعرف الأرملة،

تعرف ظلم الإنسان للإنسان، وهي أم اليتيم،

نانشي التي تعتني بالأرملة،

التي تنشد العدل لا فقر الناس،

إنها الملكة التي تحتضن اللائذين بها،

وتهيئ الملاذ للضعفاء...»

وفي نفس هذه الألواح التسعة عشر التي وجدت في نيبور مقاطع غامضة تصوّر نانشي وهي تقوم بمحاكمة البشر يوم راس السنة والى جانبها «ندابا» Nidaba إلهة الكتابة والحسابات وزوج ندابا «حايا» Haia وشهود عديدون. وقد وصف الأشرار من السفر ممن وقع عليها سخطها هكذا:

«من سلك سبيل العدوان واغتصبت يداه ما ليس له،

من تخطى النظم المقررة ونقض العقود والعهود،

من نظر نظرة الرضى إلى مواطن الشر،

من بدل الوزن الكبير بالوزن الصغير،

من بدل الكيل الكبير بالكيل الصغير،

من أكل ما ليس له و لم يقل أكلته،

ومن شرب ما ليس له و لم يقل شربته،

من قال: «لآكلن ما قد حرم»

ومن قال لأشربن ما قد حرم.

نانشي تواسي اليتيم ولا تهمل الأرملة

تعد المكان الذي تهلك فيه الطغاة.



وتسلّم الأقوياء إلى الضعفاء...

إن نانشي تبحث في قلوب البشر.»

وقد وجه جوديا انزي لكش الورع باني المعابد ابتهالاً إلى مفسّرة الأحلام نانشي نحو ٢٥٠٠ ق.م وبعد أن قدّم لها القرابين فقال:

«أي مليكتي يا ابنة السماء الصافية،

التي تنصح بكل ما هو خير للأتقياء،

أنت يا من تحتلين المرتبة الأولى في السماء

أنت يا من جعلت الأرض حية،

أنت الملكة الأم التي أسست لكش

الشعب الذي تشملينه بنظراتك يزخر بالقوة

والتقي الذي تنظرين إليه ستطول حياته

ليس لي أم... أنت أمي

ليس لي أب... أنت أبي

ولدتني في المعبد

أنت لك معرفة كل المحاسن

عندما أذهب إلى مدينة نانشي

يذهب أمامي المقرب إليك (اوتوكو)

يقتفي أثري المقرب إليك (لامازو)

خيراً أريد التكلم، سأطرح هذه الكلمات

أمي، سأسرد لك حلمي

أترغب مفسرة الأحلام أن تفسّره لي».

نينمار Ninmar آلهة مدينة «غبا» جنوب شرقي لكش. آلهة الطيور ورمزها الطير، ابنة نانشي وحفيدة أنكي.



منطقة البساتين الجنوبية

وتمتد من أوروك إلى أور، وهي أرض مليئة بالنخيل منذ أقدم العصور، وآلهتها أنانا في أوروك آلهة مخازن التمور وعريسها دوموزي أمارشوم غالانا- القوة الكامنة وراء النمو والتجدد في النخيل.

١- نينازو Ninazu إله مدينة «أنغير» على الفرات الأسفل بين «لارسا» و«أور» ومدينة «أشنونا» في منطقة ديالى. من آلهة العالم السفلي وابن آلهة الجحيم «اريشكيكال» زوجته «نينغيردا» ابنة أنكي.

٢- نينغيشزيدا Ningishzida إله مدينة «غيشباندا» غرب أور. من آلهة العالم السفلي مهمته «حامل العرش» رمزه الحية. ولما مثلوه إنساناً ظهر رأسا حيتين من كتفيه بالإضافة إلى الراس البشري. يركب تنيناً وهو ابن نينازو ونينغيردا. زوجته نينازيدا «سيدة الغصن المحمّل بالثمار».

٣- دامو Damu أي الطفل، إله مدينة جرسو على الفرات قرب أور. ابن نينغيشريدا ونينازيمدا، إله الخصب، إله النسغ الصاعد في جذوع الأشجار في الربيع يختبئ تحت قشر أمه المرضعة شجرة الأرز فتنوح النساء وتفتشن عنه، وأخيراً تجدنه خارجاً من النهر اختلطت عبادته بعبادة تموز الراعي في الشمال.

منطقة الرعاة

وهي مجموعة مدن على الفرات الأسفل مثل أور وغايش وكيابرييغ ولارسا وكللاب. تتحدر آلهتهم من نانا إله القمر. والمدن قرب المراعي هي أوروك، بادتيبيرا، أوما، زبلام، وبيتكركارا. كل آلهة هذه المدن آلهة رعاة وتبرز بينها الكواكب.

نانا (سين) إله القمر. أوتو (شمش) إله الشمس أنانا (عشتار) نجمة الصبح آنو قبة السماء.

١- نانا Nanna إله القمر، إله مدينة أور (أور الكلدانيين) عبده الساميون خاصة في حرّان باسم «سين» أو «شين» سماه الآ امه ن



«سهر» أو «شهر» كما عبده المديانيون والعبرانيون باسم «يهوه» رقمه الرمزي ثلاثون.

عرف بثلاثة أسماء حسب دورة القمر «نانا» (سين) البدر، «أنسون» (نكــر) الثور البري نصف دائرة أي في آخر الأسبوع وشيمبابارا (تارخ) أي بدء الهلال ومنها كلمة تاريخ.

مثّلوه على شكل قرني ثور ضخم يقود قطيع النجوم. فهو راعٍ للبقر يــسوق قطعانه في السماء هو أيضاً زوج «نينغال» Ningal وهو ابن إنليل ونينليل في قــصة «فسق إلهي»وهذه قصة مولد «نانا» (وهكذا أنشدوا له التراتيل):

«في الوقت الذي لم يكن قد خلق فيه الإنسان بعد، ويوم كانت مدينة نيبــور (نُفّر) مأهولة بالآلهة فقط، كان فتاها هو الإله (إنليل) وكانت عذراؤها هي الإلهــة «نينليل» كانت العجوز فيها هي تينبارشيجونو أم نينليل. وبعد أن اعتزمت الآلهــة العجوز أن تزوج ابنتها نينليل من إنليل أوصت ابنتها أن تفعل ما يلي:

«في المجرى الصافي أيتها المرأة اغتسلي

تمشي يا نينليل على شاطئ نهر «نينبردو» فإن ذا العينين المشرقتين، الــسيد ذا العينين النيرتين «الجبل العظيم» «الأب إنليل» ذا العينين الجميلتين سيراك إن الراعــي الذي يقدّر المصائر سيراك

وسيعانقك ويقبلك

اتبعت نينليل نصائح أمها مغتبطة مسرورة

في المجرى الصافي اغتسلت المرأة في المجرى الصافي

نينليل تمشت على شاطئ نهر «نينبردو»

ذو العينين الجميلتين، السيد ذو العينين المشرقتين، «الجبــل العظــيم» «الأب إنليل» ذو العينين الجميلتين رآها الراعي الذي يقدّر المصائر ذو العيــنين الجميلــتين أبصرها كلمها السيد من اجل الاتصال بها لكنها لم تكن راغبة إنليل كلمهــا وأراد الاتصال بها ولكنها صدت عنه:



«إن مهبلي صغير لا يعرف الجماع

وشفتيّ صغيرتان لا تعرفان التقبيل»

عندئذ أطلع إنليل وزيره «نسكو» على أمره وعلى حبه لنينليل، فهيأ له قارباً اغتصبها به أثناء سيره في النهر، فحبلت بالإله نانا. غضب الآلهة على إنليل من أجل فعلته المنافية للأخلاق فمسكوا به ونفوه إلى العالم السفلي، رغم أنه كان ملك الآلهة.

«بينما كان إنليل يتمشى في كي-أور (معبد نينليل)

الآلهة الكبار بمجموعهم الخمسين

والآلهة الذين بيدهم تقدير المصائر سبعتهم

قبضوا على إنليل في كي-أور وقالوا له:

«يا إنليل، أيها الفاسق اخرج من المدينة

اخرج يا نونانمر، أيها الخليع من المدينة»

هكذا اضطر إنليل أن يصغي لأوامر مجمع الآلهة والرحيل إلى الجحيم السومري، لكن نينليل لم تشأ وهي حبلى أن تبقى وحدها فتبعته إلى منفاه في العالم السفلي.

حزن إنليل لقرارها لأن ابنه نانا (سين) الذي ستلده والذي قدر له أن يكون موكلاً بأعظم أجرام السماء وهو القمر سيسكن العالم السفلي المظلم الكئيب بدلاً من اتخاذ السماء مسكناً له فتدبر إنليل خطة لإنقاذ ابنه وضلل نينليل في طريقه.

لقد التقى ببواب العالم السفلي وإله نهر العالم السفلي وصاحب معبر العالم السفلي وتقمص أشكالهم على التوالي واتصل بالإلهة نينليل فحملت ثلاثاً من آلهة العالم السفلي وصارت هذه الإلهة بديلاً عن أخيها الأكبر سين الذي أصبح هكذا حراً، فصعد إلى مقره في السماء.

نحو عام ٢٠٠٦ ق.م. وقف العيلاميون المهاجمون عند أسوار أور الشاهقة التي بناها الملك العظيم أور-نمو، بناها «عالية كجبل مشع» وأور هي مدينة نانا المقدسة.



هاجم العيلاميون المدينة واحتلوها ونهبوها وجعلوها طعاماً للثيران وانسحبوا تاركين وراءهم حامية صغيرة كم أسروا ملكها أبي- سين وقادوه إلى إيران حيث مات هناك وبعد أعوام بعد أن عادت أور مدينة عامرة كانت ذاكرة خرابها لا تزال عالقة في اذهان السومريين، يرثونها على كارثة عظيمة».

وكارثة وطنية:

«أيها الأب نانا، لقد دمرت المدينة

كقطع الخزف المكسور ملأ أهلها جوانبها

هدمت أسوارها وناح أهلوها

في بواباتها العالية حيث كانوا يتنزهون

طرحت الأشلاء مبعثرة هنا وهناك

في شوارعها حيث أحيوا الأعياد نثرت أجسادهم

في كل الدروب حيث كانوا يتنزهون تناثرت الجثث

وفي ساحاتها حيث احتفلوا تراكم قتلاها في أكوام»

«إيه أور، إن ضعفاؤك وأقوياؤك قد قضي عليهم الجوع

الأمهات والآباء الذين لم يغادروا منازلهم، التهمتهم النيران

الأطفال في أحضان الأمهات جرفتهم المياه كالأسماك

وفي المدينة- الزوجة تركت والابن أهمل – والممتلكات نهبت

إيه نانا – ان أور قد خربت وأهلها قد شتتوا»

٢- نينهار Ninhar إله مدينة «كبابريغ» في منطقة أور، هو إله الرعد والأمطار في الربيع التي تجعل الصحاري خضراء مخصبة، مثلوه ثوراً يخور، وهو ابن نانا ونينغال وزوج نينيجارا «سيدة الزبدة» وإلهة الأجبان.



٣-أوتو Utu «شمش» إله الشمس وإله مدينتي لارسا وسيبار في أكاد، إله العدل والمساواة، شكله في الأصل قرص الشمس ورمزه رأس حيوان البيزون، كما مثل إنساناً تنبثق من جسده أشعة النور.

يمر أوتو في مركبته كل يوم حول العالم ليرى أعمال الناس من فوق، يعطي النور ويفتش القلوب. يعطي شرائع الصلاح ويهب الحياة. يحمي الضعفاء والمظلومين ويرعب الأشرار.

يقول جوديا التقي «إن أوتو يعطي الصلاح ويسحق الشر بقدمه». كما تكلم أورنمو «عن شرائع أوتو العادلة» ووصفه حمورابي بأنه «الحاكم العظيم للسماء والأرض» وفي استعراض الآلهة يصورونه راكباً على الحصان.

وأوتو هو ابن نانا «القمر» ونينغال، زوجته شنيردا وابنهما «شاكان» إله الماعز ورعاة الماعز والغزلان وحيوان القفر. وزراء أوتو هم: «نيغينا» (العدل) و«نيغسيسا» (المساواة).

٤- نينسون Ninsun: إلهة مدينة كلاب، السيدة البقرة الوحشية هي البقرة الجيدة وأم العجل الجيد، رمزها البقرة، ابنها عند رعاة البقر هو «الثور الوحشي» دوموزي، ولكم بكته بحرارة في ذكرى موته السنوية، زوجها «لوجاليندا» وولدهما الملك كلكامش بطل الملحمة الشهيرة، يعادلها نينهورساغا Ninhursaga عند رعاة الحمير ونينليل عند الفلاحين.

آلهة رعاة الأغنام في المراعي الوسطى

١- إنانا (عشتار) Inana:

إلهة أوروك وزيلام وهي نجمة الزهرة ورقمها الرمزي خمسة عشر في الأصل كانت جزءاً من بانثيون البساتين لأنها سيدة مخازن التمور خاصة وباقي أنواع المخازن عامة كالصوف واللحم والأجبان.



زوجها هو دوموزي الراعي الشاب ودوموزي الثور الوحشي يعقد قرانهما في المخزن – فهي تسكن إي – آنا مخزن البلح، لكونها ابنة القمر اعتبرت في العصور السامية بعد السومريين «ملكة السماء» وأعطيت لها صفات سيدة المعارك والمومس وحامية المومسات. هامت بتموز الراعي وكلكامش كما هامت بسرجون الأكدي (شاروكين) و لم تُخلِص لأحد.

ومن الأساطير عن إنانا قصتها مع شوكلليتودا البستاني الذي وجدها نائمة في بستانه تحت شجرة فضاجعها وهي نائمة، وحاولت أن تجده فيما بعد فأرسلت الأوبئة المختلفة على البلاد انتقاماً لشرفها المهدور، لكنها لم تطله حيث كان يتنقل مختبئاً بين إخوانه ذوي الرؤوس السود أي السومريين.

وقصة نزولها إلى الجحيم حيث حاولت انتزاع السلطة من أختها «اريشكيكال» لكنها ماتت وتحولت إلى قطعة لحم معلقة بمسمار وبقيت هكذا سجينة في العالم السفلي إلى أن انقذها إنكي، فسمح لها أن تعود شريطة أن ترسل بديلاً عنها فخانت زوجها تموز.

وقصتها مع إنكي الحكيم وكيف سرقت مئة من الشرائع السماوية وهو في حالة السكر ونقلتها من أريدو إلى أوروك، فأوقف قاربها سبع مرات ليستعيد الشرائع لكنه فشل.

إنانا وشوكلليتودا:

عاش في قديم الزمان بستاني شوكلليتودا، عمل وكدّ وثابر على العمل في بستانه و لم ينله سوى الإخفاق، روى الأخاديد وجميع أجزاء البستان و لم يحل بغرسه إلا اليبس والموت. وكانت الرياح الهوجاء تلطم وجهه «بغبار الجبال» وكل ما كان يرعاه يتحول قفراً وخراباً.

رفع عينيه شرقاً وغرباً إلى السماء ذات النجوم الكثيرة ليدرس نذر الآلهة وإرادتها. وعندما نال الحكمة من السماء غرس شجرة الـ«سربيتو» في بستانه وهي



شجرة وارفة الظلال من مطلع الشمس إلى مغيبها. بعد ذلك ازدهر بستانه بجميع أنواع الغراس.

ذات يوم كانت إنانا (عشتار) قد عبرت السماء والأرض فاضطجعت في بستان شوكلليتودا لتريح جسمها المنهوك من عناء السفر، راقبها البستاني وهو الإنسان الفاني وانتهز فرصة انهيار قواها ونومها وجامعها. ولما طلع الصباح ذعرت إنانا مما حصل لها ونظرت حواليها في دهشة علّها تجد ذلك الفاني الذي انتهك عرضها وجللها بالعار فسلطت على بلاد سومر ثلاثة أنواع من الأوبئة انتقاماً من ذلك السومري.

١- ملأت جميع آبار البلاد بالدم (كما فعل يهوه بمياه مصر في سفر الخروج) وأصبحت جميع أثمار النخيل والكروم ملأى بالدماء.

٢- سلطت رياحاً وعواصف مدمرة على البلاد.

٣- سلطت ضربة... (مجهولة الطبيعة لفقدان النصوص)

ولكن إنانا لم تستطع أن تعثر على البستاني لأنه كان يتنقل هارباً إلى بيوت «ذوي الرؤوس السود» من اخوته السومريين. فيئست وذهبت إلى أريدو لتستشير إنكي الحكيم إلا أن النهاية مفقودة لأن الألواح قد تلفت...

«شوكلليتودا

حين يجري الماء في السواقي

وحين يحفر الابار في ارجاء البستان

كان يتعثر بالجذور فتجرحه

الرياح العاصفة بما كانت تحمله معها

وبتراب الجبال كانت تلطم وجهه

تقتلع كل ما كان يزرع و لم يعرف لذلك سبباً

ثم رفع عينيه إلى الأقاليم السفلى



وتطلع إلى النجوم في المشرق

ورفع عينيه إلى الأقاليم العليا

وتطلع إلى النجوم التي في المغرب

راقب الطوالع السعيدة المرقومة في صفحة السماء

وعرف من السماء المرقومة علامات النذر

فرأى هناك كيف سينفذ النواميس الإلهية

لقد درس إرادات الآلهة...»

وفي البستان في خمسة إلى عشرة مواضع منيعة

غرس في تلك المواقع شجرة لتكون غطاء واقياً

إنها شجرة الـ«سربيتو» ذات الظل العريض

إن ظلها لا يزول لا في الفجر

لا في الظهيرة ولا في الغسق»

وذات يوم بعد أن عبرت ملكتي السماء وعبرت الأرض

إنانا بعد أن عبرت السماء وعبرت الأرض

بعد أن قطعت بلاد عيلام وبلاد شوبر (شومر)

اقتربت (البغي المقدسة) إلى البستان من العناء وغطت في النوم

فرآها شوكلليتودا من حافة البستان

فضاجعها وقبّلها

وعاد إلى حافة بستانه

طلع الفجر وأشرقت الشمس

نظرت المرأة حولها جزعة

إنانا نظرت حولها وجلة جزعة»



«فتأمل الضرر الذي عملته المرأة من أجل عورتها

إنانا من أجل عورتها ماذا فعلت

لقد ملأت جميع آبار البلاد بالدم

كل الأحراج وبساتين البلاد أشبعتها بالدم

حين يذهب العبيد للاحتطاب لا يشربون إلا الدم

والإماء لا يملأن جرارهن إلا بالدم

لقد قالت لأجدنَّ من جامعني في جميع أرجاء البلاد»

«لكنها لم تجد الذي جامعها

لأن الشاب قصد بيت أبيه

شوكلليتودا قال لأبيه:

أبتي! حين أجري الماء في السواقي

حين أحفر الآبار في الأرجاء

كنت أتعثر بالجذور فتجرحني

الرياح العاصفة بما حملت معها

وبتراب الجبال كانت تلطم وجهي

(ثم إعادة لكل الأسطر، والشعر السومري كثير التكرار)

لكنها لم تجد الذي ضاجعها

لأن الأب أجاب ابنه شوكلليتودا:

أقم يا بني قريباً من مدن إخوانك

وجّه خطاك إلى إخوانك ذوي الرؤوس السود

فالمرأة إنانا لن تجدك في وسط البلدان».



«فأقام شوكلليتودا قريباً من مدن اخوانه

وجه خطاه إلى إخوانه ذوي الرؤوس السود

فلم تجده المرأة وهو في وسط البلدان

فتأمل المرأة من أجل عورتها أي شر صنعت

إنانا من أجل عورتها ماذا فعلت»

إنانا تسرق شرائع السماء:

إنانا ملكة السماء والإلهة الحامية لمدينة أوروك تتوق لأن تزيد من خيرات مدينتها ورفاهيتها وأن تجعلها مركز الحضارة السومرية وبذلك تسمو شهرتها بين الآلهة.

لذا صممت أن تذهب إلى أريدو المركز القديم لثقافة سومر، حيث إنكي رب الحكمة «الذي يعلم ما تكنّه قلوب الالهة» يسكن في مياه العمق «أبسو» كان لدى إنكي كل النواميس الإلهية الضرورية للعمران والحضارة، فإن استطاعت إنانا الحصول عليها بالطرق المشروعة أو عكسها وإحضارها إلى مدينتها أوروك سيسمو مجدها على جميع المدن والآلهة. فلما رآها إنكي تقترب من الأبسو أخذ بسحر جمالها، فدعا رسوله «أيسميد Isimid» وقال:

«هلم يا رسولي (ايسميد) واصغ لأوامري

كلمة سأقولها لك فخذ بكلمتي

العذراء لوحدها. وقد وجهت خطاها إلى الأبسو

إنانا بمفردها وقد جاءت إلى الأبسو

فاعمل على إدخال العذراء إلى البسو أربدو

اجعل إنانا تدخل أبسو أريدو

اعطها كعك الشعير مع الزبد لتأكل

صب لها الماء البارد الذي ينعش قلبها



قدّم لها البيرة بكاس «رأس الأسد»

والى المائدة المقدسة، مائدة السماء،

أجزل لـــ«إنانا» كلمات الترحيب».

فعل إيسميد ما أمر به سيده وجلس إنانا وإنكي إلى مائدة الوليمة، وبعـــد أن انتشى قلباهما بالشراب، هتف إنكي قائلاً :

«بحق سلطاني وباسم قوتي

لابنتي إنانا المقدسة سأقدم النواميس الإلهية».

وعلى دفعات قدّم إنكي مئة ناموس ونيف من النواميس الإلهية الـــتي كانـــت أساس الحضارة وعماد العمران، طغى السرور على إنانا وقبلت هبات إنكي وهـــو بحالة السكر وأخذت النواميس وحملتها على «قاربها السماوي » وشدت الرحال إلى أوروك ومعها الشحنة الثمينة.

وما أن زال الخمر عن إنكي حتى أحسّ أن الـــ«مي» (النواميس) قد اختفت من مكانها المعهود، التفت إلى أيسميد مستفسراً عن الأمر فأخبره الرسول أنـــه هـــو بنفسه أعطاها لإنانا وهو في حالة السكر. ندم إنكي بمرارة وصمم أن يمنع «قـــارب السماء» من الوصول إلى أوروك مهما كلف الأمر. فأرسل ايسميد ومعه مجموعة من وحوش البحر ليلحقوا بإنانا ويوقفوا القارب في أول محطة من المحطات السبع علـــى طريق أريدو- أوروك، فيسترجع القارب ويسمح لإنانا أن تتابع السير إلى مدينتـــها على الأقدام. ويعد حوار إنكي وايسيميد وإنانا درة شعرية:

«دعا الأمير رسوله ايسيميد

إنكي بلغ كلمته لـــ«اسم السماء الطيب»

يا رسولي ايسيميد يا اسم السماء الطيب

يا مليكي هاأنذا، ولك المجد إلى الأبد

إلى أين وصل الآن «قارب السماء»



لقد بلغ مرفأ «ايدال»

اذهب ودع وحوش البحر تنتـــزعه منها»

نفذ ايسيميد أوامر سيده وأدرك قارب السماء، فخاطب إنانا:

«أي مليكتي لقد أرسلني إليك ابوك،

يا إنانا أرسلني أبوك إليك،

أبوك الممجد في كلامه،

إنكي المعظم في أقواله،

ينبغي أن تطاع أوامره العظيمة»

فأجابته إنانا المقدسة:

«أبي، ماذا قال لك؟ ما الذي حدّثك به؟

كلماته العظيمة التي يجب أن تطاع ما هي أرجوك؟

إن مليكي قد كلمني،

إنكي قد قال لي:

دع إنانا تذهب إلى أوروك

لكنك تعيد إليّ قارب السماء إلى أريدو

فقالت المقدسة إنانا للرسول ايسيميد:

أتوسل إليك لماذا بدّل أبي كلمته لي؟

لماذا حنث بكلمته الصادقة لي؟

لماذا دنّس كلماته العظمى لي؟

لقد غشني أبي بكلماته لي، لقد خدعني بأقواله،

لقد أقسم كذباً باسم قوته وباسم الـــ«أبسو»

و لم تكد تفوه بهذه الكلمات



حتى أمسك وحوش البحر بقارب السماء

فقالت إنانا لرسولها «نينشوبور»

هلمّ إليّ يا رسول إنانا الأمين

يا من يحمل الكلمات الطيبة

ويا حامل كلمتيّ الصادقة

الذي لا تضطرب يده ولا تضطرب قدمه

أنقذ قارب السماء ونواميس إنانا المهداة لها».

ففعل نينشوبور، ولكن إنكي أصرّ وأرسل ايسميد وأنواع وحوش البحر لتوقف إنانا في المحطات السبع، وكل مرة كان يحضر نينشوبور وينقذ إنانا، وأخيراً تصل إنانا بسلام مع قاربها إلى أوروك حيث تفرغ شحنتها من النواميس الإلهية وسط أفراح الشعب.

دوموزي (تموز) Dumuzi:

إله مدينة باد- تيبيرا، إله الخصب وتجديد الحياة، وله عدة صفات ومظاهر. فهو دوموزي الراعي، ودوموزي الثور الوحشي، ودوموزي الخصب في عناقيد البلح، ودوموزي محرك الأجنة في الأرحام، ينتج الحليب ويضعه في الأثداء. وعبادته تدور حول زواجه من إنانا (الزهرة) ثم موته وندبه والولولة عليه كل عام عند موته الأرضي. وكان الناس يحتفلون بهذا الزواج في مسرحية يمثل فيها الملك دون الإله وتمثل كاهنة دور الإلهة.

وفي أوروك كان يحتفل بهذه الذكرى في الحصاد في فصل الصيف. وفي نيبور كانت الذكرى عيد خصب في فصل الربيع وكل خصب وولادة وحلب وتجديد تسبق موت تموز، القوة الكامنة وراءها جميعاً، وعند موته تندبه أمه الثكلى وأرملته الشابة الجميلة برثاء مؤثر يصل إلى أقصى درجات العاطفة...



وإكراماً لدموزي/ تموز، دخل في التقويم الأكادي شهر عيد لتموز هو الشهر الرابع في السنة السامية القديمة إذ كانت تبدأ في شهر نيسان. كما أن الشهر السادس في لكش في التقويم العبري. والشهر السابع في سوريا والعراق. وتذكر لائحة الملوك السومرية ملكاً باسم دوموزي من مؤسسي سومر قبل الطوفان؛ حكم عدداً خيالياً من السنين وهو الملك السادس قبل الفيضان أو الطوفان، يقابل «يارد» في التوراة الذي هو السادس بين الآباء قبل الطوفان.

وعندما طرد أوتوجيكال ملك أوروك الجوتيين من بلاده قال: «إنانا سندي دوموزي تنين إنانا السماوي أعلن مصيري».

وقد وصلت عدوى عبادة تموز إلى اليهود: «وقال لي بعد تعود تنظر إلى رجاسات أعظم هم عاملوها. فجاء بي إلى مدخل بيت الرب الذي من جهة الشمال وإذ هناك نسوة جالسات يبكين على تموز» (حزقيال ٨:١٣ و١٤).

دوموزي الراعي هو إله الرعاة والقطعان في ال٥٤ هلال الخصيب وأهم أساطير تموز حواره مع الفلاح «انكيمدو» وزواجه من إنانا.

٣- شارا Shara

إله مدينة أوما وابن إنانا. صفاته غامضة و لم يكن له شأن عظيم خارج مدينته.

٤- ايشكور Ishkar

إله مدينة بيت كركارا، بيت زيلام وأدب، إله المطر والعواصف الرعدية في الربيع يخصب المروج للرعاة. هو ابن إنانا ويرمز إليه بثور عظيم وبشكله البشري «حربة الصواعق» يعادله «اسللوحي» في منطقة المستنقعات ونينورتا عند الفلاحين. زوجته الإلهة (شالا) سماه الأكديون «أدد» والآراميون «هدد».



٥- نينهورساج Ninhursag

إلهة مدينتي أدب وكيشز إلهة الأرض الصخرية. هي القوة الكامنة في التلال والصحاري ووجود الحياة البرية خاصة الوحش لأنها إلهة رعاة الحمير.

من أسمائها «دنغيرماه» أي المعبودة العظيمة و«نينماخ» أي السيدة المعظمة و«أرورو» مخرجة الأجنة و«نينتو» سيدة الولادة أو الإلهة الوالدة. وكإلهة للولادة هي أم لكل ولد. وكان يحلو للحكام السومريين الأوائل أن يصفوا أنفسهم بأنهم «ربوا بلبن نينهورساج الطاهر» ويرون فيها «أمّاً» لجميع الأشياء الحية. وفي إحدى الأساطير تقوم بدور هام في خلق الإنسان، وفي أسطورة أخرى تلد سلسلة من الولادات الإلهية وتتضمن تلك الأسطورة فكرة «الثمرة المحرمة» زوجها الإله «شولبي».

نينماخ وخلق الإنسان

عندما صنع إنكي الإنسان ليخدم الآلهة (أنظر إنكي) من طين العمق جعل نينماخ تربط عليه صورة الآلهة (كما في سفر التكوين: خلق الله الإنسان على صورته ومثاله).

لكن بعد خلق الإنسان الكامل، يدور الشعر حول الإنسان غير الكامل، ويعطي تفسيراً لذلك. فقد أولم إنكي للآلهة بمناسبة خلق الإنسان. وفي الوليمة شرب إنكي ونينماخ من الخمر حتى الثمالة. فأخذت نينماخ شيئاً من طين العمق وصنعت ستة أشكال من البشر الشاذين في خلقهم. فقرر إنكي مصائرهم وأعطاهم الخبز ليأكلوا. ولكن من تلف النصوص لم يعرف إلا النوعين الأخيرين من الستة وهما المرأة العاقر والإنسان الذي لا جنس له.

«لقد صنعت نينماخ من الطين المرأة التي لا تلد

ولما رأى إنكي المرأة التي لا تلد

قرر مصيرها أن توضع في «بيت المرأة»



وصنعت نينماخ من الطين مخلوقاً ليس له عضو الذكر ولا عضو الأنثى

ولما رأى إنكي من ليس له عضو الرجل ولا عضو الأنثى

قرر مصيره – بأن يقوم بخدمة الملك (الخصيان)

وبعد أن صنعت نينماخ النواع الستة من الإنسان قرر إنكي أن يخلق بعضاً آخر لكنه كان فاشلاً في خلقه، إذ صنع مخلوقاً ناقصاً ضعيفاً في جسمه وروحه. فلجأ إنكي إلى نينماخ لتساعد مخلوقه العاجز قائلاً:

«مثلما ما عينت مصير ما صنعت يدك

وأعطيته الخبز ليأكل

اعملي على تقرير مصير ما صنعت يدي

وناوليه الخبز ليأكل»

حاولت نينماخ أن تصنع الخير للمخلوق، لكن دون جدوى. كلّمته فلم يجب، أعطته الخبز ليأكل لكنه لم يتناوله. لا يقدر أن يجلس أو يقف، ولا أن يثني ركبتيه. وأخيراً لعنت نينماخ إنكي لأنه صنع ذلك المخلوق المريض الذي لا يقوى على الحياة. وهي لعنة تقبلها إنكي لأنه كان مستحقاً لها.

آلهة المناطق الزراعية

آلهة المناطق الزراعية في الشمال في أكد، وهم من سلالة إنليل في نيبور ويشكلون معاً بانثيون الفلاحون:

١- إنليل : إله مدينة نيبور، إله الرياح «الجبل العظيم» ابن آنو ملك البلدان.

٢- نينليل : آلهة مدينة «تومال» قريب نيبور، حيث عرفت باسم «أغيتومال» وفي شوروباك باسم «سود» هي سنبلة الشعير اليانعة وآلهة الجنوب، ابنة «هايا Haia، إله الصوامع ونينشيبارغونو «سيدة الشعير». ونينليل هي زوجة انليل وأم القمر إنانا. لكن الأشوريين جعلوها زوجة الإله آشور الذي وصفوه أيضاً بـ«الجبل العظيم» وهو لقب إنليل (أنظر مولد القمر).

٣- نيسابا Nisaba : غلهة مدينة أرش شمال أوروك، إلهة الأعشاب بما فيها الحبوب الخضراء والقصب. وبما أن الأقلام تصنع من القصب أصبحت نيسابا إلهة الكتابة والكتب والعلوم، الآلهة التي «بيدها تحمل القلم» وقد رآها الحاكم الورع انزي لغش في حلمه «امرأة لم يعرف من هي لكنها كانت تحمل قلماً من المعدن الوهّاج، وتحمل لوح الكتابة الجيدة في السماء. وكانت غارقة في أفكارها». ولما ذهب إلى معبد نانشي مفسّرة الأحلام أخبرته بأنها نيسابا «آلهة العلم» وكإله للحبوب أو اسلنابل وصفت نيسابا بطول شعرها.

٤- نينورتا Ninurta الإله المحارب، إله مدينة جرسو «تللو» في منطقة لغش. عرف باسم «نينجرسو» أي سيد جرسو، عند الفلاحين هو إله الرعد والعواصف الممطرة في الربيع، يذيب الثلوج فيمكن وراء الفيضانات في الربيع. وبما أن الأمطار تبلل التربة وتجعلها قابلة للحرث أصبح «غله المحراث والحراثة» كما كان أبوه إنليل إله المعول. أمه هي نينليل.

اسمه القديم «ايمدوجود Imdugud أو الغيمة الماطرة رمزه طير أسود ضخم يزمجر راعداً وله رأس أسد. وفي اسطورة آنزو الأكدية ينتصر نينورتا على «زو» ويسترجع منه «لوحات القدر» بعد أن سرقها من إنليل.

وفي أواخر سلالة جوتي (٢٢٣٠- ٢١٣٠ ق.م) بنى جوديا الورع أنزي لكش هيكلاً عظيماً للإله نينجرسو أحضر له أعمدة الأرز من لبنان، وكان البناء بسبب حلم أوصى فيه الإله بوجوب بناء معبد له. وكان جوديا قد بنى ما لا يقل عن ١٥ معبداً آخر.

يقول جوديا على اسطوانتين من الطين:

«في قلب الحلم كان رجل، طوله بمثل ارتفاع السماء وثقله مثل وزن الأرض... عن يمينه وعن يساره كانت تجثو الأسود. قال لي إن ابني له معبداً، ولكن لم أدرك ما كان يكن قلبه...



وهنا كانت امرأة من هي؟ لست أدري. كانت تمسك بيدها قلماً من المعــدن الوهّاج، كانت تحمل لوح الكتابة الجيدة في السماء وكانت غارقة في التفكير...».

اشتغلت افكار جوديا واضطرب فركب القارب وذهب إلى معبد «نانــشي» مفسرة الأحلام. فأجابته نانشي بأن الرجل هو نينجرسو وأن المرأة هي نيسابا آلهــة العلم. ونصحته بأن يقدم لنينجرسو عربة «مزينة بالمعدن اللماع واللازورد»، «عندئذ حكمة الرب نينجرسو ابن إنليل الغامضة كالسماء ترعاك. وهو الذي سيكشف لك مخطط معبده، المحارب صاحب الأوامر العظيمة سيبنيه لك».

أطاع جوديا أوامر الوحي وهو الذي وحّد مــواطني لكــش «كأبنــاء الأم الواحدة» وأدخل السلام إلى كل بيت. طهّر المدينة المقدسة وأحاطها بالنيران، جمــع الطين في مكان طاهر حيث صنع الآجر وصبه في القوالب، وأتبع الطقوس بإجلال، طهر أسس المعبد، أحاطه بالنيران ومسح المصطبة بزيت الطيب.

لما أكمل جوديا كل ذلك استحضر الصناع من الأماكن البعيدة «من عــيلام أحضر العيلاميين ومن سوزا أحضر السوزيين ومن جبال ماجان وملوحــا أحــضر الأخشاب. أحضر جوديا كل هذا إلى مدينة جرسو» ثم توجه جوديا رئيس كهنــة نينجرسو العظيم إلى جبال الأرز التي لم يدخلها إنسان قبله وقطــع الأرز بفــؤوس كبيرة، وكالأفاعي الضخمة طفت شجرات الأرز على مياه الأنهار.

«وفي المقالع التي لم يدخلها إنسان من قبل أقام جوديا رئيس كهنة نينجرســو العظيم ممراً ثم أحضر الحجارة الضخمة... وعدة معادن ثمينة قدمت إلى الأنزي. من جبل النحاس في كيماش – استخردت كتل الناس كما أخرج الذهب من ذلك الجبل ناعماً كالغبار. ومن أجل جوديا استخرجوا الفضة من جبالها وجلبوا الحجر الأحمــر من ملوحا بكميات كبيرة...

أخيراً بدأت عملية البناء واستكمل في سنة واحدة وأصبح جــاهزاً لاحتفــال دخول الإله إليه. ويقول جوديا بفخر «إن احترام المعبد يعم الــبلاد ورهبتــه تمــلأ الغرباء، وبهاء انينو يحوي الكون كالرداء».

نينورتا يقتل التنين

الشرير في هذه الأسطورة هو «اسج» شيطان المرض الذي يسكن كور (العالم السفلي) والبطل هو نينورتا إله «ريح الجنوب» ابن إنليل وكان سلاحه «شــــرور». كان على نينورتا أن ينازل اسج وينقذ سومر من شرّه، لكنه في البداية لم يقو عليه بل «فرّ كالطير» لكن سلاحه «شرور» شجه فهجم على اسج بكل قوته فقضى علـــى ذلك الشيطان.

وبد مقتل اسج حلت بسومر كارثة دهياء، فقد ارتفعت إلى سطح الأرض المياه الأولى المحبوسة في كور فمنعت المياه العذبة من أن تروي الحقول والبساتين. يئس آلهة سومر الذين «حملوا الفأس والسلة» لإروائها. إن دجلة لم يرتفع وانعدم الماء الطيب من جداوله.

«كانت المجاعة شديدة و لم ينتج أي شيء،

وفي الأنهار الصغيرة لم يعد ممكناً حتى (غسل اليدي)

وظلت المياه واطئة ضحلة

الحقول لم ترو

و لم تحضر السواقي

وانعدم الزرع في البلاد

و لم ينم سوى الحشائش

عندها تدبر الإله الأمر بفكره الثاقب

نينورتا بن انليل بالأشياء العظيمة إلى الوجود».

كدّس نينورتا الأحجار فوق كور كجدار عظيم بقي سومر ومنعت الحجـــارة مياه كور من الارتفاع إلى سطح الأرض. واما المياه التي غمرت البلاد في السابق فإن نينورتا قد جمعها وأجراها في دجلة الذي أصبح قادراً أن يروي الحقول بفيـــضه... يقول الشاعر:



«ما تبدد وفاض جمعه

ما تبدد وفاض من كور

قاده ورماه في دجله

فأجرى المياه العالية على الحقول

فانظر الآن كل شيء على الأرض

فرح بحمد نينورتا ملك البلاد

أنتجت الحقول الغلال الوفيرة

وثقلت الكروم والبساتين بالأثمار

وكدّس المحصول في صوامع وتلال

لقد أزال الرب الحداد من البلاد

وأسعد أرواح الآلهة»

وما أن سمعت نينماخ بأعمال ابنها البطولية حتى امتلأت شوقاً إليه و لم تعد تقدر أن تنام في غرفتها. فخاطبت نينورتا من بعيد بصلاة تطلب منه السماح بأن تزوره، فتطلع إليها «بعين الحياة» قائلاً:

«ايتها السيدة بما أنك ستأتين إلى كور

إيه نينماخ، بما أنك ستدخلين الأرض البغيضة من أجلي

لأن المعركة الرهيبة التي أحاطت بي لم ترعبك

لذا فالتلة التي كدستها أنا البطل

أدعوها «هورساج» (جبل) وستكونين ملكتها».

ثم أخذ نينورتا يبارك الـ«هورساج» لينتج كل أنواع الأعشاب الخمر والعسل، كل أنواع الأشجار، الذهب والفضة والبرونز، البقر والغنم وكل ذوات الأربع، ثم التفت ليسحق الحجارة التي استعملها أسج ضده في المعركة ويبارك الحجارة التي كانت إلى جانبه.



٥- باور Bau

إلهة مدينة أوروكو في منطقة لغس. عرفت أيضاً باسم «نينمـــسينا» (ملكـــة ايسين) آلهة مدينة ايسين جنوب نيبور. هي في الأصل آلهة الكلاب ورمزها الكلب. ومثلت برأس كلب. وبما أنه كان يظن بأن لحس الكلاب يـــشفي القـــروح فقـــد أصبحت إلهة الشفاء. أبوها وزوجها نينغرسو.

سماها الأكديون «غولا» «وكان مسكين اسمه لعازر الذي طرح عنـــد بابـــه مضروباً بالقروح وكانت الكلاب تأتي ولحس قروحه» (لوقا ١٦: ٢١)

٦- مسلامتايا Meslamtaea أو نرجال Nergal

إله مدينة كوتا أو الكوت في أكد، معبده «مسلام» وهو في الأصل ابن إنليل ونينليل. محارب مثل نينورتا، سلاحه الأوبئة التي تودي بشعبة أيضاً. سمي أيضاً نرجال وزوجته اريشكيغال ملكا العالم السفلي. وقد تليت عنه قصة أكدية عن كيفية زواجه من اريشكيغال وهي «حكاية نرجال وأريشكيغال» وكملة كوتا السومرية اسم آخر للعالم السفلي وقد حرفها الأكديون إلى كوتو (الحصن) ويقول نشيد لنرجال:

«ترتدي النور

وتجني رؤوس المتكبرين

قوية هي أياديك ورحب هو صدرك

وما أن تقع عظمتك المرهبة

فإن المسيء والشرير يرتميان

في أصداغ الأرض...»

الآلهة الصغرى في سومر

من الآلهة الصغار «لهار» إله الماشية وأخته «أشنان» آلهة الحبوب وعلى ما جاء في الأسطورة خلق «لهار Lahar» و«أشنان Ashnan» في «حجرة الخلق» ا...



بالآلهة وكيما يستطيع الأنوناكي أبناء آنوان يحصلوا على ما يكفيهم من الطعام والكساء. فأنتج الاخوان خيراً وفيراً من الغلال والماشية لكنهما أكثرا من الشراب والسكر فتشاجرا وأهملا واجباهما فلم تعد الآلهة تحصل على حاجتها حتى خلقوا الإنسان وأعطوه نفس الحياة:

«بعد أن عمل آنو وهو على جبل السماء والأرض

على ولادة الأنوناكي الآلهة أتباعه

ولأن اسم أشنان لم يكن قد ولد و لم يخلق بعد

ولا أتو إلهة النسيج لم تكن قد خلقت

و لم يكن قد شيد لـ«أنو» معبد وحرم

و لم تكن النعجة في الوجود ولا ولد الحمل

و لم تكن العنزة في الوجود ولا ولد الجدي

النعجة لم تلد حملها،

والعنزة لم تلد أجداءها الثلاثة

ولأن اسم أشنان المدبرة واسم لهار

لم يعرفهما الأنوناكي، الآلهة العظام

و لم توجد حبوب الشنش ذات الثلاثين يوماً

ولا الشنش ذات الأربعين يوماً في الوجود

والحبوب الصغيرة (غلة الجبل) غلة المخلوقات ذات الحياة الطاهرة لم توجد

ولأن أتو لم تولد بعد والتاج لم يكن قد رفع

ولأن الرب... لم يولد بعد

لأن (سموقان) إله السهل لم يجئ إلى الوجود

مثل البشر أول ما خلقوا

لم يعرف الأنوناكي أكل الخبز



و لم يعرفوا لبس الحلل

كانوا يأكلون النبات بأفواههم كالأغنام

ويشربون الماء من الترع.

«في تلك الأيام في (حجرة الخلق) الخاصة بالآلهة

في بيتهم «دوكو» جبلوا لهار وأشنان

وما أنتجه لهار وأشنان

أكله الأنوناكي الـ«دوكو» و لم يشبعوا

ومن حظائرها الطاهرة، حليب «شم» الجيد

شربه الأنوناكي الدوكو و لم يرتووا

فمن أجل حظائرها الطاهرة الطيبة

اعطى الإنسان نفس الحياة.»

ثم تصف لنا العبارات التي تعقب المقدمة هبوط لهار وأشنان من السماء إلى الأرض والمنافع العمرانية التي جبوا بها البشر:

«في ذلك الزمان قال إنكي لإنليل

أبتي إنليل... إن لهار وأشنان

اللذين قد خلقا في الـ «دوكو»

لنجعلهما يهبطا من الـ«دوكو»

بكلمة إنكي وإنليل المقدسة

هبط لهار وأشنان من الـ«دوكو»

لقد أنشآ «إنليل وإنكي» لـ«لهار» الحظيرة

وجعلا له النباتات والأعشاب الوفيرة

وأقاما لـ«أنان» بيتاً



وقدما لها المحراث والنير

صار لهار يقف في حظيرته،

وهو الراعي الذي أفاض من خيرات الحظائر

وأشنان تقف بين غلاتها.

وهي العذراء اللطيفة السخية

وكل خير وفير يأتي من السماء

أظهره أشنان على الأرض

لقد أحلاّ الخير الوفير في المجمع

وفي البلاد أحلا نفس الحياة

لقد وجها نواميس الآلهة

وضاعفا ما في المستودعات

لقد ملئا المخازن حتى اكتملت

وفي بيت الفقير الذي يحتضن التراب

دخلا وجلبا الخير والوفرة

وحيثما وقف كلاهما

أحلاّ الخير الوفير في البيت

وفي الموضع الذي يقفان فيه يحلّ فيه الشبع

والموضع الذي يجلسان فيه يزودانه بالمؤن

لقد طيّبا قلب آنو وإنليل»

وبعد أن أكثر لهار وأشنان من شرب الخمر أخذا يتشاجران في المزارع والحقول يتجادلان ويتفاخران، كل يقلّل من أهمية عمل الآخر وأخيراً يعلن إنليل وإنكي تفوّق أشنان.



والى جانب حوار لهار وأشنان نجد في الأدب السومري حوار الفلاح أنكيدو مع الراعي دوموزي وحوار الأخوين ايميش وأنتين الذي يشبه حوار قابيل وهابيل، لكن الأخوين في الأدب السومري لم يقتتلا ولا كان الإله سبباً في خلافهما كما حدث في قصة قابيل وهابيل بل تصالحا وركعا معاً وسكبا القربان المقدس.

عزم «إنليل» على خلق كل أنواع الأشجار والحبوب كي يعمّ الخير والرفاه بلاد سومر فخلق الأخوين «ايميش» (الصيف) وأنتين (الشتاء) وعيّن لكل منهما مهامه الخاصة به.

لقد جعل أنتين النعجة تلد الحمل والعنزة تلد الجدي

وجعل الأبقار والعجول تتكاثر، وأكثر الحليب والزبد

وفي السهل أفرح قلب الماعز والوحشي والغنم والحمار

وأطيار السماء جعلها تبني أعشاشها في الأرض الواسعة

وجعل سمك البحر يضع بيضه في أدغال القصب،

وفي أحراش النخيل والكروم أكثر العسل والخمور

وجعل الأشجار تحمل الأثمار أينما غرست

والحدائق غطاها بالخضرة وجعل نباتها يزدهر

وضاعف الغلّة في أخاديد الحرث

ومثل أشنان العذراء اللطيفة، جعلها تنمو بثبات..»

وأما ايميش فقد أوجد الأشجار والحقول

ووسع المرابط وحظائر الغنم

وفي المزارع ضاعف الإنتاج وغطى الأرض

جعل الحصاد الوفير يملأ البيوت ويتكدس في الأهراء

وجعل المدن تشاد البيوت تبنى في البلاد

والمعابد ترتفع كالجبال..»



وبعد أن أتمّ الاخوان مهماتهما عزما على الذهاب إلى نيبور إلى «بيت الحياة» ليقدما قرابين الشكر إلى الأب إنليل. قدم «ايميش» أنواعاً من الحيوانات البرية والداجنة والطيور والنباتات في حين اختار (أنتين) المعادن والأحجار الثمينة والشجر والسمك قرباناً. وما أن بلغا باب «بيت الحياة» حتى شرع أنتين الحاسد يخاصم اخاه. اشتد الجدل بينهما حتى تحدى إيميش ادعاء بأنه «فلاح الآلهة» فقصدا إلى معبد إنليل إلى «إيكور» وكل عرض شكواه فقال انتين:

«أبتِ الجليل... لقد عهدت إليّ القنوات فجلبت المياه الوفيرة

جعلت المزرعة لصق المزرعة وكدست الأهراء

أكثرت من الحبوب في أخاديد الحرث

ومثل أشنان العذراء الكريمة، جعلتها تنمو بثبات

والآن هوذا ايميش الذي لا يفهم بعمل الحقول

قد دفعني بالمرفق والمنكب

أمام قصر الملك...»

ثم عرض ايميش شكواه بادئاً بعبارات الاطراء والتملق إلى إنليل ليكسب رضاه. ثم أجاب إنليل:

«المياه المنتجة للحياة في جميع البلاد-أنتين هو الموكل بها

إنه فلاح الآلهة الذي ينتج كل شيء

فيا ابني إيميش كيف تقارن نفسك بأخيك أنتين؟

فكانت كلمة إنليل الممجدة ذات المغزى العميق

وكان القضاء الذي لا يبدل فمن يجرؤ أن يتخطاه.

فركع ايميش أمام أنتين وقدم الصلاة له

والى بيته جلب الرحيق والخمر والجعة

ومتّعا نفسيهما بالرحيق والجعة والخمر المفرح للقلب



وقدم إيميش لأنتين ذهباً وفضة ولازورد
وسكبا معاً القرابن المقدس بأخوّة ومودّة
وفي الخصومة بين ايميش وأنتين،
انتصر انتين فلاح الآلهة المخلص على ايميش
فسبحانك أيها الأب إنليل».



البانثيون الأكدي

إن آلهة الأكديين الساميين العائدة إلى حقبة دخولهم إلى أرض ما بين النـــهرين مجهولة إلى حد بعيد، وقد عرف بعضها من أسماء الأعلام وفيما بين النهرين اقتـــبس الأكديون حضارة سومر ومعتقداها وبوجه عام لا يمكن فصل المعتقدات الأكدية عن السومرية لكن شمش هو الإله الرئيسي للامبراطورية الأكدية:

١- **إيل كبير الآلهة.**

٢- **الثلاثي الكوكبي.**

سين Sin إله القمر نانا السومري

شمش Shamash إله الشمس أوتو السومري

عشتار Ishtar إلهة الزهرة أنانا السومرية

٣- **آلهات الغزوات والمعارك وعددها كبير منها :**

آنونا (المناوشة)، أنونيتوم (المناوشة)، أنين (المناوشة)، أرنينا (النصر)، شيلابات (هي لبوه)، شيدوري (حصني).

وكل هذه الصفات وصفت بها عشتار فيما بعد.

٤- **داجان**: إله العواصف والأمطار في مدينة تولول كذلك زيدا في كيش. آيا في مدينة أكد محارب وإله الحرب تشباك من آلهة الأمطار «ارد» إله الأمطار والعواصف «هدد» الآرامي.

٥- **آيا** : إله الأنهر نظير أنكي السومري.

٦- **ملك**: مستشار الإله وانرا واللاتوم وماما وآشارا هي أسماء آلهة ثانوية.



البانثيون الأشوري البابلي

حتى نهاية حضارة ما بين النهرين كانت الآلهة السومرية المتعددة باقية في التراث الديني وتقدم لها الترانيم والتراتيل وتبنى لها المعابد ولم يهمل أحد عن قصد، لكن في الألف الثاني قبل الميلاد وبقيام مملكتي بابل وأشور تبدأ زعامة الإله مردوخ في بابل، وأشور لدى الأشوريين في الشمال. وبذلك أصبحت باقي الآلهة ثانوية كمصدر للقوى الطبيعية. والى جانب مردوخ يقوم نبو في بورسيبا إله الكتابة وسكرتير مجمع الآلهة. ومع ذلك بقي الأعضاء القدامى في هذا المجمع مثل آنو، إنليل، أيا (إنكي)، سين (نانا)، شمش (أوتو)، أرد (ايشكور)، عشتار (انانا)، نينورتا، ونرجال.

هكذا نرى أن دخول الساميين الغربيين (الأموريين أو الكنعانيين الشرقيين) من سوريا والعراق لم يحدث تغييراً يذكر في البانثيون السومري الأكدي. وحتى الآلهة التي عبدوها في سوريا (أمورو- مارتو) قبل نزوحهم إلى العراق (بابل) قد فقدت مكانتها الدينية فيما بين النهرين. والحدث الجديد الهام هو رفع مردوخ لمرتبة زعيم الآلهة وامتصاصه لصفاتها وحتى حلوله مكان إنليل.

ولكن حتى عبادة مردوخ كانت قضية سياسية تخص الدولة قبل الشعب. لذا بقي حمورابي ورعيته يعبدون آنو وإنليل وآيا وسين وشمش وعشتار وأكثر من ألف إله غيرهم. وفي كل المدن بقية الآلهة السومرية- الأكدية. لكنها في الغالب أعطيت أسماء سامية بدل السومرية واحتفظت بنفس الصفات كما ذكر تحت عنوان البانثيون السومري.

مردوخ Marduk هو الإله الوطني لبلاد بابل ونظير أسللوحي السومري إله الرعد والمطر والعواصف. ورمزه أيضاً الثور، خواره الرعد وسلاحه الذي كسب به النصر على الفوضى والعماء الكوني لإعادة النظام هو القوس والسهام. يرجح أن اسم «مردوخ» سومري ومعناه غير أكيد، وقد فسّره بعضهم بـ«عجل الشمس» مع الزمن أخذ مردوخ يمتص وجود الآلهة الأخرى التي كانت مستقلة من قبل. وفي عهد حمورابي نحو سنة ١٨٠٠ ق.م. سمي «ابن أيا» (إله الحكمة ومياه العمق) وبعد ...

سيطر اسم «مردوخ» على المراسلات الرسمية وقد، تنسب إلى آنو إله السماء والى إنليل إله الرياح إعطاء السيادة لمردوخ على باقي الآلهة، وهو ابن آيا ودامكينا وزوج ساربانيتوم (أي الفضية أو اللامعة كالفضة)

وملحمة الخلق «أنوما ايليش» العائدة لنهاية الألف الثاني قبل الميلاد تحكي قصة تبوء مردوخ هذه السيادة بقتل تنين الفوضى تيامات وأصبحت صورته معقدة جداً إذ اصبح «الإله ذا الخمسين اسماً» وكل اسم كان صفة لإله أقل منه شأناً «سيد السماء والأرض» ملك آلهة السماء والأرض «ملك كل الآلهة» و«رب الأرباب» فكل الطبيعة بما فيها الإنسان مدينة بوجودها له. وحول شخصه نظمت ملحمة الخلق البابلية. وأهم عيد لمردوخ هو عيد راس السنة «أكيتو» وتبدأ السنة في الربيع بأول شهر نيسان ويرمز الاحتفال إلى وضع العالم في النظام بدل فوضى البدء.

في الأيام الأولى من شهر نيسان كانت تعدّ المعابد وتنظف من أجل الاحتفال. وفي اليوم الرابع تتلى قصة الخلق (سفر التكوين البابلي) بكاملها أمام الإله. وفي اليوم الخامس وبوصول «نبو» بن مردوخ من بورسيبا يبدأ الاحتفال بإعادة تنصيب الملك هكذا:

يأخذ منه رئيس الكهنة «شارات الملك» ثم يصفعه على خده ويركع أمام مردوخ ويصلي مؤكداً له أنه حكم بصلاح ولم يسئ قط. عندئذ يؤكد له رئيس الكهنة رضى الإله ويرد له شارات الملك ويصفعه ثانية. فإذا سببت له الصفعة انهمار الدموع عني هذا رضى الإله وإذا لم يذرف الدمع كانت علامة غضب الإله.

وفي اليوم الثامن يأخذ مردوخ مكانه بين الآلهة المجتمعة في غرفة الأقدار «دوكو» وفي اليوم العاشر يقوم الشعب بالطواف في الزوارق إلى معبد أكيتو رمزاً لخروج مردوخ لمحاربة تنين الشر تيامات .

وفي اليوم الحادي عشر يقدم الآلهة ولاءهم لمردوخ بعد النصر وتنظيم الكون وانتخابه سيداً من قبل الآلهة بعد أن أنقذها من تيامات. وفي اليوم الثاني عشر ينتهي الاحتفال ويعود الإله إلى معبده.

وراس السنة السومري «رجموك» احتفل به مرتين في العام الواحد في الربيع والخريف..

آشور Ashshur

إله مدينة أشور بعد ايام «شمشي – أدد» (١٨١٤- ١٧٨٢ ق.م.) وقد اعتبروه إنليل السومري. وبعد سرجون الثاني (شاروكين ٧٢١- ٧٠٥ ق.م) اعتبروه مثل «آنشار» أبي آنو في أسطورة الخلق السومرية وفي أيام سنحاريب (٧٠٤- ٦٨١ ق.م) أعطيت له صفات مردوخ. وهو يمنح الملك على بلاد أشور ويساعد الأشوريين على أعدائهم ويتسلم التقارير من الملك عن سير المعارك وكان تجسيداً لأطماع الأشوريين مثل يهوه العبراني ولا صفات صالحة فيه زوجته نينليل وهي في الأصل زوجة إنليل السومري و«معبده» و«أي- شاريرا» ولا يمكن مقارنة شيوع عبادة أشور أو أي إله آخر من آلهة الشرق بشيوع ونفوذ عبادة مردوخ وذلك بارتباط عبادته بحياة بابل السياسية والاجتماعية والعسكرية والدينية بعد أن اصبح كبير البانثيون البابلي منذ عهد حمورابي.

كان اسم معبد مردوخ في بابل آسجيلا E-Sag-Ila (أي المعبد الذي يرفع الرأس) أو «البيت العالي الرأس» وكان مركزاً تشع منه علوم الدين والسحر. وكان يشمل مجموعة من الأبنية الكبيرة والعالية إلى الجنوب من معبد إي – تمن – آن – كي E-temin-an-ki (أي المعبد الذي أساسه السماء والأرض) واذلي هو برج بابل الشهير والاثنان يقعان على جانبي شارع المسيرة أو المواكب.

ويدل على الصلات الوثيقة بين مردوخ ومدينته قول النبي أرميا عند سقوط بابل: «أخبروا في الشعوب واسمعوا وارفعوا راية: اسمعوا ولا تخفوا. قولوا أخذت بابل. خزي بيل، انسحق مردوخ، خربت أوثانها، انسحقت اصنامها، لأنه اطلعت عليها أمة من الشمال هي تجعل أرضها خربة فلا يكون فيها ساكن. من إنسان إلى حيوان هربوا وذهبوا» (٥٠: ٢ و٣).



وفي (ارميا ٥١: ٤٢- ٤٤) «طلع البحر على بابل فتقطعت بكثرة أمواجه، صارت مدنها خراباً أرضاً ناشفة وقفراً. أرضاً لا يسكن فيها إنسان ولا يعبر فيها ابن آدم وأعاقب بيل في بابل وأخرج من فمه ما ابتلعه فلا تجري إليه الشعوب بعد، ويسقط سور بابل أيضاً.

ولكن مردوخ ابن آيا البكر، فقد ورث عنه العلم والسحر صار مثله المعوذ بين الآلهة فهو «السيد الذي أحيا بتعويذته الطاهرة الإلهة الموتى، والذي أهلك بتعويذته الطاهرة الأشرار جميعاً، والذي يحيي بتعويذته الميت ويصح المريض، كما كان مردوخ «أحكم الحكماء والخبير بين الآلهة» وهو «الخنشا» أي الخمسين أو صاحب الأسماء الخمسين التي خلعتها عليه الآلهة.

ويرى «دورد» في نسبة الأسماء الخمسين جميعاً إلى غله واحد اتجاهاً إلى التوحيد حيث صارت الآلهة الأخرى جوانب من شخص مردوخ، وهذه الهينوئية كانت تطوراً جديداً في العبادة كما تحكي «أساطير بابل وتطور الفكر الديني».

ويمثل الإله مردوخ في السماء المشتري أو «نبيرو» بالبابلية ومعناها «المعبر» وهم من أسمائه الخمسين «ليمسك نبيرو بمعابر السماء والأرض. وعلى الذين يعجزون عن العبور في السماء والأرض أن يسألوه دائماً. أن نبيرو هو الكوكب الذي يسطع في السماوات» (اللوح ٧ من ملحمة الخلق).

وفي صورة مردوخ نراه وقد لبس تاجاً أسطوانياً عالياً محلّى بالزهور يبرز منه بعض الريش وله لحية وشعره مرسل في خصل خلف الرأس وثوبه يصل إلى قدمه وقد تناثرت عليه صور نجوم داخل دوائر. يده اليسرى موضوعة على صدره ممسكة بحلقه وعصا رمزاً للسلطة وده اليمنى مدلاة إلى جانبه وقد أمسكت بهراوة. وتقوم على حراسته الأفعى الحمراء «شروشو» وفي أجزائها تتمثل معظم الحيوانات.

وفي الطقوس كانوا ينادون مردوخ «بيلي» أي سيدي وينادون زوجته سربانتيوم أي الفضية «بيلتيا» أي سيدتي. وكان مردوخ وزوجته يبجلان حيثما يعلو سلطان بابل. وعندما فتح ملوك أشور أرض بابل أعلنوا ولاءهم لآلهتها وفي مقدمتها مردوخ وزوجته. وفي عصر الدولة الكلدانية بلغ مردوخ وزوجته ذروة مجدهما.

أن فتح كورش الفارسي بابل بقيت لمردوخ وابنه نبو مكانتهما. وظلا موضع الاجلال بعد ذلك أيام سوريا السلوقية سواء في الحياة الخاصة أم في الاحتفالات الرسمية.

يقول كورش (٥٥٧- ٥٢٩ ق.م) في كتابة له بمناسبة احتلال بابل: «عندما دخلت بابل كصديق ولما أقمت كرسي الحكم في قصر الحاكم وسط الأفراح والتهاليل جعل مردوخ الرب العظيم شعب بابل العظيم يحبني وكنت أنا يومياً أعمل على عبادته. وسرّ مردوخ الرب العظيم لأعمالي وأرسل لي بركاته أنا كورش».

وقد نظمت التراتيل والابتهالات والمزامير بالأكدية لمردوخ منها ما يصف عظمته ومنها ابتهالات وصلوات عميقة في روحها الأدبية، بعيدة عن الجمود السومري.

ابتهال خاطئ إلى مردوخ يطلب المغفرة.

أنا منطوٍ كشيخ مسن

أيها السيد القوي مردوخ، يا غله الرحمة.

بين البشر مهما كان عددهم

من وحده يستطيع أن يفهم إلى الأبد؟

من لم يرتكب خطيئة قط؟

من لم يزل قط؟

من يستطيع أن يفهم دروب الله؟

اغفر لي خطاياي التي أعيها،

والخطايا التي أجهلها

امح خطيئتي وابعد ذنبي

أنر شكّي وبدد اضطرابي

أيها السيد القوي



فليهدأ قلبك الغاضب

ولتهدأ روحك الوحشية

يا أحكم الآلهة

يا مردوخ السخي».

ابتهال يعود إلى عهد حمورابي

جليل، عظيم، يا ابن آيا البكر

يا راعي البلاد الذي حمى كافة الشعوب مهما بعدت

أيها الحاكم المطلق لكافة أماكن العبادة

يا من اسمك على لسان جميع البشر بالمديح والخير

يا مردوخ أيها السيد العظيم، بأمرك الأميري

علني أبقى سالماً صحيحاً، لأسبح بحمد ألوهيتك

اجعل رغباتي تتحقق

اجعلني أنطق بالحق

اجعل الخير يسكن في قلبي

يجب أن يبشر الحرس والرسل بالخير..

اجعل وليي الإله، أن يقف إلى يميني

اجعل وليتي الآلهة أن تقف إلى يساري

لعل الإله الذي يبقيني سالماً، يبقى إلى جانبي دوماً

يا مردوخ أيها السيد العظيم هب لي الحياة

واجعل الحياة تنطق في نفسي

وأن أظهر أمامك مبتهجاً اشبه نفسي من الطواف حولك».



إيا Ea:

هو إنكي السومري رب الحكمة والمياه العذبة العميقة «أبسو» هو أبو مردوخ وشريكه في عملية الخلق. من أسمائه الأخرى نينيجيكو وهذا دعاء من سرجون الثاني الأشوري إليه:

إيه يا نينيجيكو يا إله الحكمة

أنت يا من كونت العالم

لتنبثق ينابيعك لسرجون ملك العالم وملك أشور

حاكم مدينة بابل وملك سومر وأكد ومشيد هيكلك

لتأت ينابيعك بماء الرخاء والوفرة ولترو أرضه

اجعل الخبرة العريضة والفهم الواسع

نصيبه المكتوب له،

وحقق لعمله التمام

واجعله يبلغ ما يرمي إليه».

سين Sin:

هو إله القمر عند الساميين (البدر) نظير نانا السومري. كان مركز عبادته الرئيسي في حران أيام كانت عاصمة آرامية. وأدخل اسمه إلى بابل بدل «نانا» السومري الذي كانت مدينته أور (أور الكلدانيين) المدينة التي خرج منها إبراهيم كما في التوراة. واسم أبيه تارخ أي القمر الهلال. باسمه سميت شبه جزيرة سيناء أو صحراء سين كما أدخل اسمه في العديد من أسماء الملوك مثل سين – موبلليت (١٨١٢- ١٧٩٣ ق.م) ملك بابل ووالد حمورابي، نارام-سين (محبوب سين) ملك أكد وحفيد سرجون الأكدي (٢٢٩١- ٢٢٢٥ ق.م) وشو- سين ملك أور



(٢٠٣٨- ٢٠٣٠ ق.م) وابنه أبي سين (٢٠٢٩- ٢٠٠٦ ق.م) آخر سلالة أور الثالثة:

صلاة بابلية إلى سين:

«أيتها الثمرة التي خلقت نفسها

لا حدود لعظمتك

أنت الأم التي ولدت كل شيء

أنت الأب الرحوم المليء بالطيبة

بيدك تمسك حياة العالم أجمع

أيها الإله

إن ألوهيتك تتفجر عظمة كماء السماء

واتساعاً كماء البحر...

وحسب ملحمة الخلق البابلية، سلط مردوخ القمر على الليل وجعله زينته، وجعل من دورته مقياس الزمن به يعرف الناس موعد الأيام.

شمش Shamash:

إله الشمس أو أوتو السومري. إله العدل ينير الظلمات ويقود عربته كل يوم يدور فيها حول العالم يرى ما في قلوب الناس ويرى أعمالهم من أجل محاسبتهم. وهو الثاني في الثلاثي الكوكبي عند الساميين سين- شمش- عشتار.

ترنيمة إلى شمش:

«إيه يا شمش يا ملك السماء والأرض

يا من توجه كل شيء في العلو الأسفل

يا شمش، إن بيدك إعادة الميت إلى الحياة

وتحرير الأسير من قيده



إنك قاضٍ لا سبيل إلى إفساد ذمته

ومرشد لبني الإنسان

وابن رائع للإله تمرصت

ابن عظيم القوة والنبل

نور البلاد

وخالق كل شيء ما في السماء والأرض

هذا هو أنت يا شمش...»

صلاة إلى شمش:

«أي إلهي

أنت الذي تنير الظلمات

وتضيء وجه السماء

إله الرحمة

الذي يرفع المهان ويحمي الضعيف

أنت تقود مجموعة البشر كرجل واحد

بملء رغبتهم يرفعون رأسهم

ويديرون عيونهم نحو نورك

عندما تظهر يمتلئون فرحاً وسروراً

إن شعوباً لا تحصى تتأملك بكل بهجة..»

نشيد إلى شمش من أدب بابل:

«التلال العالية متوجة بسنائك،

وشعاعك ينير منبسطات البلاد السهلية

تتبوأ الجبال وترع الأرض بناظريك



وتشد أطراف الكون إلى أعمق السموات

ترعى شعوب الأرض

وتكلأ ما بدعه «أيا» الملك مستشارك

تؤتي القوت كل مخلوق حي

أجل أنت الراعي لكل من على الأرض ومن تحتها

وكل مسعى للبشر بأي لسان عبروا عنه

أنت عالم به وعالم بالأعمال

كل الجنس البشري شاخص بناظره إليك

أي شمش، الكون متعطش لضيائك

كل شيء فيه تعطل مسعاه وقمدم بيوت المستبدين

وتجازي بالسجن من اعوج من القضاة

وتعاقب السيد الشرير والفاسد

وكل مستقيم يحمي الضعفاء

ينال حظوة، أي شمش، وتطول أيامه

ومن يحكم حسب ضميره من القضاة

يعد لنفسه قصراً، وداره منــــزل أمير».

عشتار Ishatr:

إلهة الحب والجمال السامية، نظيرة إنانا السومرية، وهي نجمة الزهرة. لقــد أعطيت صفات حسنة في الأناشيد ووصفت بأنها «ملكة السماء » وأنها «نور العالم» لكنها وصفت أيضاً بأنها «البغي المقدسة» وحيكت حولها الأساطير لتظهرها محبــة بجسدها لا بروحها، خائنة لا تؤتمن على عشاقها كما أبرزتها ملحمة كلكامش، وقد رفض ملك أوروك أن يكون أحد ضحاياها، وهي نظيرة أفروديت اليونانية

اللاتينية، ولها أسماء كثيرة عند الساميين مثل «عشتروت» أتارغاتيس «أستارت» «أستير» و«عشتر» عند العرب الجنوبيين و«عستر» في الحبشة و«العزة» عند الأنباط. وهي أخت أريشكيغال إلهة العالم السفلي وأخت شمش وابنة سين ومن عشاقها كلكامش وتموز. ومن أساطيرها نزولها إلى الجحيم وحبها لتموز... إلخ

نشيد بابلي عن عشتار:

عشتار نور العالم ونور السماء

التي تحنو على التعساء وتنصف المظلومين

التي تنير كل الأماكن حيث يسكن البشر

وتجمع معاً جيوش جميع الأمم

حكمتك تفوق إدراكنا

حيث تشعين – يبعث الأموات إلى الحياة

والكسحاء ينهضون ويمشون

وتخف آلام المرضى

حين تلقين نظرك على وجوههم

كبيرة هي عشتار

لا أحد يمكنه أن يضاهيها

عشتار تستبقي حياة الأسير وتقي من تعثر

وهي التي تذل المستكبر

وترفع المهان...»

وبما أن عشتار هي إلهة الحب والتناسل والبغي المقدسة، ماذا حدث عند نزولها إلى الجحيم والحكم عليها بالموت:

«الثور لا «ينط» على البقرة

والجحش لا «يلقح» رحم الأتان



والرجل في الشارع لا «يلقح» العذراء...

وعشتار تعشق الرجولة والجمال لا تخلص لأحد، فإنها لما رأت كلكامش بعد أن نظف يديه وأسلحته من دم تنين الشر «هواوا» ولبس الثياب النظيفة وخوذته الذهبية هامت به وهي التي «تلصلص» من السماء باحثة عن الحب فنزلت إليه وعرضت عليه حبها، لكنه نفر من خداعها وحقارة الحب الجسدي وأنبها قائلاً:

ماذا تفعلين بعشاقك يا عشتار؟

عندما يعبدك الجواد ألا تسرجينه؟

ألا تحكمين عليه بجر عربات الحرب الثقيلة؟

عندما يفتن بك الرعيان على التلال،

ألا تمسخينهم فهوداً تلتهم صغار النعاج؟

ألم تقتلي تموز الشاب إذا أحبك؟

ألم ترسليه إلى بيت الأموات بعد الحصاد؟

فتأتي بعده كل عام ثلوج الشتاء

تنساب في الأنهر والوديان وتغمر أرضنا بالصقيع؟

أيتها الموقد الذي ينطفئ وقت البرد

أيها الباب الذي لا يقي صاحبه نفخ العواصف

أيتها الضرف المثقوب يبلل ظهر حامله،

أيها الحذاء الضيق يقرص رجل لابسه،

إن أصبحت وإياك حبيبين، ألن أشرب نفس الكأس.

السوس ووجع الأسنان

هذا النص، مقدمة لتعويذة مخصصة لشفاء ألم الأسنان. يحكي النص شطراً من حكاية التكوين وبدايات الأشياء ويعود لأصول وجع الأسنان وكيف ظهر:



«بعد أن خلق آنو السماء

وبعد أن خلقت السماء الأرض

وبعد أن خلقت الأرض الأنهار

والأنهار خلقت القنوات

والقنوات خلقت المستنقعات

والمستنقعات خلقت السوس

ومضى السوس باكياً إلى شمش

وذرف الدموع في حضرة آيا

ماذا تعطيني لطعامي؟

ماذا تعطيني لشرابي؟

سأعطيك شجر التين الناضج

أو أعطيك المشمش

.بماذا يفيدني شجر التين

.بما يفيدني المشمش

دعني أصعد واتخذ لي مسكناً

بين الأسنان وعظام الفك

حيث أمتص دماء الأسنان

وأنخر فيها

عند جذور وعظام الفك

«أدخل الإبرة وأمسك بالسوس

لأنك نطقت بهذا أيها السوس

فليسحقك آيا بجبروت



وعزم يديه»

والطريقة: أحضر بيرة وزيتاً وامزجهما معاً

وأتل التعويذة ثلاث مرات وضع المزيج على الأسنان.

١- في قصة نوح وسكره وحام الذي رأى عورة أبيه يلعن نوح بعد اليقظة كنعان ابن حام «ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته» وهذه مغالطة مقصودة لأن كنعان ليس ابن حام، والأكيد تاريخياً أن الكنعانيين هم من الساميين. كما أن حام هو الذي رأى عورة أبيه لكن الملعون هو الابن المزعوم لحام أي كنعان. فلم هذه المغالطة؟

إن القصة هي تركيبة من مصادر يهوهية وكهنوتية، وعلى الحالين فقد ركبت النصوص بعد وجود العبرانيين في أرض كنعان واحتلالهم جزءاً من الأرض. وارتكاب الفظائع ضد السكان الأصليين كما ورد في سفر يشوع. فكان أن وضعوا تبريراً لاهوتياً دينياً لتلك الفظائع لأن «الله لعن كنعان وجعله عبد العبيد لاخوته».

٢- واسم بابل لا يشتق من البلبلة أو بلبلة الألسن كما في الرواية بل أنها «باب إيلي» أي «باب الله» وهذه التسمية أقدم من برج بابل تاريخياً وأقدم من التوراة أيضاً، لأن بابل كانت عاصمة حمورابي في القرن ١٨ ق.م. وحسب الأسطورة البابلية فقد بنيت مسكناً للإله مردوخ.

«تعالوا نبني له مسكناً

تعالوا نبني له هيكلاً

فرح مردوخ، أشرق وجهه

ليكن اسمها «بابل»

قال مردوخ لتكن مسكناً للثالوث

مردوخ وإنليل وآيا».



٣- وأما فكرة السلام مع الوحدة والإلفة بين الشعوب واللسان الواحد فقد وردت في نص سومري عن كمال البدء والألسن تعني اللغات:

«في غابر الزمان كانت بلاد شوبور وهمازي
وبلاد سومر الكثيرة الألسن
البلد العظيم ذو النواميس المقدسة الخاصة بالإمارة
وبلاد أوري البلاد التي احتوت كل ما هو لائق
وبلاد مارتو (سوريا) كانت آمنة مطمئنة
وجميع الكون والناس في وحدة وإلفة
حيث كان الجميع يمجدون الله (إنليل) بلسان واحد

٤- قصة برج بابل وتاريخها: كان سكان ما بين النهرين يبنون معابدهم الكبرى على شكل أبراج متعددة الطوابق عرفت بـ«الزيقورات» بين (٢٢٠٠-٥٠٠ ق.م.) وبرج بابل هو زيقورة من سبع طوابق اسمها (أي- تمن- آن- كي) أي (معبد أسس السماء والأرض) وجدت مع مدينة بابل القرن ١٨ ق.م. وقد خربها سنحاريب ملك أشور (٧٠٥- ٦٨١ ق.م) ثم أعاد بناءها نبوبلاصر الكلداني (٦٢٥- ٦٠٥ ق.م) وأتمها نبوخذنصر (٦٠٥- ٥٦٢ ق.م) الذي دمر أورشليم وسبى اليهود عام ٥٨٦ ق.م.

ثم دمر الزردشتيون المتعصبون الزيقورة بعد الاحتلال الفارسي عام ٥٣٩ ق.م. وبعد ذلك عام ٥١٦ ق.م. سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين وبينهم الكهنة الذين اشتركوا في وضع النصوص النهائية للتوراة ومنها قصة برج بابل.

ولما دخل الاسكندر المقدوني بابل وجد البرج خربة فحاول ترميمه ولا تزال آثاره قائمة حتى يومنا هذا. وكان دخول الاسكندر عام ٣٣٠ ق.م.

يرجح أن البرج الأول بني في أيام حمورابي في القرن ١٨ ق.م. ولما أعاد نبوبلاصر بناءه خلّده بهذه الكلمات «عندما أمرني مردوخ أن ابني برج بابل



الذي قد أضعفه الزمن وتساقط من التهدم أمرني أن أؤسس قاعدته راسخة على صدر العالم السفلي بينما ذراه تشمخ مرتفعة نحو السماء.»

ثم كتب ابنه نبوخذنصر: «كي أرفع قمة آي تمن- آن- كي حتى تناطح السماء، مددت يدي»

كان طول كل جانب من القاعدة ٨٨ متراً وعلوه الكامل ٨٨ م يشتمل على سبع طبقات متناقصة يف الارتفاع: الطبقة الأولى ٣٢ م والثانية ١٧ م ثم الطابق الثالث والرابع والخامس والسادس وكل مناه ٦ أمتار ثم معبد مردوخ فوقها جميعاً وعلوه ١٥ م فيكون المجموع:

٣٢+ ١٧+ ٦+ ٦+ ٦+ ٦+ ١٥= ٨٨ م.

وكان يضم أهم آلهة البانثيون البابلي وقد زينت الجدران صفائح الذهب والقرميد المدهون باللون الأزرق السماوي الذي يلمع من بعيد تحت وهج الشمس.

كلف بناؤه ٥٨ مليون قرميدة وأطل على مساحات شاسعة من الأرض.

ويقدر هيرودتس وزن تمثال مردوخ في الطابق السفلي بـ ٢٦ طناً من الذهب وقد رآه بعينه سنة ٤٥٨ ق.م أي بعد ١٥٠ عاماً من إتمام البناء.

ومقام مردوخ في الطابق العلوي لم يكن يضم تمثالاً له بل كان فيه أريكة فخمة وطاولة وأجمل امرأة. لقد تصوروا أن ذلك البرج الأزرق في الأعلى كان مسكناً حقيقياً لمردوخ ولا يدخله أحد من البشر الفانين سوى تلك المرأة التي تبقى هناك لتلبي رغباته. وكان لكهنته أكبر نفوذ فهم الذين كانوا يتوجون ملوك بابل. وكانت مسيرات الأعياد تطوف حول البرج كما كان يؤمه الحجاج من كل مكان سيما في أعياد رأس السنة (أكيتو) التي كانت تبدأ في ١ نيسان وتنتهي في ١٢ نيسان كل عام.

وهكذا لم ير الكاتب العبراني في عظمة هذا البرج إلا غطرسة الإنسان واعتداده بنفسه حتى ظن أنه ببنائه الشامخ يمكن أن يطال السماء. هذا أولاً.

وثانياً انتقاماً لآلاف العمال العبيد اليهود الذين عملوا فيه أيام نبوخذنصر بعد أن سباهم وأسقط مملكتهم.

برج بابل:

الاصحاحات الثلاثة ٩ و١٠ و١١ من سفر التكوين هي أسطورة من ميتوس الأصول فهي تعدد أبناء نوح ومواليدهم الذين كانوا لساناً واحداً وشعباً واحداً، فحاولوا بناء برج في سهل شنعار يصل رأسه إلى السماء. فنزل الرب وبلبل ألسنتهم كي لا يفهم بعضهم البعض. وتفرقوا وخرجت منهم الأمم المحيطة بإسرائيل كما يتابع تسلسل ذرية سام حتى يصل إلى إبرام الجد المزعوم للعبرانيين: سام – ارفكشاد – شالح – عابر – فالج – رعو – سروج – ناحور – تارح – إبرام – إسحق – يعقوب (إسرائيل) . ويعلل سبب تعدد اللغات وتفريق الأمم أنه كي يضعف الله البشر.

إلا أن هذه القصة مليئة بالمغالطات التاريخية ومنها ما هو مقصود تضليلاً للناس وتعبيراً عن حقد اليهود على البابليين والكنعانيين بعد أن اصطدموا بهم، وقد كتبت التوراة بعد ذلك :

«يا بنت بابل المخربة،

طوبى لمن يجازيك جزاءك

الذي جازيتنا

طوبى لمن يمسك أطفالك

ويسحقهم على الصخر» (مزمور ١٣٧: ٨ و٩)

نشيد بابلي عن عشتار:

عشتار نور العالم ونور السماء

التي تحنو على التعساء وتنصف المظلومين

التي تنير كل الأماكن حيث يسكن البشر



وتجمع معاً جيوش جميع الأمم

حكمتك تفوق إدراكنا

حيث تشعين – يبعث الأموات إلى الحياة

والكسحاء ينهضون ويمشون

وتخف آلام المرضى

حين تلقين نظرك على وجوههم

كبيرة هي عشتار

لا أحد يمكنه أن يضاهيها

عشتار تستبقي حياة الأسير وتقي من تعثّر

وهي التي تذل المستكبر

وترفع المهان...»

الفردوس السومري:

في البدء كان العصر الذهبي، عصر السعادة الكاملة يوم كان البشر يعيشون بلا كد ولا كفاح وقبيل «سقوط الإنسان» تصف إحدى اللوحات السومرية تلك الفترة من الرخاء والسعادة في واحد وعشرين خطاً:

«في غابر الزمان لم يكن حية ولا عقرب

لم يكن ضبع ولا أسد

لم يكن كلب متوحش ولا كان ذئب

لم يكن هناك خوف ولا إرهاب

و لم يكن للإنسان منافس...»

«في غابر الزمان كانت بلاد «شوبور» و«همازي»

وبلاد سومر المتعددة الألسن



البلاد العظيمة ذات النواميس الإلهية الخاصة بالأمارة

وبلاد «أوري» (أكاد) التي حوت كل ما هو لائق

وبلاد مارتو (سوريا) كانت آمنة مطمئنة

وجميع الكون والبشر في وحدة والفة

يمجدون الله (إنليل) بلسان واحد».

ولما تشكلت البلدان لم يقم حرب ولا تناحر بل سلام وإلفة وكان الإنسان يسكن في جنة أرضية اسمها «دلمون» (البحرين) بلد طاهر ومشع، إنه (أرض الأحياء) الخالدين حيث لا مرض ولا موت، لا ألم ولا شيخوخة:

«في دلمون لا ينعق الغراب الأسود،

وطير الاتيدو لا يصيح ولا يصرخ

الأسد لا يفترس، والذئب لا يخطف الحمل

لم يعرف الكلب المتوحش الذي يلتهم الجدي

و لم يعرفوا الكوارث التي تدمر الغلة

لم توجد الأرملة

والطير في الأعالي لا يسقط

والحمامة لا تحني رأسها

ما من أرمد يقول عيني مريضة

ولا مصدوع يقول في رأسي صداع

عجوز دلمون لا تقول أنا عجوز

وشيخها لا يقول أنا طاعن في السن

العذراء لا تستحم ولا يهدر الماء الرائق في المدينة

من يعبر نهر الموت لا يتفوه بالموت

والكهنة النائحون لا يدورون حوله



المنشد لا يعول بالرثاء

وفي طرف المدينة لا ينوح ويندب

كلمة هناك التي وردت في رواية التكوين اسم إشارة لمكان مجهول في سهل شنعار والكاتب الكهنوتي المنتقم من بابل اختار مدينة بابل كنقطة تبديد وتشتت وتخريب حيث جعل الإله يهوه ينزل ليقوم بهذه العملية.

صلاة بابلية قديمة:

تقول الحكمة البابلية:

«اعبد الرب إلهك».... وتضيف:

كن رحيماً مع الضعفاء

ولا تهن منكسري القلوب

ليكن رائدك الخير والخدمة كل أيامك

لا تتلفظ بذم، بل قل ما هو حسن

وامتدح الناس ولا تذكرهم بسوء...

نصائح خلقية رفيعة من بابل :

«لا تسئ إلى خصمك

أحسن إلى من يسيء إليك

عامل عدوك بالعدل

التقوى تولد السعادة

وتقديم القرابين يطيل الحياة

والصلاة تكفر عن الذنوب.

صلاة الملك أشور بانيبال

أيها العليّ، ملك السماوات والأرض،



الذي بأمره خُلِقَ الإنسان

إقبل طلبتنا

وجمّل لي الحكم الرحيم،

لأني أنا أشور بانيبال عبدك،

أقدم لك طلبتي، وأصعد لك التمجيد،

إن الشر الذي يأتي بعد خسوف القمر

ظلم قوات السماء..

والأخبار السيئة... والأمراض الخبيثة...

إهمالي العدالة،

الشر والخطيئة في جسدي

لأن روحاً شريرة ربطت نفسها بي

أنت تقبّل تضرعاتي

يا رب أمل أذنك إليّ واستمع صلاتي

كل أنواع الشرور التي ترعب حياتي

أبعدها عني

وهب لي روحاً نقية مباركة على الدوام

واجعلها على هامتي

اتركني أعيش بأوامرك

واجعل شخصي يعلو

بعظمتك.

عن لوحة مسمارية محفوظة في متحف لندن رقم ٢٩ هذه الصلاة كان يصليها أشور بانيبال ما بين سنة ٦٨٨ و ٦٢٦ ق.م.



فهرس الكتاب




مكتبة
الفكر الجديد


مكتبة
الفكر الجديد


مكتبة
الفكر الجديد



مكتبة
الفكر الجديد


مكتبة
الفكر الجديد



تاريخ الفكر في العراق القديم

صلاة بابلية قديمة:

تقول الحكمة البابلية:

«اعبد الرب إلهك».... وتضيف:

كن رحيماً مع الضعفاء

ولا تهن منكسري القلوب

ليكن رائدك الخير والخدمة كل أيامك

لا تتلفظ بذم، بل قل ما هو حسن

وامتدح الناس ولا تذكرهم بسوء...

نصائح خلقية رفيعة من بابل :

«لا تسئ إلى خصمك

أحسن إلى من يسيء إليك

عامل عدوك بالعدل

التقوى تولد السعادة

وتقديم القرابين يطيل الحياة

والصلاة تكفر عن الذنوب.




مكتبة السائح
طرابلس ـ لبنان ـ شارع الراهبات
هاتف : ٠٠٩٦١ ٦ ٤٣١٥٤٩
فاكس : ٠٠٩٦١ ٦ ٤٤٨١٨٩
www.saehlib.com



للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ هاتف: ٠٠٩٦١١٤٧١٣٥٧ تلفاكس: ٠٠٩٦١١٤٧٥٩٠٥
Email: dar_altanweer@hotmail.com
dar_altanweer@yahoo.com
توزيع دار الفارابي